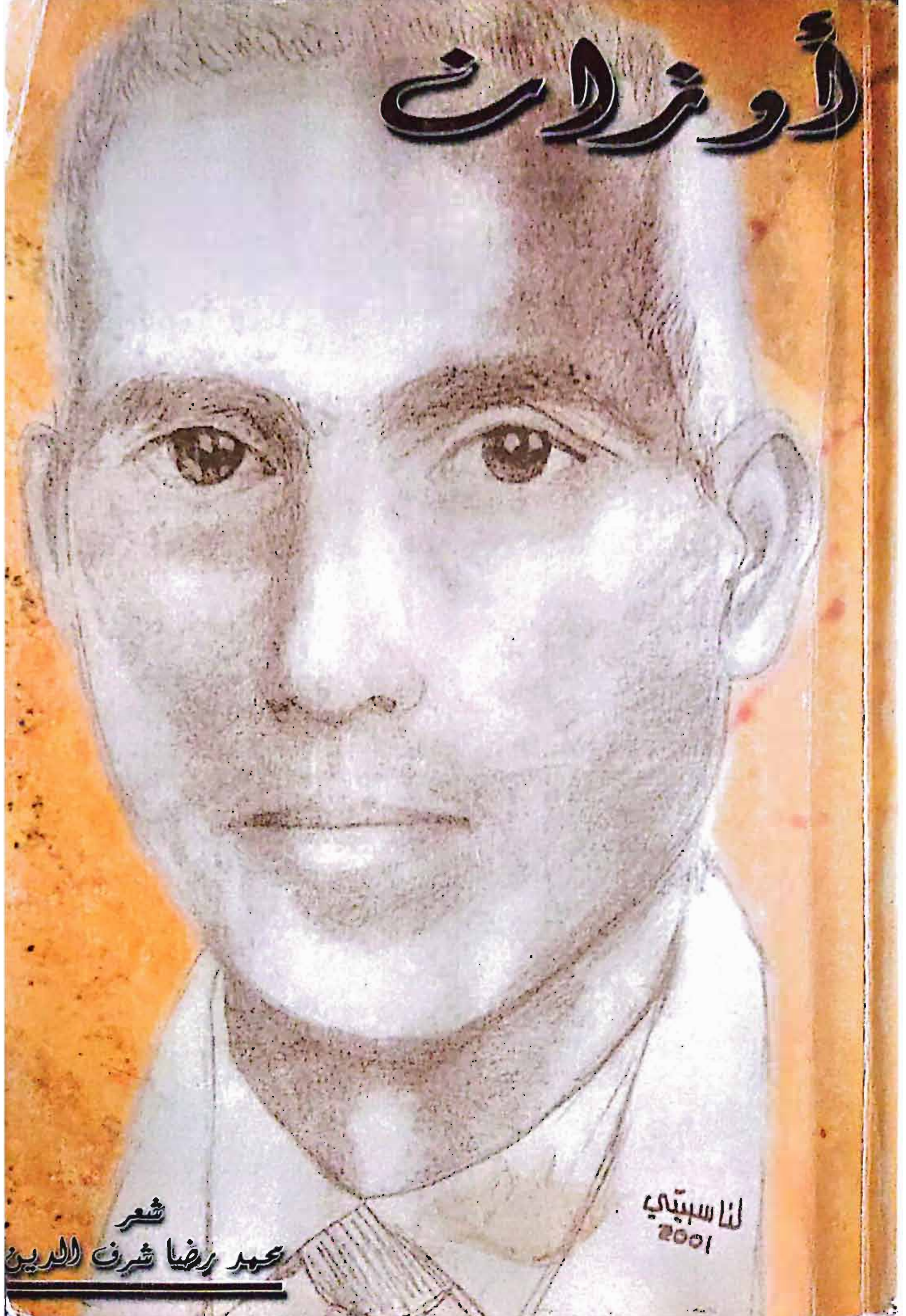


أوزان
لنا سبيتي
2001
شعر
محمد رضا شرف الدين

مقدمة

هذه مجموعة شعري "أوزان" جمعت فيها كل ما نظمته تقريباً منذ نطقت بالشعر في الثالثة عشرة من عمري، فإن وجد القارئ الكريم فيها أكثر من وزن ومن قافية فذلك ما لم أدّعيه لنفسي وإن وجد "أوزاني" إسماً وافق المسمّى فحسبي أني لم أخدع نفسي ولم أخدع سواي.

محمد رضا شرف الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

تعـريـف:

الشاعر صاحب الديوان ينتمي إلى بيت عريق رفيع العماد فقد وُلد في أسـرة علمية يتصل نسبها بالرسول (ص) وأئمة أهل البيت (ع) وقد بـرز منـها، وفـي مختلف العصور، علماء أعلام ورجال عظام تركوا بصمات واضحة خلّدها التـاريخ وحفظتها الأيام.

والده المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين أحد أعلام عصره علماً وعملاً وتأليفاً وجهاداً وبناءً لمؤسسات ومرجعاً لحل مشكلات وحاكماً عدلاً فيما يُرجع إليـه من خلافات... وقد كان بيته لا يخلو من مُراجعٍ أو مسـتفتٍ أو شـاكٍ أو صـاحب حاجة أو زائر أو متفقّد أو ضيف... في ليل أو نـهار فالبـاب مشـرع والديـوان مفتوح...

في هذا البيت وُلد شاعرنا وفي هذه الزحمة الدائمة نشأ وفي تلك الدوامة مـن الأمور الحياتية المختلفة والمتصلة فتح عينيه وفي ذلك (المقصد) ـ بيـت أبيـه ـ درج وترعرع يشاهد الكثير منها ويسمع الكثير من المنازعات والخلافات وتبـادل الاتهامات من الأطراف المختلفة والخصوم المتنازعة وإصرار كل فريق على أنّـه هو صاحب الحق حتى ينطق السيد بالحكم ... وبه ينتـهي الجـدل ويزيـل الحكـم الخلاف. ولعلّ ما وعاه من هذه الأمور وما بقي في ذاكرته منـها مـن صـوت أو صورة شكّلت عنده خزيناً ليس بالقليل غذّت ذاكرتـه ووسّـعت أُفقـه وأنضجـت تجاربه.

في صور ـ المدينة التاريخية العريقة ـ جنوب لبنان ـ حيث كان يقيم والـده مرجعاً للطائفة في أمور دينها ودنياها ـ ولد شاعرنا عام ١٩٠٩م ـ ١٣٢٧هـ ،

وهذا يعني أن طفولته الأولى كانت مع بداية الحرب العالمية الأولـى التـي أكلـت الأخضر واليابس ولا بد أن يكون قد اكتوى بشكل أو بآخر بما حملته تلك الحـرب من ويلات وزرعته من مآسٍ وعانى ـ تبعاً للعائلة ـ مصاعب التهجير والتشـريد والملاحقة والمطاردة التي كانت تلاحق والده الذي قاد الجهاد والكفاح ضد الاحتلال الفرنسي الذي ورث الحكم العثماني وقد حُكم عليه بالإعدام غيابياً مما اضطرَّه إلـى الخروج من البلاد وترك عائلته في مأمن بين أهل ومحبين.)

هذه حوادث ووقائع وحالات حين تمر في حياة الطفل تترك في نفسـه آثـاراً ترافق حياته وتترك عليها بعض البصمات.

وُلد شاعرنا سنة ١٩٠٩ والمقطوعة الأولى التي احتلَّت بداية الديـوان يعـود تاريخها إلى عام ١٩٢٤ فيكون عمره خمس عشرة سنةً حين بـدأ النظـم ولكنـه يصرح في الأسطر القليلة التي قدَّم بها الديوان بأنَّه بدأ النظم في سن الثالثة عشـرة من عمره وبهذا تكون القطعة التي بدأ بها الديوان هي أول ما بقـي محفوظـاً مـن نظمه... فإنَّ حداثة السن والتنقل وعدم النضوج الكافي قد يحول دون الحفاظ علـى كثير من الأشياء التي لا يشعر الإنسان بالحاجة إليـها إلاَّ بعـد فـوات الأوان ولا تُعرف قيمتها إلاَّ بعد فقدها.

الجو الذي عاشه بداية طفولته كان ضاغطاً، فالحرب العالمية الأولى حصـدت من البشر وأزهقت من الأرواح ما لا يعلم عدده إلاَّ الله.. فمن لم يقتل فـي الجبهـة يموت في الطريق إليها أو يهلك في المغاور والجبـال هرباً منـها... أو بـأيدي الجلاوزة الذين يلاحقون كل ابن أنثى يستطيع حمل سلاحٍ أو شبه سلاح.. والبيوت والمزارع والقرى خلت من الشباب أو من بِحكمـهم لأنَّـهم كـانوا هدفـاً للحكَّام وزبانيتهم يسوقون كل من له قدرة أو شبه قدرة ويجتاحون كـل شـيء يعـترض طريقهم ويسلبون كل شيء تقع عليه أعينهم... وتقول الحكايـات والروايـات التـي ينقلها مَنْ عـاش تلك الحقبـة بأنَّ الخوف والذعر الذي استولى على النـاس سلب

قرارهم وزرع الهلع الدائم في نفوسهم، والمجاعة التي اجتاحت البلاد وأصابت الكثير الكثير من الناس لم تترك كلباً في زقاق ولا هراً في بيت... هذه الحالة، إن نجا منها البعض فلم تنحدر بهم الحالة إلى هذا المستوى فلا بد أن تؤثر على السلوك والتصرفات والتعامل.

الوضع العائلي للشاعر وما يحتله بيته من مكانة في مجتمعه جعلاه في منأى عن الحاجة وفي حالة يحسن السكوت عليها ولكنها حدَّت من القدرة على التصدي لقضاء الحاجات وسد ثغرات وجبر عثرات وما يتبع ذلك من واجبات أو ما هو قريب من واجبات.

ثم تضع الحرب أوزارها وتبدأ الحياة بالعودة إلى الهدوء ويعود السيد ـ والد الشاعر ـ إلى عرينه في صور بعد أن أُلغي حكم الإعدام الصادر بحقه ـ ليستأنف مسيرته الجهادية بالتوجيه والإرشاد وما يستطيعه من بناء لمؤسسة أو حل لمشكلة أو دفع لشر...

كون شاعرنا ابن هذا البيت وربيب هذه البيئة فالنجف الأشرف ـ المدينة العلمية العريقة ـ هي المكان المفضّل لدراسته وتوجيهه ورسم مساره.. وقد انتقل إليها مبكراً إذ أنه لم يكن قد تجاوز منتصف العقد الثاني من عمره وهي سن مبكرة ولعلَّ الذي سهّل عليه هذا الانتقال وخفّف عليه وطأة البعد عن كنف الأبوة والأمومة أنه انتقل إلى أكثر من بيت هناك يقوم مقام بيت أبيه فأخوه الأكبر قد سبقه إلى النجف وشقيقته قد سبقته بصحبة زوجها إلى هناك وهذان بيتان يفيان بمقام الأب والأم إضافة إلى بيوت متعددة لأخواله وأبناء عمومته من آل الصدر الذين غمروا ابنهم القادم للدراسة بالعاطفة والرعاية والحنان.

إذاً، كانت حياته في هذه المرحلة حياة مريحة لم يكن فيها مسؤولاً عن أي أمر غير الدراسة وكان وقته ملكه يقضيه كما يشاء مما مكنه أن يسير بخطى واسعة في الدرس والتحصيل. والنجف الأشرف ، إضافة إلى أنها مدينة علم تستقبل وتخرِّج أفواجاً إثر أفواجٍ من طلاب العلم والمعرفة. وقد خرَّجتْ وتُخرِّج دائماً القمم

من العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء والأدباء المعروفين في العالم العربي والإسلامي وهي وعلى مختلف العصور قديماً وحديثاً، كانت ولا تزال ترفد مختلف المواطن بالهداة والمرشدين ويتوزع المتخرجون في مدارسها وحوزتها ـ وهم من مختلف البلدان والأنحاء العربية والإسلامية ـ في مختلف أماكن التبليغ والهداية. وقد انتظم شاعرنا في مسالك العلم والمعرفة وبدأ مبكراً في الكتابة والنظم وكانت له مشاركات في كثير من المناسبات والاحتفالات ولعلّ سرعة اندماجه في مجتمعه الجديد كانت نتيجة مرتقبة، لأنه كان يعيش في مجمتع مصغر عن هذا المجتمع مع والده، وبهذا اعتبر نفسه قد انتقل من مرحلة إلى مرحلة في مسار الحياة وسرعان ما اندمج في مجتمعه الجديد وتفاعل معه وبرز بين لداته، وبدا ذا رأي يطرحه في مجلس أو حوار ومن فرسان المنبر في مناسبات واحتفالات جمَّة.

الفترة التي عاشها في النجف الأشرف كانت فترة قلقة إلى حد ما، فالوضع العالمي غير مستقر والتجاذب والخلاف مستمر، بين (الحلفاء) المنتصرين ، فما أن انتهت الحرب العالمية الأولى قتالاً حتى بدأت حرب اقتسام الغنائم وتنازع الأسلاب... وبدأ الصراع المعلن حيناً والخفي حيناً آخر بين حلفاء الأمس والتنافس والتسابق للتحكم بالآخرين وفرض السيطرة عليهم...

وحالة التشنج هذه والسباق لاقتناص المنافع وزيادة الحصص من الغنائم والأسلاب تنعكس على البلاد المحكومة أو المتصارع على حكمها، فتزرع فيها القلق والحذر وتنبت الخوف والفزع... ومع كل ذلك لا بد أن تنبت فيها بذرة محاولة الخلاص من تلك الوصاية أو الولاية أو التملك ... وهذا لا بد أن يؤجج الصراع مجدداً بين الفرقاء... وبهذا الصراع العنيف وبهذا التجاذب الحاد وبهذا المسار الخطر... الواضح النتيجة برزت بوادر الحرب ثانية وبان شررها ... ولم تلبث أن اشتعلت...

في هذه الفترة القلقة والحرجة عاش فترة تحصيله في النجف الأشرف وفي هذه الفترة أيضاً رشح ـ أو فرض عليه زواج لم ينسجم معه ولم يرتح إليه ... ومع

ذلك فقد حاول أن يقنع نفسه به وأن يعايشه ... فعسى ولعل... وقد ولد له من هذا الزواج عدة أولاد لم تكتب الحياة لواحد منهم أو واحدة منهن، فقد كان الموت يتخطفهم في السنة الأولى أو الثانية من العمر. ولكي يضع حدا لتلك الفجائع المتكررة لجأ إلى الطلاق... ثم اختار مصاهرة بيت عريق كريم فتزوج كريمة المرحوم المقدس الشيخ عبد الحسين صادق فكانت رفيقة حياة زرعت السعادة في بيته وعوضته عما فقد بما أثلج صدره من بنين وبنات...

في بداية الثلاثينيات ترك النجف، بعد أن حزم أمره بأن يكتفي بما وصل إليه من الدرس والعلم لأنه قرر أن لا ينخرط في سلك رجال الدين ـ حسب اصطلاحنا ـ فكانت بغداد مقره بعد فترة من تركه النجف ورأى أن يلج باب الصحافة، فحصل على امتياز مجلة أدبية أسماها " الديوان "، لم يستطع أن يستمر بإصدارها فتوقفت بعد صدور عدة أعداد منها رغم المستوى الجيد الذي صدرت به. ثم توجه إلى المهجر الأفريقي فلم ير فيه المجال الذي يستطيع السير فيه فعاد إلى العراق واضطر إلى الدخول في عالم الوظيفة والتقيد بقيودها، فكان أن عين موظفا في مجلس الأعيان (الشيوخ) حيث بقي بضع سنوات وكان له في هذه الفترة شيء من النشاط الأدبي نشر في أكثر من صحيفة عراقية ولكن الأكثر منه كان في صحيفتي " الساعة " و " اليقظة " البغداديتين. ثم نقل إلى وزارة الخارجية فعمل في السفارة العراقية في دمشق وطهران وجدة وفي هذه الفترة جاء توفيق السويدي وزيرا للخارجية فكان من أول أعماله أو (إنجازاته) أن ألغى وظيفة المترجم له... انتقاما من أخيه السيد صدر الدين لأنه كان من معارضيه...!!

وأعيد تعيينه بعدئذ ، لكن في وزارة الداخلية هذه المرة ثم نقل إلى وزارة التربية ومنها انتدب للتدريس في المملكة العربية السعودية ثم عاد إلى وزارة التربية بعد انتهاء مدة الانتداب ثم أعيرت خدماته للجامعة المغربية في الرباط ـ المغرب ونقل ، بعد انتهاء مدة إعارة خدماته فيها، إلى الملحقية الثقافية العراقية في الرباط ثم نقل بعدها إلى الملحقية الثقافية في بيروت وكانت آخر مراحله في الوظيفة.

حياة صاخبة متعبة فيها الكثير من العناء والقلق وعدم الاستقرار.. في أوائل سني حياته وبداية وعيه فتح عينيه على حرب طاحنة أكلت الأخضر واليابس.. وزرعت الخراب والدمار والفزع... ومع بداية إدراكه غاب عنه والده غياباً قهرياً زرع في نفسه القلق والخوف والترقب... وما أن قرّت عينه بعودة أبيه وانتهت وساوسه عليه حتى رأى نفسه مدعواً إلى فراق جديد..هو المسافر فيه هذه المرة... فالنجف الأشرف هي الجامعة التي يجب أن يدرس فيها وإليها يجب أن يشد الرحال وهي المكان الذي سيتزوّد فيه ما يريد من علم ومعرفة في مختلف العلوم والفنون التي تخصصت بها هذه المدينة... ثم ترك النجف وقصد بغداد وكان تغير في أسلوب الحياة... مارس الصحافة ثم انتقل إلى الوظيفة... في هذه الدائرة أو تلك... ثم داخل العراق وخارجه موظفاً أو معار خدمات... فكان أن شرّق وغرّب... وحين قارب الوصول إلى المحطة النهائية من العمل الوظيفي واقترب من سن التقاعد والتحرر من العمل الوظيفي كان له الحتف بالمرصاد فحرمه من لذة التحرر من الوظيفة ومن أسر العمل الروتيني وقيده فكانت وفاته في بيروت في ١٤ شباط ١٩٧٠.

هذه سطور تعطي صورة عن الشاعر ــ صاحب الديوان ــ ومحطات من حياته سُجّلت مجملة للتعريف به. أما ما احتواه الديوان من الشعر فهو الذي اختاره وأعده للطبع تحت عنوان " أوزان " وقد اختار في ترتيبه التسلسل الزمني للنظم فطبع كما شاء له من ترتيب. وللشاعر رواية شعرية تحكي فاجعة كربلاء باسم "الحسين " طبعت سنة ١٩٣٣. أرجو أن نوفّق لإعادة طبعها مع رواية أخرى مخطوطة بعنوان " قيس ولبنى " قريباً إن شاء الله.

عبد الأمير السبيتي

حسب المحب*

حَسْبُ المحبِّ بعادُهُ	أيطيقُ قلبي منكَ صدًّا
مَنْ لي بقربك والصِّحا	رَى أوسعَتْني عنكَ بُعْدا
مَنْ لي بجامعِ شملِنا	فيلفُّنا في الشّوقِ بُرْدا
هلْ لي بأوبةِ نادمٍ	قدْ كادَ بالنَّزوات يُرْدَى؟
وطني الجميلَ وإنْ غدوْ	تُ نواظِراً لنواهُ رمدا
لكنَّ عيني لا تكِفُّ مدامعاً فيكُم وسُهْدَا

****

حنين**

أحنُّ إذا الليلُ أرخى السُّدولَ	وآوت لأوكارِها السَّاجعاتْ
ولمْ يبقَ في الكونِ غيرُ السُّباتِ	وغيرُ الرُّؤى في جفونِ الغُفاةْ
وغيرُ جُنوبِ امْرِئٍ قلَّبتها	على شوكِ آلامهِ كفُّ عاتْ
تُسامرُ نجمَ الدُّجى عينُهُ	فأجفانُهُ في السَّما عالقاتْ
لنعشِ بناتٍ فلا يرعَوي	يُصاحبُ منهنَّ شؤمَ البناتْ
وقلبٌ مُعنّى لهُ شدَّ في	جناحِ قطاةٍ معَ السِّربِ فاتْ
فلا هو منْ ذُعرهِ آمنٌ...	ولا أمنُهُ بعدَ ذعرٍ بآتْ
كعهدِ الشَّبابِ إذا ما مضى	وعهدُ الشَّبابِ إذا فاتَ فاتْ

****

---

* أرسلتها إلى أخي السيد محمد جواد. وكان في سنة سابقة أرسلني والدي إلى العراق لطلب العلم الديني ، وكنت حدثا لم أحتمل الفراق ـ النجف ١٩٢٤م

** وأرسلت إليه هذه الأبيات ـ النجف ١٩٢٤م

أيامي سجال*

كتابي - يا ابن خالي - لا تخلْهُ
تأخّر عنك بلْ حظّي تأخّرْ

وإنّك في مكانٍ منْ فؤادي
تمنّى مثلهُ (صدرٌ) و (جعفرْ)

وإنّي ذو الأماني نائياتٍ
ولكنْ دونها حظّي تعثّرْ

على أنّي وأيّامي سجالٌ
أناضلُها فأقهرُها وأُقْهرْ

جهادٌ والحياةُ لها جهادٌ
فإنْ قعدتْ بي الأيّامُ أعْذرْ

سأحصرُ بالدُّنوّ إليكَ همّي
لأنْعمَ من وصالك في مُعطّرْ

وثمّةَ أمنُ نفسي في ظلالٍ
يُوفّيه (أبو الحسنين حيدرْ)

وقربُكَ من بنيه الغرّ قبرٌ
يضمُّ الساميَيْن علا ومفخرْ

جوارُ (الكاظمَيْن) أمانُ نفسي
بدنياها وروحي حين أُقبرْ

****

بلغ السيل الزبى**

حيثما ثار غبارٌ يُلفّنا
في رعيل الموت نمشي الخببا

فوق متنٍ في العوادي ما كَبا
فوقَ عزمٍ منْ مضاءٍ ما نَبا

إنّنا قومٌ أباةٌ عربٌ
ما عرفْتِ يا فرنسا العربا

لا تخاليْ نارنا خامدةً
إنّ في الموقدِ جمراً ما خبا

بلغ السّيلُ الزّبى فاتّئدي
يا فرنسا... بلغ السّيلُ الزّبى

هذه (الغوطةُ) أضحتْ موْقداً
هلْ دُهشت كيفَ صرت حطبا؟!

ها رأينا (خالدا) في (حمصه)
وعليّاً كيف يحْمي (حلبا)

---

* أرسلتها إلى السيد محمد صادق الصدر - صور ١٩٢٥م

** في طريق عودتي من العراق، سنة ١٩٢٥م، كانت دمشق وغوطتها تسبح بالدماء، حيث حفرت الخنادق بالشوارع ونصبت الأسلاك الشائكة فلا يسمح لأحد بالمرور وكانت ثورة دمشق هذه بداية النهاية للاستعمار الفرنسي في سوريا - سوريا ١٩٢٥م.

إحمل كأبيك*

هذا كتابُك يا بن أمْ ... ألماً يسيلُ به القلمْ
نفسي وقاؤك ما حدا ... بك حيثُ مقتعدُ السّأمْ؟
إنْ ساورتْك من الحيا ... ة سحائبُ الألمِ المُلمّ
ورأيتَ مزدحم الأما ... ني لا ينيلك منْ أممْ
لا تُسلمِ القلب الكبيـ ... ـر ليأسهِ وعداك ذمّ
ما حفّز النفس الطمو ... حة للعلى مثلُ الألمْ
مُجلي النفوس وقدْ علا ... ها في الرّخا.. صدأُ النعمْ
وأبو العباقر في العلا ... ء نماهُمو منْ العدمْ
عهدي بك الطمّاح لا ... يثنيك مهما جلّ همّ
إحملْ بها كأبيك وافْـ ... ـرجْها معقّدة الأزمْ
(عبد الحسينِ) وملءُ سَمْـ ... ـعِ الأرض والدُك العلمْ
قدْ أسمعتْ كلماتُـ ... ـه الزّمَنَ الملقّبَ بالأصمّ
فاسلكْ أُخيَّ سبيلَهُ ... وإذا علوْتَ... فلا جرمْ
وإليك يا بن أبي لوا ... عج نازحٍ فيها ضرمْ
ترمي بقلبي مثلمـ ... ـا البركانُ يرمي بالحممْ
لولا أمانيَّ العذا ... ب وما يُغاودُ من حُلُمْ
لرميتُ رحْبَ الأرض بالـ ... ـسَّاق الرحيبةِ والقدمْ
يسعُ الرّوابي خطوُها الـ ... ـهيمانُ قفزاً والأكمْ
مثلَ الخواطرِ خافقا ... تٍ أو كأجنحة النّسَمْ
ليس المدى نـاءٍ فما ... يُطوى بكيفَ أو بكمْ
فتحطُّ رحلَ الشّوق في ... ظلّ ترطّب بالدِّيَمْ

---

* أرسلتها من النجف إلى أخي صدر الدين في صور جواب كتاب له ـ النجف ١٩٢٦م.

بالـــرُوح تَســمُو فـــي مـــرا قيهـــا إلـــى أعلـــى قمـــ
بالحُـــبِّ يصهرُهـــا فتغـــدو أنفســـاً صيغـــتْ قيـــ
يـــا نفـــس (حيـــدرة الوصـــيّ) عليـــك مـــن قلبـــي حـــر
أوقفـــتُ قلـــبي للـــولا مـــا ســـال فـــي الأعـــراق دمـ

****

حكايــة مجــد*

يـا أخـي العـربيّ هــلاّ ســرتَ فالليــلُ تولّــى
هـــذه الأنـــوارُ تعلـــو فـاقتعــدْ فيهَـــا محـــلاّ
وتقـــدّمْ فـــي هُـداهَـــا لتُعيـــدَ المجـــدَ كُـــلاّ
****
لـــك مـــاض قـــدْ بنـــاهْ فـي الــذُّرى جهـدُ أبيـكْ
بـالمــواضـي والعــوالـي والمعَـــالي والسَّـــبيكْ(١)
شـــيدتْـــهُ الأرضُ مُلْكـــاً واحـــداً ينفـــي الشّـــريكْ
****
كـانـت الصّحـراءُ والصّحْـــراءُ جـــدبٌ وخمـــولْ
لا تـــرى فيهـــا ســـوى خمْــطٍ(٢) يســيرٍ ورمــولْ
ورجـالٍ فـي المهــاويْ غالَهُــمْ في الجهـلِ غـولْ
****
وإذا الصّحــراءُ فيهـــا مـنْ خفـيِّ السّـرِّ بكـــرُ
يجعـلُ الصحـراء أرضـاً نبْتُهـــا زهـــرٌ وعطـــرُ
ويريـك الدّهـــر ميــدا نـــا عليـه الجيـشُ مجْـــرُ
****

---

* نظمت في صور سنة ١٩٢٧م
(١) السبيك : التبر الخالص .
(٢) الخمط : الشجر الذي لا شوك له.

يفتـــحُ الـدُّنيـــا ويُعـــلي سمْكَهـــا العـــدلُ المُحكَـــمْ
شـارعـــا فيهَـــا مـــن الأحْـــــــكـام مـــا يقضِـــي فيُبـــرمْ
نـاشـــــرا مـــن علمـــــه مـــا ينْسخُ الجهـلَ المُسـوّمْ
****

أنبتَـتْ صحـراؤنـــا الجـــدْ بـــاءُ عـــدلاً وحضـــارةْ
عمّـــت الـدُّنيـــا فـأغفَـتْ فـــي سَـــلامٍ وخفـــارةْ
فــرخـــــاءٌ ونعيـــــمٌ وصفــــاءٌ وطهـــــارةْ
****

أرسلـــتْ صحـراؤنـــا جيْـــــــشا عـلى الشّـرقيْنِ أربـى
وانثنـــتْ تُـــزجي مـــن الـــــــفُرْسان للغربيْـــنِ حَربـــا
فانتهى (ســاسـان) شرقـــا وانتهـى (الـرومـان) غربـــا
****

واصطفتْ صحراؤنـــا الدُّنْـــــيا خراجـــا وجنـــودْ
فبِـوادي النيـــل خصـــبٌ يُنشِـــئُ الدُّنيَـــا جـديـــدْ
وعلـــى (الشّطيْنِ) غـــابٌ يمـــــلأُ الدُّنيَـــا أســـودْ
****

ومـــن الشّامـــات مـــا يُعْـــــلي مـــنَ العمـــران جـــاهْ
فصنـــاعٌ مـــنْ فنـــونِ أبهـــر الدُّنيـــا سنـــاهْ
فحَـديـــدٌ للعـــواديْ وحـــريـــرٌ للـرَّفـــاهْ
****

قـــدْ حكمنـــا فاعتدلْنـــا فـــي عقـــابٍ أو ثـــوابْ
وتســـاوى عـندنـــا الــــــعبدُ ومـــولاهُ المهـــابْ
ووفيْنـــا العهـــد لـــم نُنْـــــــقصْ مـــن العهـد خطـابْ
****

ساوت الصَّحراءُ عدْلاً بين محكومٍ وحاكمْ
فغريبٌ وابنُها سيّان إمّا يكُ ظالمْ
هذه الشّرعةُ لا ما لفّقوهُ من مزاعمْ

****

ما نسينا عهدَ شيخٍ أبعدُوهُ في البحارِ(١)
بعد عهدٍ أبرموهُ بمواثيق كبارِ
أيَّ فتْلٍ نقضوهُ وانثنوْا في أيِّ عارِ؟

****

يا لـ (شيخٍ) أنزلوه (قبرصاً) وسط العُبابْ
بعدما أولاهمُو نصراً عنِ (الأتراك) غابْ
فجزوْهُ عنْ ثوابٍ كان يرجوه عقابْ

****

لا تُعيروا (الغربَ) أُذْناً إنّما الغربُ (سجَاحْ)
كلُّ شيءٍ - دونما يرمي لهُ - شيءٌ مُباحْ
خابَ غايٌ يُرتجى فيه من الغرب النّجاحْ

****

لا جديد*

فتّشتُ كلَّ مكانٍ فتّشتُ كلَّ زمانٍ
فما رأيت جديداً فأوّلٌ مثلُ ثاني

****

أكلُّ ظرفٍ قديمٍ ككلِّ ظرفٍ جديدِ؟
مظروفُهُ ليس إلاّ حُثالةً منْ عبيدِ

---

(١) يشير إلى الملك حسين شريف مكة الذي نقض حلفاؤه عهودهم له ونفوه إلى قبرص حيث مات هناك.

* نظمت سنة ١٩٢٨م في صور.

فــذاكَ عبــدُ قــويٌ يــراه فـي الضّعف ربّـا
كـذاك كـلُّ ضعيفٍ علـى المذلّـة دبّـا
****
وذاك عبـدٌ لحقْـدِ نيّاتُـهُ الحمـرُ غـدْرُ
يسْـودُ فيهـا فـؤادا والفحـمُ يذكيـه جمْـرُ
****
وذاك شـخصٌ دعـيٌّ علـى الإخاء الصّحيـح
يُريـكَ وجـداً ولكـنْ زُعافُـهُ فـي الفحيـحِ
****
وإمّـعٌ .. لا يُـرجّـى فيمـا يقـولُ ويفعـلْ
فهُـوَ كالرّيـشِ يعْلُـو مـعَ الرّيـاحِ وينْـزلْ
****
وآخـرون تـواروْا وراء مكـر ونكْـر
فـأيـن منّـي صفـيٌّ أبثُّـهُ اليـوم سـرّي
****
ألنّـاسُ ـ فيما أراهـم ـ والنّفـعُ جنبـاً لجنْـب
فهـمْ صحـابُ وفـاء مـا درّ ضـرعٌ بحلْـب
****
داءُ الجهالـة يُلفـي في موطني ألـف مكمَنْ
وا سـوأتـاهُ إلـى م ؟ نسـيرُ والسّيرُ أرعـنْ
****
أسـوّدَ الجهلُ وغـدا ؟ والعلـمُ يـزوي عليمـا
غفـران ربّـي هـذا عكـسُ القيـاس قديمـا
****
زعـانـفٌ أو رعـاعٌ قد حُكّمـوا في الربـوع
ألصـدقُ مـا لفّقـوه والحـقُّ عنـد النّطـوع
****

أمـــا لقـــومـي انتبـــاهٌ والفجـرُ في الأُفقِ ظاهـرْ
والأرضُ تُحيـي جديـداً والـرَّكـبُ يحـدوه شـاعـرْ
****

أم أنَّ قـومـي عنـاهُـمْ من غابـرِ المجـدِ سـحْرُ
فكـان فيــه مُنـاهُـمْ مخـدِّرٌ فيـه سُـكْرُ
****

آلات الوصول*

لـي نظـرةٌ أوضحْـتُ فيــهـا غامضـاً أوْ شبه غامضْ
أرسلتُهـا ترتـادُ لـي خلـف الحـواجـزِ والعـوارضْ
وأجلتُهـا فـي كـلِّ وجـهٍ بيـن منبسـطٍ وقـابـضْ
لتعـود لـي بالمـدهشـات المدهشـاتِ من النقـائـضْ
****

كـانتْ تحـدثني الظـواهـرُ: أنَّ هـذا الشّـخص عـالـمْ
وتقـولُ: هـذا زاهـدٌ وتقـولُ : ذا بالبـذلِ حـاتـمْ
وتقـولُ: هـذا مصلـحٌ يبنـي الحيـاة عـلى دعـائـمْ
وتقـولُ: هـذا هـادمٌ هـل يسـتوي بـانٍ وهـادمٌ؟
****

وإذا تكشّـفتِ الدفـائـنُ وانجلـتْ عنهـا البـواطـنْ
فهنـاك مـأسـاةٌ بهـا النيّـاتُ للسـوءى رهـائـنْ
وهنـاك أدهـشُ مسـرحٍ ألذئـبُ فيـه بشكل شـادنْ
والأرقـمُ النفّـاثُ سُمّـا سائـحٌ فـي زيِّ كـاهـنْ
****

---

* صـور ١٩٢٩م

ليسَ البراقعِ منْ فنو ن العيشِ فنٌّ ذو شكولْ
ولـه من الألوانِ ما يُغري عقولَ ذوي العقولْ
ولـه من الحالاتِ شتّى وهْي أجمعها تحولْ
ألنّفعُ أصلٌ ثابتٌ ... وعداه آلاتُ الوصولْ

****

لم أنسَ*

يا بن عمّي ما لقلبي طاقةُ الهجرِ الطّويلْ
ليسَ لي في الصدّ والبعْد إلى الصّبرِ سبيلْ
عزّ صبري عنكَ حتّى لا أرى الصّبرَ جميلْ
لوّحتْ جسمي الليّاليْ فهوَ كالظّلّ نحيلْ
ملْت عن نصّفي وعدلُ الحكم لي أن لا تميلْ
فهوى قلبي إلى مغناك ما زال بليلْ

****

ليس نصفاً منك قطع الرَّحْمِ ، والرَّحْمُ قريبْ
ليس نصفاً أن تداني الْهجرَ عَن وصلِ الحبيبْ
ليس نصفاً أن تغضَ الطّرْفَ عن مُضنى حريبْ
ليس نصفاً أن تواري ذكرياتٍ في قليبْ
ليسَ نصفاً وقُصارى ليس نصفاً: أن تجيبْ

****

---

* نظمتُ هذه الأبيات عند قدومي العمارة ، في ربيع الثاني ١٣٤٨هـ، الموافق أيلول ١٩٢٩م، لأرسلها إلى ابن عمي السيد نور الدين في النجف. وأهملتها. وبعد ١٧ سنة بينما كنت أجمع شعري من المسودات عثرت عليها وكان ابن العم قد أصبح قاضياً في مدينة صيدا. فأعدت النظر فيها وأضفت إليها الدورين الأخيرين وأرسلتها إليه.

أنــا لــمْ أنـس صبانــا   أفهــلْ أنــتِ نســيتْ ؟
والاعيـــب هـوانــا   مـن نظيــم أو شـتيـتْ
ومـواعيـــد لقـانــا   فـي صبـــاحٍ أو مبيـتْ
يـوم كنّــا فـي حمانــا   لا نبــالي كيْـت كيــتْ
كــلُّ دنيانـــا حـديـثٌ   عـن أنيـتٍ...مركريـتْ
وحكـايـــاتٌ طـويـــلا   تٌ عـن الحــبّ المميـتْ

****

أنــا لـــمْ أنـس فتـــاء   مــنْ شـبابــي اليـانـــعِ
أتحـــدّى ولـداتـــي   كـــلَّ بـــدرٍ طـالـــع
فـي ظــلام كــان منّــا   فـــي ســنـاء ســاطــع
وبجسـمي مــنْ نشــاطي   ســيلُ عـــزم دافـــع
وأمـــامـي ووراني   ألـــفُ خـــلٍّ تـابـعِ
أتهــــادى كمليـــك   بيـــنَ ألـــفيْ دارع

****

كــمْ مغــار قــدْ شـننّـا   فــي حمـانــا والجـــوارْ
وأثـرنـــا كـم خصـام   وافتعلْنــا كـــمْ شـجارْ
وعلـى الرّمـــل بنيْنــا   دولـــةً ذاتَ قـــرارْ
قــد حكمنـــا (أرض حيـــرام) بعـــدل واقتـــدارْ
ونصبنــا فوقهــا (الشنّـــبر(١)) حقــا (حكمـدارْ)
وغـــدا ملْكـــا لـديـــه (صولجـانٌ) و (ســوارْ)

****

وشـبْنــا .. وكـلانــا   مـن هـوانـا فـي مـزيـدٌ(٢)
واغتـربنــا نطلــب العلْـيـاء بالعلـــم المفيـــدْ

---

(١) الشنبر لقب لأحد رفاق الشاعر.

(٢) وهذان الدوران اللذان أضفتهما في جمادى الأولى سنة ١٣٦٥هـ نيسان ١٩٤٦م.

وشربنا الدهر يومين : مشوباً ورغيدْ
وأمانينا كحلم الطِّفْل بالثوب الجديدْ
فدرسْنا من سنيِّ العمر عشراً بل تزيدْ
بطماحٍ لم يحققه سوى الجهد الجهيدْ
****

واثنيْنا لنقاضي يومنا الآتي ثمنْ
واستبقنا الدَّهر نبنيه قصوراً في قنَنْ
وضربنا الحدس بالتقدير ، والتقديرُ ظَنّ
وحسبنا سوف يصفو العيشُ في ظلِّ الوطنْ
وسنجني الزرعَ سلوى والجنان الخضر منّ
وإذا النَّاتج من ذلك : حُلمٌ في وسنْ
****

فأجابني بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٤٦م من صيدا.

أيطيق الهجر صبٌّ شفَّه بُعد الخليلْ
أمْ يرى العيش هنيئاً رائق الورد جميلْ
أمْ يرويّ ظمأ النفس مياه السلسبيلْ
وهْي تحيا بِرؤى الماضي وعنكم لا تحولْ
فسوى وصلك لا يطفي من النفس الغليلْ
كيف أنسى شخص خلٍّ هو في القلب نزيلْ؟
****

أُرسل اللحن إذا ما عادني ذكرُ الحبيبْ
والشجى ملءُ فؤادٍ ذاب من فرط الوجيبْ
وشغاف القلب من ذكرك ألحانٌ تذوبْ
وأنا أبعثها عبر الفيافي والدروبْ

دائم التحنان للوصل فهل لي من نصيبْ
فاروَي غُلّة أجّجها فرط اللهيبْ

****

حيِّ أياماً تقضّتْ لا توفّيها النعوتْ
وعراما من أمان هي كالندِّ الفتيتْ
وقصورا من خيال سمقت للملكوتْ
لجلج الشوقُ لساني فتخيّرتُ السكوتْ
آه لو يرجع يومٌ ينظمُ الشملَ الشتيتْ
يا لها أيامَ سعدٍ ليس تُنسى يا فديتْ

****

حيِّه عهد الصبا عهد الفتون الرائع
حيث كنا كنشاوى في غرورٍ خادعِ
وسط أحلام تبدّتْ كسرابٍ لامعِ
لا نبالي عَنْتَ دهرٍ أو ملامَ الوازعِ
نرسل الطرف إلى آفاقِ جوٍّ واسعِ
يوم كنا لا نبالي عزم مَلْكٍ دارعِ

****

هو عهدٌ حافلٌ بالسّعد يحدوه اليسارْ
إذ بنينا دولة في الوهم من دون قرارْ
كم سفكنا من دماء برماحٍ وشفارْ
ولكم قُدْنا جيوشا حظُّ شانيها البوارْ
ثم عدنا وعلى مفْرقنا إكليل غارْ
يا لها مملكةٌ كا نت كأحلام الصغارْ

****

قـد حسونـا الصفـو عـلاً   متـرع الكــاس رغيــدْ
وسـمونــا النــاس فخـرا   مــن طـريــف وتليــدْ
بنفـوس عـن طـريق المـــجـد كـانـــت لا تحيـــدْ
وشـبـاب جـالــد الصّخْـــر بعـــزم مــن حديــدْ
فنظمنــا عقــد عـــزٍ   هــو كـالـــدُرّ النضيــدْ
وجنينــا خيــر مـــا يُجـــنى مــن العلــم المفيــدْ
****

وشـمخنــا للعـــلى نهـــزأ مــن صــرف الزمــنْ
وبعثنــا فــي الأنــام المـــجـد والخلــق الحســنْ
وبنيْنــا فــوق هـــام النّـــاس بالعـــزّ وطـــنْ
فجنْينــا الــزرع سلـوى   والجنــان الخضــر مــنْ
فــإذا التـاريخ يشــدو   عشتمــو علمـــاً وفـــنّ
****

لـولا يناشدني الرحم*

هيمــاءُ منـتزحي البعيــدُ وحــرُ وجـدي المضطــــرمْ
قـــدْ جــرّدا منــي الشبــاب رُواءه قبــل الهــــرمْ
أتشــرّدي عنكــم بــوادي التيـــه فــي دنيـــا ظُلَـــمْ
حيــران.. لا نجــمٌ بــه يُهــدى الضّليــلُ ولا علـــمْ
حـــرّان ذو نصــبٍ ولا أمـــلٌ يُـــروّحُ عـــن ألـــمْ
****

أنفيـــتُ فـــي دار لهـــا مـــن منتـآهـــا معتصَـــمْ
لا زورةٌ مـــن زائـــر تُـدنـــي الوفـــاء مـــن الذّمـــمْ

* أرسلتها إلى أخي الجواد من العمارة سنة ١٩٣٠م

لا رخصـــةٌ، فيطـوفُ فيهـــا مؤمـــنٌ حـــول الخـــرمْ
هـــل ذاك أطمـــع شـــامتي فمشـــى بساحتكـــم ونـــمّ؟!

****

أمـدامعـــي أم جســـمي الضـــاوي وســـهدي والألـــمْ
دلّـــتْ علـــيّ عثـــار جـــدّي فـــي طريقـــي المزدحـــمْ
فتناثـــرتْ مـــن حـــولي الأحقـــادُ تهمـــي كالدّيـــمْ
وتفتّحـــتْ مقـــلٌ قـــرأتُ بهـــا صحيفـــةَ مُجتـــرمْ
وســـوادُ حظـــي والدُّجـــى هـــذا وهـــذا ملتـئـــمْ
لكـــنّ ليـــلي أم تُـــرى حظـــي البهيـــم المدلهـــمّ
للّيـــل نجـــمٌ ســـاطـــعٌ لكـــنّ نجمـــي قـــد أُغـــمّ
واليـــوم مـــا يـــومي ؟ يواصـــلُ ســـيره أم يستجـــمّ
وإذا تـدابـــرت الجـــدودُ مُظفَـــرٌ أم منهـــزمْ
وإذا تظـافـــرت الجهـــود أنـاشـــزٌ أم منسجـــمْ
وإذا تـــراءتْ فـرصـــةٌ أمســـوّفٌ أم مغتنـــمْ

****

وغـــدي كأمســـي يـــا تُـــرى متجهّـــمٌ أم مبتســـمٌ؟
أتُـــراه يُقبـــل بعـــد إدبـــار ويُعطـــى مـــا حُـــرمْ
أأحبتـــي والعهـــد بيـــن غـــدي وأمســـي المنصـــرمْ
خيـــطٌ تـوهّـــن بالصُّـــدود حـــذار مـــن أن ينجـــذمْ

****

غالبـــتْ وجـــدي فيكمـــو والوجـــدُ طـــاغٍ محتـــدمْ
ووقفـــتْ حيـــثُ مزالـــقُ الأقـــدام فـــي مهـــوى النّـــدمْ
وســـدرتْ أوشـــك هاويـــا لـــولا يثبّتنـــي القـــدمْ
وشـرعـــتْ فـــي قطـــع الرّحـــمْ لـــولا يناشـــدني الرّحـــمْ

****

حيِّ الشباب*

حيِّ الشـباب الغضَّ فـي ريعانــه　　نشـــرُ الشّـذى كالـورد فـي بستانه
حيِّ العروبـــة بالشـبـاب شمائـلاً　　صفــوُ الشمائـلِ فيه فـي وجدانـه
فسمَاتُهـــا فـي وجهـــه ولسـانــه　　ويديـــه بـــل ببيانــــه وجنانِـه
وجُماعُهــا هي فيــه ملءُ عـروقـه　　نخــواتُ حُـــرٍّ ثـــارَ في أوطـانــه
حيِّ الشبابَ وقـد تذكَّـر مجـدَه الـــــغـلاّبَ فـي الذهبـيِّ من أزمانـه
يـومٌ تـزاحـم بالفتـوح فمــنْ ذُرى　　كرمـانــــه حتـى ذُرى لبنانـــــه
سلْ عن (محمدِنا) الزمانَ فهلْ ترى　　فتحـــاً كفتــح " محمَّـدٍ " بزمـانـه؟
خضعتْ له كلُّ (الجزيرة) في مدىً　　عمــرُ الشّـباب يهـلُّ في ريْعانـــه
وأتى (الصحابةُ) إذ مضىَ من بعدهِ　　يترسَّــمونَ خطـــاهُ فــي ميدانـــه
فمشـرِّقٌ زحف الرّجـا... بركـابــه　　ومغـــرِّبٌ مسْكُ الرّخـا... بعنانـه
أفهلْ سمعتَ بما أنـــاخ بـ(قيصرِ)　　فـي جانـب (اليرموك) مـن شطآنـه؟
أسْـرَتْ فـوارسُنَـا لتثكـل "قيصـراً"　　فـي موكـبِ الأعـراسِ من سلطانـه
لتلـفَّ جيشـــاً كـان نشــرُ ظـلالـه　　نصْـفَ الدُّنــى في خوفـه وأمـانـه

****

و(القادسـيَّةُ) يـومَ جـــاءَ بـ(رسـتمٍ)　　(كسرى) يَجيشُ بحربـه وعـوانـه
وأمـامــهُ (الأفيـال) تهـدج بالـرَّدى　　هـدجـاً يهـزُّ الكونَ مـن أركـانــه
قذفتْـهُ خيـــلُ اللـــه فوقَ حصانـه　　متشـرِّداً في البيـــد خلـف هَوانــه
ضاقـتْ بـــه الأرجــاءُ في أرجائـه　　وسـطـا عليـه الخوفُ في (إيـوانه)
لا الرّابضاتُ علـى ذُرى (همَدانـه)　　لا المشرفـاتُ علـى رُبَـى (كرْمانـه)
بالمدخــلاتِ الأمــنَ في حوْبائـه　　والمدنيــاتِ الـــروْح من جُثمانـــه

---

* كنت في نخبة من الشباب العاملي الواعي قد أسّسنا جمعية (الشبيبة العاملية) في صور وكانت هذه القصيدة أولى قصائدي الوطنية الجيدة نسبياً إذ كانت لي محاولات شعرية في السياسة . أهملت ـ صور غرة ذي الحجة ١٣٤٧هـ الموافق سنة ١٩٢٦.

ما ذاق طعم النوم وسط حصونه ... ورأى خيال الموت فوق حصانه
إمّا تطالعت الجياد هواديا ... نصَبَتْ ، وأذنابا هوت برهانه
وتعقّبَتْه على الفرار : فراكبٌ ... غُببُ النزول يغذُّ في رُكبانه
نسي الوقار ولجّ في تهيامه ... يرتادُ أمناً بعدَ خصب أمانه
وإذا بملك الأرض دان لسطوة السعربيّ ، ينعم في حمى إيمانه

****

هذي المواقفُ يا شبيبةُ فاقرئي ... عنوانها ، فالمجدُ من عنوانه
إنَّ الطريقَ تبيَّنتْ أعلامُهَا ... فتسابقي للمجد طلق عنانه
وترسَّمي خطاً وسيري للعلى ... وحذارِ أن تُفشيه قبل أوانه
فتسلَّحي بالعزمِ من إيمانه ... وتدرَّعي بالعلم من عرفانه
واسترشدي بالنُّور من ومضاته ... فسناءُ (أحمدَ) شعَّ في (فُرقانه)
أمّا الجديد فبعضه لكِ نافعٌ ... فخذي به ودعي المضرَّ لشانه
وكذا القديمُ وإنَّ غايةَ مأملي ... أن نأخذَ الإيمان منْ أركانه

****

أم السعالي*

ردِّد - أُخيَّ - على المسامع تاليا ... سُور الرَّشاد مثالثاً ومثانيا
تهدي (الغريب) إلى مسالك في المدى الـ ... ـنائي تشابهَ خطَّةً ومراميا
نصحٌ كمفتوق الصَّباح تطالعَتْ ... ومضاتُه خللَ الغمامِ روانيا
وإذا السماءُ مجالُها فتبسَّطتْ ... حتى زوتْ عنها الفضاء الدّاجيا
وانضحْ على قلبي نديَّ عواطفٍ ... ريًّا تُرشِّف في الجوانح صاديا
عصفَ النّوى فيه فجفّفه النّوى ... وانسلَّ في آلامه متواريا

---

* أرسلتها إلى أخي الأكبر السيد محمد علي إلى النجف الأشرف جواب رسالة وردت منه إليَّ في العمارة يناشدني فيها الإبقاء على (العلاقة المستجدة) هناك - العمارة ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م.

فبصمتــه الهـــادي إبـــاءُ كرامـــةٍ وصُــراخ مفجــوعٍ تجـــاوب داويـــا
وبلينـــه المنقـــاد جمحـــةُ عـــارمٍ كَمَنَــتْ لتبلــغ شوطَهـــا المتنائيَـــا
أقصرتَمــوه علـى الثّـــواء بجانــبٍ تجفــو مضاجعُــه الجنــابَ العاليـــا
هانـــتْ مناسبُـــه فهـــان خلائقـــاً وتصنـــعَ العجـــب الرخيص تفاديَـــا
وإذا تحـــدّثَ ســـامـــراً فكلامُــــه فـــحٌ يُزاحـــمُ عقربـــا وأفاعيـــا
لا يســـمع الجيــــرانُ إلاَّ صيحـــةً عَقــــدتْ بآفـــاقِ الـدِّيـــار مـآسيـا
فعشـــيره فـــي الـــدار إمّـــا ثـاكـــلٌ للصبـــرِ جُـــنّ أســـىً وجـــنّ مآقيـــا
أوصابـــرٌ، لا السمع أرهـــف حسَّـــه فـأقـــام منكمشـــاً وغـضَّ تعاميَـــا
متنفّـجَ الحضنيـــن يهـــدرُ واعظـــاً ويضـــجُ إرشـــاداً ويـرعـــد هـاديـــا
تلـــك الحبائـــلُ يستبيـــحُ بصيدهَـــا حرمـــاتِ صَـــوْنٍ أوعروضـــاً فانيـــا
يعشـــو إلى الأطماع في رأد الضحى حينـــاً وقـــد يعشـــو لهـــنّ لياليَـــا
أمّـــا أخـــوك فلســـتْ آمـــنُ ثـــورةً منـــه تُجيـــبُ مـــن الأكنّـــةِ داعيًـــا
حشـــرٌ من الغوغـــاء أُقْحـــم بينهـــا مـــن لا يجانسُهـــا حجـــىً ومعاليـــا

****

شــقـــاء*

هـــذا المثـالُ أمـا تـرينَ رسومـه ؟ كـرســـوم دارٍ للبـــلى متـــروكِ
مسحتْ عليـــه حياتُهُ من كفّهـــا الصّفْـــراءِ لـون شـعاره المحبـوكِ
هـــلاّ قـــرأت بـــه وقائـــع همّـــه مســـطـورةً بجبينـــه المصكـوكِ
هل تعلمين مدى شقائي؟ فانظـري ذا العقـــل ســـخّـر عقلـــه للنُّـــوكِ

****

---

*كتبتها على صورة لي أرسلتها لابنتي الطفلة نزهة التي تركتها عند جدتها في لبنان ـ النجف ١٩٣٠م.

جبـل عامـل*

جبل العروبـة ، يـا عـرين الضّـاد تـروي الدُّنـى علمـاً وقلبك صـادي
درجـتْ بندوتـك العـلومُ وأوغلـتْ في المشـرقين تشـيد فيـك نـوادي
طافتْ على اسم اللّه فيك أئمّـةٌ ذا حـاضـرٌ بلـداً وذلـك بـادي
حطّـوا بمختلـف البـلاد رحالهـم في فـارسٍ فـي الهنـد فـي بغـداد
وعلـى وهـاد تهامـةٍ ونجودِهـا رفّـوا برائـح سَفْرهـم والغـادي
ومشـارفُ اليمـن السّـعيد بِيُمنهـم حشـدوه إسـعاداً إلـى إسـعاد
غمروا بقاع الأرض فيض معارفٍ يُتلـى بفيض هـدى وفيض رشـاد
(ألعامليّ) ومـنْ مضـى مـن صحبه رادوا ، فكانـوا أصـدقَ الـرُّوَّاد
تـركوا بكـلّ تنوفـةٍ(١) نـزلـوا بهـا ريّـاً وربعـاً آهـلاً بـالـزاد
تركـوا بـلادهمـو ولكـنْ لا قـلـىً منهـا ولا منهـم رضـا ببعـاد
لكنّمـا بلـدُ العبـاقـر (عـامـلٌ) يُنمـي العبـاقـرَ سهلها والـوادي
جـادتْ على الدُّنيا بهم فهمو بهـا أعـلامُ حـقٍّ خـافـقٍ وجهـاد
أمّا النّـوى فحديثهـم زادُ السُّـرى يهـدي لهـا السلـوى مـع العُـوّاد

****

يـا روضـة الأدبـاء حولـك حوّمـوا كالنّحـل تجنـي أطيـب الأوراد
طافـوا بمشـتار الشّـهاد أذابـه متكفّـئٌ بالشّـهد صـوب عهـاد
نبتتْ بتربتك الفنـون وأزهـرتْ ببـراعـة الكتّـاب والنقّـاد
عهـدٌ بـ (جزّيـن) وعهـدٌ بعده (جُبـعٌ) تـؤثّـل مجده في الضـاد
أأقمـت من (عهديْك) يوماً نجتلي بمـروره عيـداً مـن الأعيـاد؟
والذكريـاتُ مـن العزائـم ثـورةٌ كالنّـار أضرمهـا شـرارُ زنـاد
في ذمّـة الإنصـاف ضيعـةُ تالـدٍ بجـرانِ ضالعـةٍ وفقْـدِ قيـاد

---

* هذا الجبل الذي كان معرفة وأصبح نكرة في جمهوريته الفاضلة ـ العمارة ١٩٣٠م.

(١) التنوفة: المفازة. وقيل الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس وإنْ كانت معشبة.

بين الحجاب والسفور*

زعموا الجديد، وما عنوْا تجديدا لكنّهم قد أمعنوا تقليدا
والأقدمون بزعمهم ما حقّقوا فيما أتوْا لقديمهم تأييدا
رأيان يجتذبان فضل إزارها وتضلُّ حيرى لا تريمُ قعودا
هذا يرى تحريرها وكأنّما الدِّينُ الذي أودى بها تقييدا
فيرى لها رفعَ الحجاب لكي تُرى سعدى تباري في الحياة سعيدا
والاختلاط كما يراه تمدُّنٌ يُضحي به عقْدُ الحياةِ فريدا
مزجٌ يهذّبها، ويشحذ عزمَه - فيما يقال - مهنّداً معدودا
وتحمّس "الحنفاءُ"(١) فيها مذ رأوْا ألدِّينَ حتّم (وضعها المصفودا)
لصيانة الحُرم التي في خدرها حشدَ القديمُ سناءه المعبودا
حرصاً عليها أن تُصاحب فاتكاً ذئبُ الفلاة أعفُّ منه برودا
وكلاهما لمْ يفهما من ديننا إلاّ الهوى، وتأوُّلاً مردودا
لا حجْرها دينٌ ولا تحريرُها: أنْ تشرئبَّ ترائباً ونهودا
ألدِّينُ حرّرها، وما حُجرت به ألدينُ أحيا جدَّها الموءودا(٢)
ألدِّينُ عرّفنا بها إنسانةً كانتْ بنا إنساننا المفقودا
قرن اسْمها باسم الرِّجال مشرّعاً فيهم لها التكريمَ والتمجيدا
وأنالها من حقّها ما ضيّعتْ كلُّ الشّرائع، حقّها المجحودا
فسح المجال لها لتأخذ حظّها أدباً ولمْ يجعلْ لذاك حدودا

---

* نظمت هذه القصيدة في سنة ١٩٣٠م وكنت طالباً في النجف الأشرف حين أثارت السيدة نظيرة زين الدين معركة الحجاب والسفور وآزرها على ذلك بعض رجال الدين الرسميين في لبنان وانقسم المفكرون والأدباء بين منتقدٍ وناقدٍ، وهذه القصيدة من آثار تلك المعركة ـ النجف ١٩٣٠م.

(١) الحنفاء: المتمسكون بدينهم.

(٢) إشارة إلى وأد البنات قبل الإسلام وقد حرّمه الدين الإسلامي.

لتحولَ البيتَ الوبيَّ(١) بعلمها روضاً ينمّي للحياة ورودا
يحتلُّ منه الطفل أبهج منظر تزهى به الأم الرؤوم جهودا
وعلى الزّمان تُقام في أفيائه أعياده الغرّاءُ عيداً عيدا
ألدّين شرّفها فكانتْ ملكةً في البيت: تحكم سيّداً ومسودا
وأقامها فيه تُهدهدُ أمّةً في المهد: تُنشئ طارفاً وتليدا
تبني الحياة جديدةً وتُعيدُها زهراء تشمخ في الدُهور صعودا
وعلى الممالك في الفتوح طوالعٌ أملاكُها يقفو الرشيدُ رشيدا
كم أسّستْ بيمينها منْ دولةٍ شمّاء تهزأ بالصّروف صمُودَا
بُنيتْ على الطّفل الذي في حُضنها هلّتْ طوالعُه: فكنَّ سُعودا
وبأيْدها(٢) مسحتْ عليه فإذا به شُدّتْ سواعدُه: فكنَّ حديدا
وبنفحةٍ من روحها طمّاحةٍ عقدتْ عليه أعنّةً وبنودا
ولطيمةٍ(٣) من ريحها عُلويّةٍ قدْ أنشأتْه (فرزدقا) و (لبيدا)
فاستنزل الإلهام من آفاقه وكفاهُ.. لا تصويب لا تصعيدا

****

الأمُّ أوّل معهدٍ ينمو به طفلٌ، تزوّد عدّةً وعديدا
والطّفلُ إذ يغشى زحام حياته منها تزوّد عُدّةً وعديدا
فيكون: إمّا في الوهاد قُمامةً ويكون: إمّا للعُلى إقليدا
هذي الفرائضُ لا يقومُ بحملها غلب الرّجال: أجادلاً وأسودا
هي للتي قد قيل عنها أنّها (قارورةٌ)(٤) تدعُ الزّحام بعيدا
وإذا دنتْ منه فأيُّ جريمةٍ تدعُ النظيم من الحياة بديدا

---

(١) الوبيّ: الموبوء، والمعنى تشفيه من وباء بعلمها.
(٢) الأيْدُ: القوّة.
(٣) اللطيمة: المسك.
(٤) إشارة إلى الحديث الشريف: رفقاً بالقوارير.

أعظمْ بهـا (قارورةً) قـد حُمّلـتْ عبءَ الحياة فمـا شكتْ مجهودا
نهضتْ فما وهنتْ كواهلُ عزمها ومضتْ فمـا ألـوتْ يدا أو جيدا
ظنُّـوا بهـا محدودة الأعمال لا تجتـاز منهـا أمرهـا المحدودا
لا. إنّمـا التاريخُ من أعمالهـا فتصفّـحِ الأحـداث فيـه ونيـذا
تجدُ العواتقَ(١) فيه نـارَ كريهـةٍ وسـناء يـومِ آمـنٍ ورغيـذا
عهدي بها في البيت حِلْسُ(٢) متاعه أو دميـةٌ تـزدان فيـه عُقـودا
تطهو الطعـامَ وقد تُجيـدُ حياكـةً ترفـو القديمَ وقـد تخيط جديذا
قـد تصنعُ الجيـلَ الجديدَ أناملٌ صنعـتْ طـرازاً ماتعاً وبـرودا
وتُقـدِّم الرَّجـل المهـذَّب للعلى كـفٌّ تُقَـدِّم قصعـةً وثـريـذا

****

جمال القبح*

أعلى التّصـافي والمحبّـة والـولا عقـدٌ تصافقنـا عليـه أم القلـى
فأجـاب فـي قلبي مثـاليُّ الهُـدى صوتـاً بأصدق مـا يُقال مُجلجلا
ليس الوفاءُ بشرعِ مَـنْ ذاق الهوى شـرطاً بعقـدٍ إن تعطَّـل أُبطـلا
إن المُحـبَّ هو المُقيـمُ على الوفا للحـبِّ أدبـرَ عنـه أو هـو أقبـلا
وهـو المصفّدُ فـي الغـرامِ فُـؤادُه رغـم انتفاضـاتٍ تَـودُ تحـلُّلا
يقتـادُه كبـرُ الحبيـب بذلّــةٍ فيُطيعـه ـ وَهْـوَ العزيزُ ـ مهرولا
يكفيـه مـن ربْـع الحبيـب تشوُّفٌ يُـوري بـه زَنْداً ويعقُد قَسْطلا(٣)
ومَـنَ الحبيـبِ على البعـادِ تَنَسُّمٌ يأسـو بـه جرحـاً توسَّـد مقْتـلا
وتأثُّـرٌ عنـد التَّـداني للخُطى... يَسـتاف تُرْبـاً أو يُقَبّـل منـزلا

---

* النجف الأشرف ـ ١٩٣٠م.

(١) العواتق: الصبايا.

(٢) الحِلْس: المتاع البالي الذي يُبسط تحت المتاع الثمين.

(٣) القسطل : غبار البحر.

والقفْـــرُ إن جـلَّ الحبيـبُ بجدبه … يرتـــادُ منــه خصبُـه المتهـدِّلا
فالرِّيحُ ما تُسفيه من رملٍ صَبا … غـادى الفــؤادَ بطلِّـــه فتبلَّلا
وعـواسجُ القفْـــر اليبيسة رطبةٌ … مـنْ يبسها وردَ المولَّـــهُ منـدلا
يرويـه من هـذا السّـراب وميضُه … ومنَ اليبـاب يقوتُـه يبسُ الكلا...
أمّــا الحبيـبُ فشأنُه ما يشتهي … أتثبُّتـــاً فـي حبِّـه أتزلـزُلا؟
أتنـــازُلا عـن عهـده فتحـولا؟ … اتحـلُّلاً مـن وعــده فتنصُّـلا؟
أتخلُّفـــاً عـن موعـدٍ أموافيـا … أممانعـــاً فــي وصلـه أمنـوِّلا
مــا أن يُبـالي بالمُحبِّ أمُدنفـــا … أمُعذِّبـــاً ؟ أمنعِّمـــاً ؟ أمـدلِّلا

****

زيجـــــة*

أراد (فـلانٌ) أن يـزوِّج بنتـــهُ … فزوَّجها من عازبٍ غيرِ راغِبِ
وكـان لـه من ذاك مـأربُ طـامعٍ … فأغرى ذويه بينَ صنْوٍ وصاحبِ
فقدّمهـــا من غير مهـرٍ هديَّـةً … سوى حاضرٍ رمزٍ وآخرَ غائبِ
وجاءتْ وفودُ المحتفين فماخـرٌ … على لجّـةٍ أو راجلٌ إثـرَ راكبِ
وتـمَّ اجتمـاع الـوافدين ووزّعـتْ … كـؤوسُ تهانيهـا على كلِّ شـاربِ
وفوجئ هذا الجمعُ بالمهر غاليـاً … وأقسـمَ منهم صادقٌ غيرُ كـاذبِ
فما مُهرتْ (بـورانُ) قدْماً بمثلـه … ولا مُهرتْ من قبلها بنتُ(حاجب)
فيـا ويْحهـا من زيجـةٍ ثعلبيَّـةٍ … تـدارسـها مـن بعدُ جمعُ الثعالب
تظاهـر فيها خبثُ ذاك وطيبـةٌ … بهذا وإنَّ الطيب نشـرُ الأطايبِ

****

• العمـارة ١٩٣٠م

شاعــر وطائــر*

الشاعر:

طيـرُ حلّـقْ في السَّـماءِ الصّافيةْ　وانطلقْ حرّاً وطـفْ حولَ الغيومْ
أقصـــاراكَ بهـــذي الزّاويـــــةْ　نفس حـرٌّ وحيـــاةٌ فـي سـهومْ؟

الطائر:

خلّـــني إنّـــي تعــوّدتُ الكـــدرْ　وألفتُ العيشَ فـي هذا القفصْ
لـم أحلـقْ في الفضا منذ الصّغرْ　قـصَّ صيّـادي جنـاحـي بمِقصْ
كيـف أنجـو ؟ وإلى أيـن المفـرّ　مـن إسـاري ؟ إن هـذا لقـصصْ
لا تعلّلْـــنـي فنفســي الـواعيـــةْ　حدّثتْنــي أنّ دهـــري للّئيــــمْ
ســانـراً في الناس حيثُ الهاويـةْ　ونخـالُ السَّـير يُفضـي للنعيــمْ

الشاعر:

هذه الأزهار في الروض الجميـلْ　قُــمْ تنقّـلْ بيـن رنـــدٍ وخُـــزامْ
وارشف الطّلّ عنِ الوردِ شـمولْ　إنّـهـا بالأصـل مــن مـاءِ الغمــامْ
ونسـيم الفجــر عـــذبٌ وبليـــلْ　فترنّـــمْ بـأناشـــيدِ الغــــرامْ
والبس الرّوضَ بـروداً ضـافيـــةْ　وتبـــوّأْ مقعـدَ الزهــر الكريـمْ
وانبـــذِ الألغـــازَ عنّـــا ناحيَـــةْ　إنّنـا غُـرْبٌ صـراحٌ فـي الصّميمْ

الطائر:

خلّني يـــا ذا الحنـــانِ الكــــاذب　لا تعللنــــي بــــآل الأمنيـــاتْ
قفصـي هـــذا رحيـبُ الجـــانــب　مذهَـب القضبانِ مَلْكيُّ السِّماتْ
وفـــرُ عيشٍ رغـدٍ ، والـدارُ بـي　غـــرِدٌ: إصبـاحَـةُ والأمسـيـاتْ
أتُـرانـي فـــي حيـــاةٍ ثـانيَـــةْ　أتملّى العيــشَ بالرَّغْــد المقيـمْ
أنـــا بـــاقٍ هـهنـا فـي عافيـــةْ　بلـــدٌ خصبٌ وربٌّ بـي رحيـــمْ

****

---

* النجف ١٩٣١م ـ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ.

الشاعر:

لا تخفْ يا طيرُ إنّي شاعرٌ ... لكَ أفياءٌ بنفسي وارفةْ
لك يا طيرُ كياني ثائرٌ ... مثل نارٍ أضرمتْ في عاصفةْ
أنا يا طيرُ ضميرٌ سافرٌ ... مازَهُ في الناس صدقُ العاطفةْ
ليس فيه عن صديقٍ خافيةْ ... إنّه قولٌ صريحٌ مستقيمْ
طيرُ قُمْ واسرحْ فهذي الرابيةْ ... نسجتْ حلّتَها أيدي الغيومْ

****

طيرُ رفرفْ بجناحَيْك وطرْ ... وتنقّلْ في غصونِ الشَّجرِ
وترنّمْ فلك القلبُ وتَرْ ... و(كمنجاك) حنينُ النّهرِ
في نجيٍّ ليس غيري والقمرْ ... لك يُصغي والنجومِ الزُّهرِ
لا شجيٌّ بيننا أو شاجيةْ ... فمراحُ اللهوِ ماحٍ للهمومْ
أتْرعِ الأقداحَ هذي الخابيةْ ... في الخوابي كرمُها أمُّ الكرومْ

****

وأعدْ لي سالفَ العهدِ القديمْ ... واطّرحْ عنّيَ ذكرَ المقبلِ
غنّني بين رحيقٍ ونديمْ ... أجودَ الألحانِ: لحنَ (المُوصلي)
تلك أيّامٌ حفيلاتُ النعيمْ ... تلك أمجادُ الغنا والغزَلِ
قد تقضّتْ ما لها من باقيةْ ... وتلاشتْ بين طيّاتِ السَّديمْ
ما أُحيلى ذكرياتٍ زاهيةْ ... بكؤوسٍ مترَعاتٍ ونديمْ

الطائر:

إيهِ قد هيَّجتني بالذِّكريَاتْ ... قد حكاها ليَ أمّي وأبي
يومَ كانا في الليالي الداجياتْ ... هالةَ العشّ ونورَ الغيهبِ
يسبقانِ الفجرَ بين الفجواتْ ... والصبايا في كرومِ العنبِ
حولَها الفتيانُ عندَ الداليةْ ... كيعاسيبَ على الزّهرِ تحومْ
ففتىً غنّى فتاةٌ صاغيةْ ... وفتاةٌ رجّعتْ صوتاً رخيمْ

****

غُرُفــاتُ الخُلــدِ تلك الهضبــاتْ ضمَّــتِ العُشّاق: ولدانا وحـورْ
زقَّهــا الحــبُّ لـذيـذاً كالحيــاةْ ولُبابــاً لــم يُكـــدَّرْ بالقشـورْ
ونـديّـــاً كسـقيـط القطـــراتْ رشّةُ الأسحارِ في ثغر الزُّهـورْ
باركتْهـــا يـــدُ قُـــدسٍ حانيَـــةْ باركــتْ من قبلهــا نــارَ الكليمْ
واستقرَّتْ في ثغـورِ الفاغيـة(١) أو قلـوبٍ من جواهـا فـي حميمْ

****

رشحاتٌ تلك مــن عطـرٍ وراحْ من جنان الخُلدِ هبَّتْ في السَّحرْ
وعلى الرَّوض بدتْ عند الصَّباحْ قطــراتٌ تلــك؟ أم تلـك دُرَرْ ؟
في ثغور الغيـد أو نَـورِ الأقـاحْ فــي جفـاء البَدْوِ أو لينِ الحضَـرْ
هرَبَــتْ منهــا السَّماءُ العاليَــةْ قطــراتٍ حوَّلتْهــا لسـمومْ
فانحنــى (تمـوزُ) فـوقَ الداليَــةْ يُودِعُ السِّرَّ (لتشرينَ)(٢) الكتـومْ

****

لا تذكِّـرْنــي بمــاضٍ فائــتٍ لـمْ أذقْ منــه قليــلاً أو كثيـرْ
غيـرَ مـا تُوحـي لفكـرٍ مائـتٍ ذكريـــاتٌ كضبـــابٍ أو قتيـــرْ
قـــد أسرَتْهــا بصــوتٍ خافــتٍ لـمْ تُبلِّــغْ مسمعي إلاَّ اليسيـرْ
أُلْـهُ عـن ذكـر الليالي الماضيــَةْ بأحاديـثٍ سواهـا أو وجــومْ
تلــكَ ذكـــرى لكيـاني ماحيَــةْ فهْيَ نـــارٌ وأنـــا فيهـا هشيـمْ

****

شــهداء*

أتُباحُ أرضُ العُربِ مـن غُلاَّبهـا وأسودُها تَلقى الأذى في غابِهَا؟!
هـذي شبيبتُهـا وذلك حقُّهـا الــ مغصوبُ بينَ وِهادِهَا وهِضابِهَا
زحفَتْ تُطالـبُ بالحقوقِ سلاحُهَا إيمـانُهَا الملتَـفُّ فـي أثوابِهَــا

---

(١) الفاغية : زهر الحنّاء ، أو زهر كلّ ما له رائحة طيّبة.
(٢) تموز ينضج الأعناب وتشرين يعتصرها خمراً.

* نشرت في مجلة العرفان سنة ١٩٣١م ، يوم ثارت فلسطين لإحباط وعد بلفور.

ما أحجمتْ والموتُ شاهدُ عينِهَا   والعيشُ يُغريهـا وغضٌّ شبابهَا
قـد أثبتتْ أنَّ الحيـاة شـهادةٌ   تُبنى حيـاةُ العـزِّ فـي أعقابهَـا
ما هابتِ الموتَ الزؤامَ - وغيرُها الْهيّـابُ - ملتطمـاً علـى أبوابهَـا
فمشتْ إلى مثوى المشانق ترتقي   أعـوادَهَا وحبالُهـا بـرقابهَـا
وتأرجحتْ من فوقهنَّ فخـورةً   مرفوعـةً رأسـاً مـدى أحقابهَـا
****
يا قصةَ القُدسِ الشّريفِ وكم بـه   مـنْ حُـرّةٍ هُتكَتْ برفـعِ حجابهَا
وصبيّـةٍ بـاتَـتْ تُعـانـي ذُلّهـا   والعـزُّ كـلُّ العـزِّ مـن أترابهَـا
وأمومـةٍ ثكـلى مُولّهـةٍ بهـا   - من ثُكلِهَا - ما قد مضى بصوابهَا
فقدَتْه فـي أحضانهَـا فدموعُهـا   ودمـاؤه حَـلاً مَحـلَّ خضابهَـا
****
واضيْعَـةَ الإسـلام بعـدَ (مُحمَّدٍ)   ومذلّـةَ العَربـاء مـن هُيَّابهَـا
أمِـن " اليهودِ" يلينُ صعْبُ قناتها   وأسودُهـا تعنـو لـذُلِّ كلابهَـا!
فـي كـلِّ يـومٍ للعروبـةِ مَشـهدٌ   يُنبـي بـأنَّ العـزَّ مـلءُ إهابهَـا
أفـلاذُ لبنـانَ الأبـيِّ وأُسْـدُه   وشـبولُ سوريّا وفَخْـرُ شبابهَـا
مـن قبـلِ ذلـك ثوّبـوا وتواثبـوا   لبنـاء أمجـادٍ مضـتْ بثوابهَـا
يجلـون عنهـا مَنْ أنـاخ ركـابـهُ   ببـلادهـم وأذلّهُـمْ برحابهَـا
فتساقطـوا: هـذا علـى أعـوادهَـا   شَـنْقـاً وذاك مُعفَّـراً بتُرابهَـا
****
وقـوافـلٌ قـد غلّسـتْ بفـوارسٍ   هـيَ للخُلـودِ تسابقـتْ لمآبهَـا
فهُمُـو بهـا فـوقَ المشانقِ أنجـمٌ   سطعتْ تُنيـرُ الدّربَ في أعقابهَا
دبُّـوا بليـلاتٍ تقمّصهـا الـرّدى   وبـدا شَخوصـاً لُـفَّ فـي جلبابهَـا
وتطلّعـتْ مثـلَ الأبالسِ أروُسٌ   سِـيَّانِ فـي أكمامهـا وجيابهَـا
وإذا المشـانـقُ والحبـالُ تعلّقـتْ   فيهـا نفـوسٌ عَذْبُهَـا بعذابهَـا
وتعـاقبـوا... ففتـىً أمـامَ قرينِـه   كالشّمسِ عَصَّفرهَا أصيلُ غيابهَا

وفتىً كزهرِ الرّوضِ عهدُ حياته ... عهدُ الزُّهورِ بطلِّها وحبابِها
تجري فتوّتُه بماءِ شبابِه ... جريَ العطاشِ إلى برودِ شرابِها
قد جفّفتْهُ من الظّهيرةِ نسمةٌ ... بثَّ الهجيرُ سمومَه بلعابِها
وفتىً تقدّم كالفنيقِ بخطبةٍ ... أملى الخلودُ عليه فصلَ خطابِها
" لا تجزعوا إنّ المماتَ شريعةٌ ... لا بدّ أن نُسقى بأكؤوسِ صابِها"
"هيّا أقدموا هدفي النّهايةَ أنتمُو ... تلكَ الجبالُ الشّمُّ من أقطابِها"
وفتىً تقدَّمَ ثابتاً في خطوِه ... ليثاً يُذعِرُ أُسْدَها في غابِها
فرأى المشانقَ عُلّقتْ بحبالِها ... أعناقُ خيرِ صِحابِه وصحابِها
في ليلةٍ نظرتْ بفجرِ ما بِه ... إلاّ المنونُ يدبُّ في أهدابِها
فتعاطفتْ فيه الشجاعةُ وانتخى ... في المشهدِ المرهوبِ وسْطَ ضبابِها
"أُرجوحةُ" الأبطالِ قافلةُ العُلى ... هذي المعالي فادخلوا من بابِها
وتساقطوا شُهُباً على بَوْغائِها ... سطعتْ تنير حضورَنا بغيابِها
أللّهُ ما فعلتْ يدُ " السفّاحِ " في ... أرضِ النُّبوّةِ: سهلِها وهضابِها
أرضٌ بها للمرسلين رسالةٌ ... ألأمنُ فيها كانَ رجْعَ جوابِها
شادتْ بها العرباءُ أعدلَ دولةٍ ... نَبْتُ الحضارةِ كان من أطيابِها
وامتدّت الأرضُ الفسيحةُ تحتَها ... ذُلُلاً تسيرُ مسيرَها بركابِها
ألشّمسُ أين جرتْ فذلك مُلكُها ... والغيثُ أنّى هلَّ سَقيُ ترابِها
وأعادَ كرّتَهُ الزمانُ إذا بها ... منكوبةٌ رأساً على أعقابِها
فموطِّئاً منها رؤوسَ كرامِها ... ومرفِّعاً منها شَوى أذنابِها

****

سمعاً بني وطني بلادُكُمو غدَتْ ... نهبَ الغريبِ يَعيثُ في محرابِها
فمنابعُ الخيراتِ سُدَّ مسيلُها ... ومرافقُ العمرانِ بعضُ خرابِها
وخرائبٌ أكُلٌ بقيّةُ فضلِها ... فله الجنى؟ ولكم وميضُ سرابِها
والسّعرُ كالأوطانِ في رُخصٍ سوى ... أنّ الدّراهمَ في يَدَيْ أغرابِها

أوما سمعتم قد تجاوب أفقها بنعيق بومتها ونعب غرابها
عودا شبيبتنا لسالف مجدنا أتنالُ أمجادٌ بغير طلابها؟
أتطامُنٌ ؟ أتخاذلٌ ؟ أتفرُّقٌ ؟ ولنا بوحدتنا منيعُ جنابها؟!
هلاّ أراها ألِفتْ بشعوبها شعباً تُذِلُّ به جميع صعابها
أشبابَنا المرموقَ هذي نُدبةٌ ولها بنهضتكم بليغ جوابها
إنّ النفوسَ إذا تكونَ عزُّها فتحتْ به الموصود من أبوابها

****

ندم*

مالي أرى سمة الكآ بة في جبينكِ والنحولِ
أحسستِ بالبعدِ الطو يلِ فغصتِ بالهم الثقيلِ
هذا الفراقُ مُعذِّبي ومُجانبي قصدَ السَّبيلِ
بمقارعِ النَّدمِ الثَّقيلِ ومَصرع الصبر الجميلِ
يا حيرتي يومَ النَّوى ما بينَ رحلي والمَقيلِ
للأرض آمالي تُشدُّ وَشُدَّ جسمي للحُمولِ
أأسيرُ للمجهولِ لا أدري صعودي من نزولي
ولأنتِ.. لمَّا تبلغي عاماً من العمرِ الطويلِ
ولقد تركتُكِ تنعمين بنومكِ الهادي الجميلِ
أشفقْتُ أن يرتاعَ قلْبُكِ من وقوع المستحيلِ
فتريْن هذا المستهام يتيهُ عنكِ بلا دليلِ

---

* أرسلتها إلى ابنتي الطفلة نزهة وكانت قد أرسلت لي صورتها وعليها مسحة كتابة ـ النجف ١٩٣٠م ـ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ

شــالـــتْ نعامتُـــه وخـــــفَّ فلمْ يدعْ غيرَ الطُّلولِ
ألقيــتُ نظـــرةَ مُدنـــفٍ   عـــانٍ تـــزوّدُ للرَّحيـــلِ
ثـمَّ انثنيْـتُ أغـصُّ فــي   شجوي وأشرقُ في ذهولي
مــا كــان لي مــن مأربٍ   في (مشرق) الدُّنيا المَحيلِ
والخصبُ عندَ(مزالـقِ الشَّـــــمس) المنيـــرةِ في الأصيل
كـانـــتْ تُـراودني الأمـــا   ني ثـمَّ بالوعـــد المُنيـــلِ
وتشــــيرُ أحـــلامي إلــى   نبـعِ الثَّـراء إلـى المَسيلِ
فتحـوّلـــتْ للشَّـــرق أحـــــــلامي تُســـارع للأفـــولِ
قسماً برغمي قـدْ عثـرْ   تُ... فلوّمينـي أو أقيــلي
أنـا قـد جفوتُ... فلا تُقيـــــليني .. ولكـــنْ فاستقيلي
لا تســألي عنـــي... فعـــنْ أيّـامِـــكِ الزَّهـــراء سُــولي
قــد كـان والـدُك الكريــــــــمُ عليـكِ ذا قلـبٍ بَخيـلِ
****

وحــدة الشــرق*

أليـومَ فـي الشَّرقَيْنِ عـمَّ إخــاءُ   سِـيَّانِ فيـــه الصيـنُ والبَلقـــاءُ
ألسـدُّ والنهــرُ القصـيُّ ودجلـــةٌ   والنيـلُ والعـاصي الـدنيُّ سَــواءُ
والشـامُ أختُ الهنـدِ في بَلوائهـا   مـا استصرخَتْ إلاَّ أجـابَ نِـداءُ
جسمٌ توحَّدَ بالخُطـوبِ إذا اشتكى   عضـوٌ لقُـرحٍ تَشـتكي أعضــاءُ
فلهـا مـن الشـرقينِ وَحـدةُ مَنبـتٍ   خَصْبٍ وفي مجرى الدمـاءِ نمـاءُ
أسمعْتَ كيفَ تزَلْزلَتْ أرجاؤهــا   للقُـدسِ إذ نـزلَـتْ بهـا الأرزاءُ؟
وتفجَّـرَتْ حِممـاً أصـاخَ لوَقْعِهـا   (غَرْبٌ) أصمُّ و(عصبَةٌ) عميـاءُ
****

---

* يوم ثارت فلسطين لإحباط وعد بلفور، نشرت في مجلة " العرفان " في عام ١٩٣٠م.

هـذي فلسطينٌ وذلـك قُدسُهــا هتكَــتْ محارمَهــا يَــدٌ شَــلاءُ
دفعتْ بهـا خلفَ الستار قِوىً لها مثـلُ الأفـاعـي ظـاهـرٌ وخفـاءُ
مـسٌ يطيبُ نُعومــةً في ظاهـر وحقيقــةٌ كمنَــتْ بهـا نكـراءُ

****

أنظـرْ أفـي أرض العـراق مآتــمٌ أم صيحـةٌ وصَـتتْ بهـا الهَيْجـاءُ؟
خفقتْ على الشطّيْنِ أعـلامُ الأسى وجـرتْ دمــاءُ عُيونِها الوطفـاءُ
وبأرض مصـر غابــةٌ مرهوبــةٌ شَجراءُ تُنمي دوحهــا العَربــاءُ
ما كفكفتْ عزماً تحوط بـه أخـاً و"الحـوتُ" يرقـبُ فعلهَا و"المـاءُ"
مـا راقبٌ (داءٌ) يوهِّـنُ عزمَهَـا و(فؤادُهـا) هـو فـي عُـراهُ الـداءُ
والشـامُ ما في الشامِ غيرُ زمـازمٍ هـــدرتْ وإلاّ مُزنَـــةٌ حمـــراءُ
جُنّتْ بها الثاراتُ تزفرُ في لظـىً أحقـادَهــا وزفيرُهــا البُرحَــاءُ
أتكونُ راضيـةً ولا تُمـري دمــاً مِنْ قبلِهـا لــم تُمْـره الأنـــداءُ
وتــؤوب ظامئـةً ولم تنزعْ رشـاً فيـــه تمـــازجُ أدمـــعٌ ودمـــاءُ

****

هـذي بــلادُ الشـرقِ ألَـفَ بينها ألـمٌ ويـأسٌ مـن غـدٍ ورجــاءُ
ولها على أرض (الغطارس) كرَةٌ بيضـاؤهــا مـن وقتهَــا سـوداءُ
كانــتْ بــلادُ العُـرب دولـةَ عالـمٍ سُكّانُــه فــي ظلّهــا سُــعداءُ
ولهــا مـن الدنيـا الرحيبة نـدوةٌ فيهــا الشــعوبُ أحبّــةٌ نُدمــاءُ
فتحــدَّرتْ فيهـا طوالـعُ أُمَّـــةٍ أغفَــتْ فأغربَ نجمُهـا الوضّـاءُ
وكـذلـك الأيّــامُ دُولــةُ غــالــبٍ يَقِــظٍ وللسّــاهي النّــؤومِ فنــاءُ
وغفـتْ بقفـرٍ مــا أثــارَ غبــارَهُ ركْــبٌ ولـم يُـؤسِ سُــراه حــداءُ
وتصرّمــتْ أيامُهــا وتعاقبَــتْ ليـلاتُهــا المســوَدّةُ الليــلاءُ
وقضــتْ قرونـاً كلُّهـنّ حوالـكٌ مــا فــي السّماء ولا الفضاء ضياءُ
أمّــا الدليــلُ فـلا دليـلٌ يُرتجى منــه الهدايــةُ والطريــقُ عمـاءُ

وإذا بخاتمـــة العواصـف تنْجـلي عبقـى وفيهـــا الهبَّـــةُ الهوجـــاءُ
هبّـتْ منَ الغرب السحيق بمغرب في فعلـــه وفعالـــه إفنـــاءُ
تجتـــاحُ أركـانَ البسيطـة كلّهـــا أليبْـسُ فيهـــا والرّطيـبُ ســواءُ
فنسورُه عاشـتْ بأجــواز الفضـــا فارتـــاعَ طيـرٌ وامّحَـتْ أصـداءُ
غبَّ الصباحِ لها عـروجٌ مُبكـرٌ ولهـــا بأعقـاب المســا إســراءُ
تُلقي الجحيـم قذائفـــاً وإذا على دُنيـا السَّلامـة والصّفــاء عفــاءُ
وسفينُهُ في البحر يُرسـلُ عاصفـا للبـرّ ثُـمَّ يمــرُّ وهْـــو رخـــاءُ
والبرُّ ما في البرّ غيــرُ زعــازع ألسيفُ يعصفُ بالـورى والـــدّاءُ
فتعـرّتِ الرّوضاتُ مـن حُلل لهـا فـي الآمنيـــنَ أظلّـــةٌ ورْفـــاءُ

****

ألغـربُ تكتســح البــلاد جيوشُـهُ والشّـــرقُ جيـشٌ فلّـــه الإعيـــاءُ
ذي فُرصـةٌ يـا مَـنْ يُريـد تحـرُّرا ...ويكشَـفُ الجُلّى امــرؤٌ جَـــلاّءُ
وتحفّـزتْ همـمٌ ورفـرفَ فوقهـا علـمٌ.. ووحـيٌ للنهـوض نـــداءُ
وإذا العروبـــةُ تغتلـي في فيلـق يُجريـــه فـــي مَيدانـــه غلْـــواءُ
تتحـــاز للجيش الحليـف وربّمـــا فـي السِّـمّ يشفى مَنْ عـراهُ الـداءُ
أملـى (حسينٌ) عهـدهُ بشروطـــه والعهـــدُ عنـــدَ الأقويـــاء هبــاءُ
أمّا الوفاءُ.. فعنـه سائـلْ "قبرصـا" فهنـــاك وفّـــى أجــرَه الدأمـــاءُ
ومضى كما قدْمـاً مضى الشّـهداءُ يحتثّــــه للتضحيـــات نـــــداءُ
لـولا فلسطينٌ لكـــان أبو العلي "لـــدى " الحليـف، محلّـه الجوزاءُ
لكـنْ أبـى إقـرار "وعـدٍ" ظالـــم أيقـــرُّ منـه على الهَـوانِ إبـــاءُ؟!
لا.. إنّمـا قـــد خفَّ منـــه نـداءُ فـــوّارةٌ مـــن نابضَيْـــه دمـــاءُ
وأضـــاع فيهـا مُلْكــه.. وكـــذا لـــه سَلفٌ لهم في التضحيـاتِ غَنـاءُ
إذهبْ "حسينُ" فرمسُك الأقصى كما قــــد شـــئتَهُ وجـــوارُك الإســراءُ
نـمْ هانئـــاً إنّـــا لقُدسـك جُنّـــةٌ ولنـــا مـــع اليـومِ العَصيـــب لقـــاءُ

وَضُحَ الطريقُ فقبسةٌ من مجدِنا ضاءَتْ بها آفاقُنا الدكناءُ
قد كُنتَ فيها القَدْحَ خلْفَ شُعلةٍ هي في العزائمِ ثورةٌ حمراءُ
في الناشئينَ تبثُّ روحَ نهوضِها لبناءِ مجدٍ ذكَّهُ الدُّخلاءُ
تَغلي دماً بعروقِهم ولها غداً بسجلِّ مجدٍ قادمٍ إمضاءُ
قِدْماً على السننِ الجديدِ شعارُنا موتٌ بعينِ اللهِ أو إجلاءُ
ما ذلَّ شعبٌ والشبابُ حُماتُه والمُنهضانِ : حميَّةٌ وإباءُ

****

"بلفور" يُعطي وعدَه لمُشرَّدٍ في أرضِنا... هذا الكلامُ هراءُ
فلْيُعطِه من أرضِه وطناً يفي وعداً له .. فلهُ هناك وَفاءُ
أمَّا هنا لا الوعدُ حقَّ وفاؤه فينا ولا وطنٌ ولا إعطاءُ
نحن النَّماءُ بأرضِنا ينمو بها أبناؤنا ونما بها الآباءُ
ألمالكونَ لها نُرويّ تُربَها بدمائِنا إنْ عزَّها إرواءُ

****

جَدٌّ عاثر*

جَدّي لهذا الدهرِ عاثرْ وعُلايَ فوقَ النجمِ زاهرْ
إنّي أرى كفَّ المقادرْ رهناً بها كلَّ المصائرْ
عبثاً يجدُّ الحرُّ في طلبِ العنى والجدُّ عاثرْ
ألخاملُ المكدودُ جَهْـ ـلاً نابهٌ في المالِ قادرْ
والنَّاشِطُ الموفورُ علْماً خاملٌ في الفقرِ خائرْ
قصُرَ الزمانُ به فما هو بالمقيمِ ولا المسافرْ
غفرانَك اللّهمَّ هذا ما ابتلَيْتَ به السرائرْ

****

---

* أرسلتها إلى أخي السيد محمد جواد سنة ١٩٣١م.

ألصبــرُ شيمــةُ كــلِّ ظافــرْ   مــا خــاب يومــاً قــطُّ صابــرْ
إنْ مُــدَّ فــي أجَـلي ســتبــدو للــورى منّــي ســرائــرْ
سيمــرُ يومــي فــي غــدِ   بالأمــسِ يمنحُــه معــاذرْ
وأخــوكَ فــوقَ جــوانــح الْــعزمات للغايــات طــائــرْ
أمّــا إذا اقتطــفَ المنــو   نُ شــيبتي والغصــنُ نــاضــرْ
فلكــم فتــى ضاقــتْ بــه الــدُّنيــا وضمَّتْــه المقابــرْ
ولــه الأمــانــي كالــدُّرا   ري ضُيِّعــتْ بيــنَ الحفــائــرْ
مــنْ كــان مثــلي بالنَّــبيِّ وآلِــه شــدَّ الأواصــرْ!
لا غــروَ إن عقــد الزّمــا   ن عليــه في غــده الخناصــرْ!
وأبــي ومــا فــي النَّــاس مثــلُ أبي كبيــرٌ فــي الأكــابــرْ
حَبْــرُ العلــومِ وتشــهد الْـ   أقــلامُ ـ تُبْــرى ـ والدّفــاتــرْ
حفلَــتْ بــه القاعــاتُ والنَّــدواتُ ـ تُعقــدُ ـ والمنــابــرْ
مــا علمُــه إلاّ لســائــلْ   وديــارُه إلاّ لــزائــرْ
وتهــلَّلُ الوجــه الكريـــم لقاصــدِ أبــداً بَشــائــرْ
إن ضــاقَ وُسْعــاً فالنَّدى   فــي وجهــه طَلــقٌ مُشاطــرْ
فعُــلاه أعلــى أن تُحيــطَ بوصفــه منّــي الخواطــرْ
ومدائحــي لســواه لا   تُهــدى نــواظــمُ أو نــواثــرْ
أوَمــا وقــانــي فضلُــه   عثــراتِ أيّــامي العــواثــرْ
وجــلا القــذى عــن مُقلتــي   فرمقْتُــه بجفــونِ شــاكــرْ
إنّــي لشــاعــرُه ولــو   لا منُّــه مــا كنــت شــاعــرْ

****

لــك مــن فــؤادي يــا أخــي   فــادٍ ومــن كفّــيَّ ناصــرْ
مثلــي ومثــلُك فــي العُــلى   هــذا الجنــاحُ وذاك طــائــرْ
فــإذا رأيــتَ غمــامــةً   فلــرُبَّ غيــمٍ غيــر ماطــرْ
ولــرُبَّ بــرقٍ خُلَّــبٍ   وإن اقتفــاهُ الرَّعــدُ هــادرْ

إســــار*

بـي مـا بقلبـك أيُّهـا الصَّـدّاحُ ... أكـذا الأغـاني أم غنـاكَ نُـواحُ؟

لك من إسارك ما شجاك وإنّ لي ... فـي الأسـرِ قلـبٌ كلُّـه أفـراحُ

****

لـي فـي إساري من دُنوّ دياره ... آمـالُ قلـبٍ فـي الغـرام فسـاحُ

قـوْدُ الجنيـب تقودُني يدُ آسري ... مـا عـاقَـه منـي إبـاً.. وجمـاحُ

أفديــه مهتزّ القــوام عليـه من ... دعَـةِ المناعـمِ هالـةٌ ووشَـاحُ

فصـلُ الربيـع شبابُه ذا نرجسٌ ... غـضٌ وتلـك شقائــقٌ وأقـاحُ

ونـــداه مثـلُ نـــداه إلاّ أنّ ذا ... مُتكتِّـمٌ نشـراً وذا فـــوّاحُ

أيجـوسُ غيـرُ مقـرَّبٍ جنّاتـه ... هيهـاتِ لكـنَّ الهـوى طمّـاحُ؟

ضُربتْ على قُنَنِ الجبالِ خيامُـه ... فلهـا علـى الغيـمِ النـديّ مـراحُ

وأنا على شاطي الفُرات وبيننـا ... قُـلَلٌ تُعـارضُ وصلنـا وبطـاحُ

بفمي الفـراتُ لبعده ملْحٌ وفي ... دُنيـا الحبيبِ تروقُني الأمـلاحُ

****

مســتعمر**

لبنـانُ فـي أرضِ العروبـة جنّـةٌ ... نشـتارُ منهـا شـهدهـا وخمورهـا

نـزل الغريـبُ بها فذي أوراقُهـا ... خُصفـتْ فعمَّ خرابُهـا معمورهـا

****

لبنـانُ يـا دنيـا النعيـم بأرضنـا ... ومنــارةٌ ألعلْـمُ أشـعل نـورهـا

أتـرى معـي أنّ المصائـب جمّـةٌ ... وأشدُّهـا النزعاتُ تُشرعُ زورهـا!

---

* النجف ١٩٣١م.

** في عهد شارل دباس رئيس الجمهورية اللبنانية تحرك المجلس النيابي اللبناني لإلغاء العرف الاستعماري الفرنسي الذي أوجب أن يكون رئيس الجمهورية مارونياً. ووزع مناصب الدولة على أساس طائفي. وعندما استشعرت سلطات الاستعمار المنتدبة حلّت المجلس النيابي وألغت الوزارة وجمعت السلطات التنفيذية والتشريعية بشارل الدباس الحاكم الفرد. سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

ومنَ الفجائعِ في البلادِ مذاهبٌ شتَّى يُثيرُ الأجنبيُّ نفورَها
مستعمرٌ في زيِّ مُرشدِ أمَّةٍ ومُنوِّرٌ قد جاءَ يُحكِمُ نيرَها
شرَعَ الطوائفَ - أوَّلاً - في دولةٍ فيها الطوائفُ ضيَّعتْ تفكيرَها
وأتى الحكومةَ - ثانياً - بمصمَّمٍ يُعلي على الحقدِ الدفينِ سريرَها
فبنسبةِ الأديانِ يزعمُ أنَّه أرضى البلادَ قليلَها وكثيرَها
نسي الكفاءاتِ التي تُبنى على أساسِها دُوَلٌ بنتْ تحريرَها
هلْ شادَ من "باريس" إلاَّ تلكمُو الـحريَّةُ الحمراءُ أوْرَتْ نورَها
هل قوَّضتْ من أرضِها (بستيلَها) لتقيمَ في أوطانِنا (مطمورَها)
هل أنزلتْ عن عرشِه (بوليسَها) لتقيمَ في أوطانِنا (ساطورَها)
هل شرَّعتْ باريسُهمْ دُستورَها لتزيلَ من بيروتِنا (دُستورَها)؟

****

هطعَتْ له هاماتُ قومٍ لفَّقوا أنَّ البلادَ بهم تقدَّمَ خيْرُها
والشَّعبُ يعلمُ أنَّ تلكَ عصابةٌ قد تابعَتْ في إسمِهِ تزويرَها
داءٌ دهى أرضَ الجزيرةِ: شامَها وعراقَها وحجازَها وعسيرَها
ودهى " الكنانةَ" و"القناةَ" بقلبِها سائلْ "مواخرَه" تجدْ تفسيرَها
و"رياضُ" أو"صنعاءُ" لوَّثَها وإنْ كانتْ ظواهرُها تُسرُّ "أميرَها"
من لي بباعثِ صفحةٍ من أمسِنا لنُعيدَ منها في الغداةِ سُطورَها
لنُعرِّفَ المجدَ المُضاعَ بعُصبةٍ صُغرى نُفوسٍ كم تَهابُ كبيرَها
لنرى بها الدنيا الكبيرةَ دولةً لا تعرفُ الأيّامُ قبلُ نظيرَها
ألغتْ فوارقَ عالمٍ (بشريعةٍ سمحاءَ) ساوتْ بالغنيِّ فقيرَها
من خلفِها جيشٌ فما من أمَّةٍ عزلاءَ أعلتْ في البسيطةِ سُورَها

****

تحية فيصل الأول*

بعين عنايـة الرّحمن نلنا ... وجهد ابن الفواطم ما أملْنا
مضى للحقِّ لمْ يألُ اجتهادا ... بعزمٍ ما رأى - حاشاه - وهْنا
رأتْ (أمُّ العواصم) منه ملْكاً ... فأبهرَ ما رأتْ عيناً وأُذْنا
رأته (فيصلاً) في الرّوْعِ يمضي ... إذا ما فرّتِ الأبطالُ جُبْنا
رأتْه في المواقف يذبليّاً ... رسا فيها رسوّاً مرجحنّا
رأته الصّعبَ لمْ يُسلسْ عناناً ... ولا يُرْقي لدى اللّزْباتِ مَتنا
وسلْساً في المطالب، لا لعجْزٍ ... إذا ما استعملَ الإذعانَ فنّا
رأتْه لا ينالُ بكفِّ باغٍ ... حذوراً موقظاً عيناً وأُذْنا
فأعطتْ (لندنٌ) حقّاً صريحاً ... كما قدْ شاءَ لا فضلاً ومنّا
عُروجاً للمعالي يا مليكاً ... بنى في (دجلةٍ) للعُرْبِ حُصْنا
فذي جاراتُنا بكرَتْ لسبْقٍ ... فحازتْ سبْقَها قصْباً ورهْنا
ونحنُ منَ التّسابقِ في التّوالي ... وكانَ السَّبْقُ فينا منذ كُنّا
رُكوناً يا فؤادي إنّ مَلْكاً ... أعادَ لنا يبيسَ المجد لَدْنا
وأجلى الانتدابَ وكان غيماً ... رُكاماً لمْ يُساقطْ فيه مُزْنا
وحقّقَ منْ وعودٍ كمْ أمضّتْ ... بوارقُها لنا قلباً مُعنّى
بنى في الشّاطئيْنِ عُلاً ويبني ... غداً فوقَ الخليجِ مُنىً وأمْنا
سنلقى تحت وارفه المندّى ... طيوفاً حقّقتْ حدساً وظنّا
فنرْجعُها عصوراً أنتَ منها ... كإسْمِك فيصلٌ أمضى وأسنى
عصورٌ زاهراتٌ أنت فيها ... مكانَ الغيثِ كمْ أغنى وأقنى
فننْميها بما وفّرْتَ علماً ... ونزهيها بما يسّرتَ فنّا

---

* سنة ١٩٣٢ دخل العراق عصبة الأمم وبذلك أصبح دولة مستقلة. وهو أول بلد عربي ن
استقلاله. وبعد عودة الملك فيصل الأول من جنيف قام بجولة في العراق وفي مروره في النجـ
ألقيت هذه القصيدة عليه في جلسة خاصة لم يحضرها سواي وسوى أخي الأكبر السيد محمد عـ
رحمه الله وأخي صدر الدين - النجف رجب سنة ١٣٥١هـ - تشرين الثاني ١٩٣٢م

ذكريــات*

أحمــامَ الأيْكِ ذا وقــتُ الغنـــا قـم وغنِّي
واسكبِ الأشواقَ في لحْن المنى فهْوَ لحني
لـــمْ أزلْ صَبّـــاً طروبـــا هجــر الغيــدَ اللَّعوبـــا
أم تُراهــا هجرتْني لا تسلني
****

هل رأيتَ الظلَّ في جنح الليالي منْ صبانا؟
يتهــادى تحت أفيــاء الــدَّوالـي في هـوانا
وإذنْ أدركـــتَ أمــــرا واكتشفْــتَ اليــوم سـرّا
لو رأتْ عيناكَ نجوى ملتقانا
****

في سـماءِ الحـبِّ كنّـا لا أغـالي فـرْقـدَيْــنْ
لفَّنـــا الشَّــوقُ يميناً لشــمالِ بُـرْدَتَيْــنْ
لا نـــرى العمرَ ضياعـــا لــو جمعنـــا العمرَ ساعـــا
رُبَّ دهرٍ صار حيناً قُبلتَيــنْ
****

مثلُ غصنيْ دوحـةٍ لُفّـا اعتناقـا في حنـان
هكذا كنّـا اصطباحـاً واغتبـاقـا كالأمـاني
سـائــل الأزهـــارَ عنّـــا كيـف كنّـــا وهْـيَ منّـــا
كطـــرازٍ متقن الصُّنــع يَماني
****

---

* في عرس ابن عمي السيد نور الدين الواقع في ربيع الأول ١٣٥١هـ الموافق لسنة ١٩٣٢م - النجف الأشرف ١٩٣٢م.

ضمَّنا الروضُ إلى الزَّهر الفتيق	وردتَيْــنْ
وبأُذني صبَّهـا مثـل الرَّحيـق	كلمتَيْــنْ
أنتمـا رمــزُ الحيــاةْ	أنتمــا فــي الكائنــاتْ
سرُّهَا الموحي إليها النَّشاتَيْـنْ
****

مـا رأيتُ الصبُح تعشو بالضلالة	مقلتــاهْ
مـا رأيـتُ النَّهر غصَّتْ بالثمـالة	ضفَّتــاهْ
إنَّمـــا الفيـضُ الإلهـي	فـــي شـقــاءٍ أو رفـــاه
قــد سقتنا فارتوينـا نبعتــاهْ
****

مـا رأيتُ الشمس تبدو باصفرارٍ	في المغيبْ
والسَّـنا النمــام يعدو لاســتتارٍ	في الغروبْ
إنمـــا تـــلك الليـــالي	مـــن قصـــارٍ أو طـــوال
ضلَّلتْ عن جنَّتي عينَ الرَّقيبْ
****

ما رأيتُ الفجرَ يفري الليلَ غيظاً	بحسامِـــهْ
وعيونُ الذِّئب في الغابات يقظى	في منامِـــهْ
إنَّمـا قُــربُ الــوَداع	وحنينـــي والتيـاعـــي
أسكراني فوق سُكري من مدامِهْ
****

وجرى ما بيننا أشجى حـوارْ	بـلْ وآلـــمْ
حـرَّم العرفُ التلاقي في النَّهارِ	كـلَّ مُغْـرمْ
فمضـى يبغــي الفراقــا	وأنــا أبغـــي العناقـــا
ماسكـاً قرنيـه فـي كفَّـيْ متيَّمْ
****

قال والشّمس تعالتْ في السّماء آن وقتي
هاك كفّي نتصافحِ للتنائي قبل فوت
واحترسْ لا تدنُ مني كفَّ قول السوء عنّي
هكذا أهواك حتّى وِرْد موتي
****
قلتُ إنّي عشتُ دهراً في غرامي بعفافِ
فارحمي القلب ومُنّي لأُوامي بارتشافِ
هاتها صرف رضابِ وخُذي شرخ شبابي
وأْذني من بعد هذا بانصرافِ
****
فحنا وانصاع لي بعد امتناعٍ يترفّقْ
ودنا منّي بلطفٍ للوداع يترقرقْ
مُزنةٌ فاضتْ رُواءً وحياءً وصفاءً
جرفتني لشبابٍ يتدفّقْ
****
قال: ذا خدّي فقبّلْ وتنسّمْ وتأنّى
وشهادٌ فوق ثغري فتعلّمْ كيف يُجنى
كلُّ ما تبغيه منّي قد تراه بالتّمنّي
لا تلُمْني إن أنا سلّمتُ وهْنا
****
فترفّق لا تشُدَّ الزّند شوقاً حول خصري
وتلطّفْ إنْ جعلت اللثم طوقا فوق نحري
لم يذقْ خصري هصرا لم يزلْ نحريَ بِكْرا
إنَّ ستري لم يُزلْ من بدءِ عمري
****

ما رأى غيرك شخصٌ ليَ قدّا أو هنات
إي لعمري إنما هاتيك إحدى الكُبريات
أيــن قــودي لعِنـاني؟ أيـن منـي إتـزاني؟
قبل يومي لم تقدني رغباتي
****

بعد هذا، فارتقِبْ بُعداً طويلا ليس هجرا
فاصطبرْ في حبّنا الصّبرَ الجميلا تلقَ أجـرا
وإلــى الملقى البعيــد يــومَ تلقانــا بعيــد
أيُّ يومٍ ذا وأينا ؟ اللهُ أدرى
****

أخذتْ قلبي ومذْ عنّي توارتْ في الحجاب
جعلتْ عمران عمري حينَ سارتْ في خـراب
حولتْ مجــرى حياتي مــن قنــاةٍ لقنـــاةٍ
وإذا الكـونُ بعيني كالسّـراب
****

هكـذا غصنُ شبابي فيه نضْرا راح يـذوي
من فراقٍ قد أحال العيش مُرًّا بعد حُلْــو
شيمــةُ الدّهرِ الجموحِ غصّــةُ الحـرِّ الطّموحِ
بيد أنّ الدّهرَ بالأحرار يهوي
****

قد قضى للعبدِ ظلماً وافتراءْ بالطهـــورِ
وعلى الحـرِّ انعزالاً وانـزواءْ بالقبـــورِ
هكــذا العـدلُ المموّهْ بــانَ في وجـهٍ مشـوّهْ
في زمـانٍ لقّبـوه عصر نـورِ
****

يـا حماماً تَخذ الأغصان ماوى والفضــــاءْ
هـل بمغنـاك أرى للقلبِ سلوى أو عــــزاءْ
علَّ نفسي في الحدائقْ تتجلــي فيهـا الحقائقْ
فتـــرى الدارَ هنــاءً لا شقاءْ
****

وترى الرَّوض بها الأزهار تيها تتبسَّـــمْ
وتـرى الأغصان والطَّير عليها تترنَّـــمْ
دانيـــات للقطـــوف باقتــران ابنِ الشَّريف
مَـنْ له العلياءُ قالـتْ هـا تسنَّمْ
****

أنـا لـولا (نـورُ) أهلي لـمْ أخـلْ زالَ بـؤسـي
سَـرَّ قلبـي مثلمـا قـرَّ المقـلْ خيـرُ عُرْسِ
لمَنـي صـدرُ المحـافلْ وهنـا قلـبُ الفضائـلْ
مَنْ كنفسي وبـه هنَـأتُ نفســي
****

لـم أجدْ كُفواً سواهُ فـي الـورى لــي نــــدًا
فهْو ذخـرٌ ليْ إذا خطـبٌ عـرى مســـــتبدًا
وهْوَ زندي والعضـــدْ وهــو حصني والسَّــندْ
فيه أبني فوق مجدي ليَ مجدا
****

وهْــو للعلــم وللفضــل محـطْ ومقـــــرُ
حازهـا وهْوَ صبيٌّ لم يَخــطْ فيــه شَـــعرُ
هديُــه هـديُ أبيـــه وسمـــاتُ النبــــل فيــه
جـلَّ بـاريـه وفيـه عزَّ عصرُ
****

إنَّني عاشرتُـهُ طفـلاً صغيرا قـلَّ جهـلا
إنَّنـي رافقتُـهُ فـذّاً كبيـرا زيـد عقـلاً
لـمْ أجـدْ مثل هـداهُ لـم أجـدْ مثـل تُقـاهُ
في كـلا حاليه فـاقَ النـدَّ نُبـلا
****

قـد نمانـا للمعـالي والمآثـرْ خيـرُ جـدّ
فبلغْنـا من عُلانـا والمفاخـرْ أيَّ حـدٍّ
ليس بدعـا أن أفاخـرْ فيـه مـا فـوق المنابـرْ
وأبونـا واحـدٌ والمجـدُ مجدي
****

مـنْ فيـه حجـةُ اللّـه العليمْ الإمـامـا
غـارب المجـد حديثاً وقديـمْ والسَّنامـا
منْ له بيضُ الأيـادي فـي محـبٍّ أو معـادي
نشرُه بيـن البرايـا كالخُـزامى
****

عيلـمٌ مـن نسـل أعـلامٍ كـرامْ وأئمَّـةْ
ألقتِ العليـا لـه دون الأنـامْ بالأزمَّـةْ
عكفـتْ حبّـا عليـه فهـي طـوعٌ فـي يديـه
حيثُ لا كفءَ سواهُ كي تأمَّـهْ
****

قـدَّم النفْسَ لنيـل العزّ مهـرا فهـو غـالـي
فأتـاه مسرعـا طوعـا وقسـرا بالنَّـوال
فحـوى المجـد المجيـدا طـارفـاً يقفـو التليـدا
مثلُه لمْ تُنجِبِ العُصرُ الخوالي
****

كمْ مساعٍ لـكَ يا (عبدَ الحسين) بيِّنــــات
قدْ سمتْ مـا فوقَ هامِ الفرقدينِ نيِّــــرات
نورُهــا فــي القلــب آمنْ وقــــرارٌ مطمئــــنّ
بعـد خبطٍ في ظـلام الشُّبهاتِ
****

يا بـنَ مَنْ سـادوا رقابَ العالمينْ بالمـآثـــرْ
فضلُهـم أعيــا يــراع الكاتبينْ والمحـابــرْ
جـــلَّ تعــداداً وحصـرا وسـما فــي الكـون ذكــرا
كيف تُحصي فضلَكُمْ أبياتُ شاعرْ؟!
****

مــلْ نُهنِّـــي بعـــدهُ الشّــبلْ أبــا الحسنينْ
فـ (عليٌّ) فـي عُــلاه قدْ سـما للفرقدَيْـــنْ
ذكــرُه عـــمَّ البطاحـــا مثــلُ عَــرْفِ المسك فاحــا
ذو مـآتٍ قـدْ سـرتْ في الخـافقينْ
****

مفــردٌ يُـومى إليـــه بالبنـــان فــي المحافلْ
وبفصـل القـول يهـدي والبيـانِ كـلَّ غـافـلْ
وإذا النَّـــادي احتبــاهُ خلتَـــه فيـــه أبـــاهُ
وهْو في الدَّست يُرى كاللَّيث صائلْ
****

يفرغُ الحكمـة عن علمٍ غزيـرٍ واختبــــارْ
ثـمَّ يجلوهــا لعقــل مسـتنيرٍ كالنُّضــــارْ
عـــزَّ فــي الكون وُجودا سـادنــا علمـــاً وجــودا
فارتقـى مـن هاشـم أعلى منــارْ
****

ولْتهنَ صنوه شمس المحافلْ الجـــوادا
معدن النُبلِ ونبـراس الفضائلْ والعمـــادا
ذكَرتْنــا مـــا نسينــا طلعـــةٌ كالبــدرِ فينــا
كيفَ يعطي البـدرُ للناسِ رشـادا؟
****

ولـ(صدر الدّين) خذ عنَي التهاني بـالختـــامِ
فهْـوَ مسـكٌ نشرُهُ نيـلُ الأماني والمَـــرامِ
وأهنّـــي النَفْـسَ فيكـا إذ أرى نفســـي شـريكــا
ولتعـشْ دومــاً بخيـرِ وسـلامِ
****

الشاعــر*

نســمات الصبُـح ونفحتهــا وسقوط الطـلّ على الزَهَــر
وغنــا الأطيــار ونغمتهــا ونــواح الـورق على الشـجرِ
وشــذى الأزهـار وزهوتُهــا وشـعاع النَجمــة فـي السَّحَر
وصــدى الناعور بشجوتـه بعثــتْ للشّــاعــر يقظتــهُ
فيُلقّــى الوحـــيَ بفطنتــه فيُعيــدُ الوحــيَ علـى الوتــر
****

حسـراتُ البــؤس ولـوعتُــهُ ودمــوعُ الحـبّ مـن الوجــد
وخنـــوع الفقـــر وذلّتـــه وعنــا... الفــلاّحِ من الكــدِّ
وخضـوع الضعف وكسرتــه وعويـل اليتـم مـن الفقــد
وضنــى المأسـور بمحنتـه بعثــتْ للشـاعــرِ رَحْمَتــهُ
فيشـاركهــا فــي عبـرتــه يستنزفهـــا قطــع الكبــد
****

---

* نظمتها في عرس ابن عمّي السيد نور الدين أيضاً.

بسـماتُ الفجـر وروعتُـه وبـزوغُ البـدر بضحكتـه
وعبـوس الليـل ورهبتُـه وسكـون الكـون بغفوتـه
وحديـث الحـبِّ ونشوتُـه وخـريـرُ النهـر بنغمتـه
وشروق الشمس بطلعتها بعثـتْ للشاعـرِ هزّتـهُ
فحسـا خمـراً بأشعتِها لمعـتْ شعراً في فكرتـه

****

وإذا ما المـوج عـلا صخبـاً واجتـاح الروضـة طُغْيانُـهْ
وركـام الغيـم بنـى طنبـاً وجـرتْ بالقطـرة وديانُـهْ
واستلّ الرّعـد رهيف شباً(١) فتصـافـق خوفـاً ثهلانُـهْ
وإذا ما الأفـق بـه رَطَنـا بعثـتْ للشاعـرِ ثورتـهُ
فجـلا همـاً وجـلا مِحنـا فالشعـر شبـاه وخِرْصانُـهْ(٢)

****

خُلْـقٌ للشـاعـر زيّنـهُ ليجـاري الكـون بأطـوارهْ
فيثـور ويهجـر مكمنَـهُ إن سيمَ الخسـفَ بأفكـارهْ
بالعـزّ يفـارق مأمنَـهُ مرتـاحـاً فـرّ لأوطـارهْ
ويخـفُّ إلـى الوطـن المنكوب إذا نـاداه بمحنتـه
فيُعيـدُ الـروح إلـى الأمـوات كفعـل الطّـلّ بأزهـارهْ

****

روحٌ للشـاعـر مظهرُهـا نَسَـمُ الأسحار إذا هبّـا
وثغـورُ الـورد ومنظـرُهـا يتـلالا الطّـلُّ بهـا حببـا
ونـوادي اللهـو ومزهرُهـا والكـاس يدور بهـا نخَبْـا
ولـروح الشـاعـر خفّتُهـا بعثـتْ في العتمة سَحْرتَها
ولهـا في الدّهـر رزانتُهـا مـا أنبـتَ جدبـاً أو خصبـا

---

(١) شبا : مفردها شباة : حدُّ كلّ شيء قاطع.
(٢) خرصان : مفردها خرص : حلقة الذهب أو الفضة.

نفسٌ للشاعر أتقنها مَنْ أتقن صنع الأكوان
وبراها الله ومعدنها من لطف لا منْ عقيان
بمزايا فضلى زيّنها بصفاء النفس بتحنان
بحيا الأبكار بعصمتها بجنان الليث بغابته
بإبا... الأبطال ونخوتها وبعزّة صاحب سلطان
****
وإذا ما المرءُ بها حلّى منه نفساً أعلى نفسهُ
فعلى الإحساس بها دلاً وكذاك الشعر حكى حسّهُ
وبرقّة عاطفةٍ جلّى ما النثر ؟ ومن يُلفي قسّه(١)
أرني نثراً كالشعر جرى بقران (النور) جنى نحْل
صفْ لي يا ناثرُ ذي الدُررا أو صف(نوراً)أو صف عرسهْ
****
عُرْسٌ (للنُور) فتى العليا حيِّي عرساً بعث البشرى
بشرى عمّتْ رحبَ الدنيا عظمتْ ذكراً ، جلّتْ قدرا
الهمُّ غدا فينا نسْيا أنعمْ أُنساً وازددْ شكرا
أترى ساويت بها شيّا وتساوي تربتها التبرا؟
الفكر غدا فيها عيّا ولو انّ بها نظم الدّرا
****
إهنأْ يا من حاز السَّبقا وشبابُ العمر بمقتبلهْ
بصفات الفضل أرى حقّا سبق الأنداد على مهلهْ
خلْقاً تقوى علماً صدقا يا بورك فيه وفي عملهْ
لا غرو فمعشره سادوا قدْماً في الدهر على الدهر
وأواخره العليا قادوا يبنون المجدَ بناء ولهْ
****

(١) في هذه الحفلات حصلت مفاضلة بين الشعر والنثر اشترك فيها أدباء النجف الأشرف وكنت بالطبع إلى جانب الشعر بينما كان أخي صدر الدين إلى جانب النثر.

إنِّـي بالعــرس أهنّيـــه وأهنّـي معشـره فيـه
فتبـارك ربٌّ منشيـه ومطوّقـه بأياديـه
تمّـتْ بالسعـد أمانيـه لا زال السعـد يناديـه
كاسـا قدّمتُ لـه طربـا من صفو الفكر ليحسوهـا
وجعلتُ القلب بهـا حبيـا نقطـاً إن قصّر مُهديـه
****

حشرجات وعاطفة*

أنـا ما بين رفـاقٍ في الرَّخـا.. نتعاطى الوصل عن حبٍّ حميـمْ
وإذا داعـي الإخـا .. ناداهـمو لـم يجيبوا وأضاعوا الحرمـاتْ
****

أمنـحُ الإحسان ضعفـاً لهمو فبصـاعٍ كِلْـتُ فيهـم أصوُعـا
وعـن السَّـوْأة أعفـو كرمـا ولـو انّ اللوم كـان الموضعـا
فأنـا فـي معـزل عـن شـاتمي فبأذني قـد وضعـتُ الإصبعـا
ديدني فـي الدّهـر أبغـي نجـوةً بعفـافي وكـذا الحـرُّ الكريـمْ
لا أبـالـي مـن رمـاني غيبـةً ليـس يُرمى غيـرُ أعلى الشجراتْ
****

خلّني فالدّهـر قـد خـطّ على جبهـة الأيّـام مـا يُغني اللبيبْ
قـد حللـتُ اللغـز من طلسمه فأتـانـي الحـلُّ بالمعنى العجيبْ
قـد رأيـتُ العبـدَ فيـه سـيّداً فرأيـتُ الحـرَّ في الدّهر غريبْ
ورأيـت الصـدق فـي أبنائـه ذاك دسٌّ وافتـراءٌ فـي الصّميـمْ
وكـذاك الدّهـر فـي مفهومـه سـيّئـاتٌ زُوِّرتْ بالحسـنـاتْ
****

---

* موشح تُلي في عرس ابن عمي السيد نور الدين ، في الحفلة الختامية ـ النجف ١٩٣٢م.

علمتني خبرتي ما أنتقي   من أخلائي وإنْ قلّوا عددْ
وأماطتْ عن عيوني سَدفةً   كان طرفي من دُجاها في رمدْ
صيرفيّاً صرتُ فيهم نَيْقداً   قد عرفتُ الدُّرَّ منهم والبَرَدْ
فإذا ما اخترت أختار الذي   هو والتِّبْرُ المصفّى في نظيمْ
وغيابي كحضوري عندهُ   طيِّبُ العَرْفِ نقيُّ الصفحاتْ

****

حيِّ عنّي يا شعوري فتيةً   أحيتِ الآدابَ في قلب الغريّ
ونفوساً أفرغَ اللهُ بها   كلَّ فذٍّ وهُمامٍ عبقريّ
جمعتْ أشتاتَها (رابطةٌ)   أخصبتْ في كلِّ معنى جوهريّ
شمّرتْ عن ساعد الجِدِّ بها   تورف العِلمَ حديثاً وقديمْ
حقّقتْ أغراضها توطئةً   باركَ اللّهُ النّوايا الصّافياتْ

****

عملٌ تحيا به آدابنا   أسوى الآداب تُحيي الوطنا
فهلمّوا واجمعوا أشتاته   هذه الأيدي تمدُّ الأيمُنا
وتُحيِّي فتيةً قد نشطتْ   لمعالٍ أضمرتْهـا زمنا
تقتفي آثار أجدادٍ مضوا   سدَّدَ اللّهُ خطاها المستقيمْ
ذلّلتْ من سبلها أحصيةً   وأذلَّ اللّهُ صعبَ العقبَاتْ

****

عملٌ هلْ محسنٌ مدَّ له   كفَّ إحسانٍ يقوّي العملا
أو رأى في السّير مَنْ شجّعه   ليغذِّي في الفؤاد الأملا
أو رأى غير الذي من حقده   صرَّ نابَيْه وعضَّ الأنمُلا
حبُّنا الذّات الذي يقتلنا   لهْفَ نفسي فمتى يصحو النَّؤومْ
ومتى في نفعنا الشّعبَ نرى   قد هدمْنا ما بنتْه الرَّغباتْ؟؟

****

دأبنــا في الدّهـر نــزوٌ كلّمـا
قـام فينـا مصلحٌ ضـجَّ نكيـرْ

صـوتُ طبـلٍ فـارغٍ يجمعُنـا
مثلمـا فرّقنـا صـوتُ الصّفيـرْ

هكـذا نبقـى ويبقـى سَيْرُنـا
ويحَ قومي فمتى نُرضي الضمير ؟!

ومتـى الإصـلاح يَلقى بيننـا
أذُنـاً تُصغـي ووعيـاً لا يريـمْ

فلنكـوْنْ أمّــةً عـاقلـة
تأخـذ الحـقّ وترمي الشُّبهـاتْ

****

دعـوة الحـقّ أهيبـي إنَّ ذا
موطني فـي حاجـةٍ للمصلحينْ

لعـب الإفسـادُ فينـا دوره
قبّـح اللّـه نوايا المفسـدينْ

فاصْدَعي بالحـقّ مُسْتَنْجِدَةً
بالـدَّراري من بنيكِ الصالحينْ

أشْهُبـاً ثاقبـةً نُـردي بهـا
مـارداً فـي الغـيِّ أفّاكـاً أثيـمْ

فنـرى عـالمنـا فـي عـالـمٍ
مـن جمـالٍ في مجـالي حسـنَاتْ

****

نفثـاتُ القلـب حـرّى ولهـاً
آنـةً تُسْعِرُ في الكـون ضـرَمْ

وأوانُ الشُّـكر قـد آنَ فهـلْ
يحصـرُ الشُّـكْرَ مـدادٌ في قلَـمْ

فوفـاءٌ أخـويٌّ وشِـيَمْ
وأيـادٍ ليـس تُحصـى كالدِّيَـمْ

لا يُوفّـي مقـولي تبيـانَ مـا
ترجـم القلـب من الشُّـكر الجَسيمْ

هـذه عـاطفتـي قـدَّمتهـا
وكـذا من أسـرتي ذي عـاطفاتْ

****

شـرفُ الـديـن وعـن أسرتـه
قدَّمـتْ منهـا (الرِّضـا) للنَّجـفِ

لتحيِّـي اللُّطـف فيهـا خُلُقـاً
مُطـرَفـاً أكـرمْ بـه من مُطـرَفِ

قدَّمـتْ مهجتَهـا من شكرهـا
بحـروفٍ أُبْـرزتْ في الصُّحُـفِ

وطـوتْ كشحـاً عن السّـرِّ الـذي
فسـرَّ الدَّهـرُ بـه معنـى الحميـمْ

فخـذوا شكـري وشكـري سلـوةٌ
ودعـوني ودعـوا لـي الحشرجَاتْ

****

نشـيد الريـف*

أنـــتَ يــا ريـــفُ نعيـــمٌ　　مـــن نعيـــم الخُلـــد أربـــى
لـــك مـــاءٌ فـــاض عذبـــا　　وتـــرابٌ فـــاض خصبـــا
قـــد أحلـــت الـــتُّرب تبـــرا　　يُجتنـــى منـــك ويُجبـــى

حبَـذا طيـبُ ثـراكْ　　وأسـودٌ في شـراكْ　　مـن نخيـل وأراكْ

وكـــــــروم معرشـــــاتْ　　عـــاد فيهـــا اليُبْـــس رطبـــا

****

أمـــلاكٌ مـــن ســـماهُ　　باعـــث فيـــك الأمانـــا
حـــلَّ فـــي أرضـــك حتـــى　　خطّـــط الأرضَ جِنانـــا
مـــلأ الآفـــاق رُحمـــى(١)　　وشـــعوراً وحنانـــا

فكسى الروض بهـاءْ　　وجمـالاً وسـناءْ　　هيـةٌ جلّتْ ثنـاءْ

كـــلُّ قـــولٍ أنـــت منـــه　　شـــعره المُوحـــي بيانـــا

****

أم بـــه أنـــت مليـــكٌ　　تخـــذ العـــدل دليـــلا
بـــذر العمـــران يُنمـــي　　فـــي الـــرُّبى غرســـا جميـــلا
وســـقى الـــزَّرع رحيقـــاً　　وسقانـــا الـسَّلسبيـــلا

هل لنعمائك شـاكرْ　　من على عرشك آمرْ　　أم هو النُّكرانُ ضامرْ؟!

لـــم يبادلْـــك جميـــلا...　　بـــل بغـــى فيـــه الذَّليـــلا

****

أنـــت فـــي القريـــة ربٌّ　　ومليـــكٌ فـــي المُـــدُنْ
تمتـــري تلـــكَ وهـــذي　　مِنَنـــاً تتلـــو مِنَـــنْ
فحيـــاةٌ فـــي قصـــور　　تتمـــلّى كـــلَّ فَـــنْ

---

* العمارة: رجب ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م

(١) الرُّحمى والرَّحمة: رقة القلب وانعطاف فيه يقتضي المغفرة والإحسان.

فلمــاذا فـي عنـــاءْ أنـت تبقى وشقاءْ بانعـــزال وانـــزواءْ

أبغـــــرف النـــــاس: أن الفضـــلَ يُجـزى بالمحـــنْ ؟؟

****

فـــي ســـبيل الملـــك كـــم ذا ســـال مـــن جُـرح نجيـــعْ

مـــن بنيــك الغُـــرِّ كـــم ذا مـــن فتـــىً خـــرَّ صريـــعْ

يـــا لشـــلوٍ شـــدْتَ فيـــه للإبـــا حصنـــاً منيـــعْ

فانجلى بعـد عـراكْ واصطـدام واشـتباكْ طامعٌ يبغي رضـاكْ

وبوعـــدٍ(١) قـــد خُدعْـــت خدْعـــةَ الطِّفـــل الرَّضيـــعْ

****

تحـــت أكـــواخِ الشَّـــقاءْ ســـكنَ الآســـادُ فيـــكْ

وزروعـــاً وحصـــاداً غـربـــاءٌ تجتنيـــــكْ

وديـــاراً عامـــراتٍ أقويـــاءُ تبتنيـــكْ

ذو أيـــادٍ جحـــدوكْ وجهـــادٍ أنكـــروكْ بدخيـــل نبـذوكْ

وهمـــو فـــي أرضـــك الـــ حكّـــامُ مـــن غـــير شـــريكْ

****

وادّعـــى أرضـــك مُلكـــاً ولـــه طـــابَ الجنـــى

فالسَّـــما ملـــك يديـــه والهـــواءُ والثَّـــرى

وغريـــبٌ أنـــت فيـــه أو أجيـــرٌ تُكتـــرى

قلـبَ الإيمـانَ كُفـرا جعـلَ الإحسـانَ نُكرا ودمـاءً منـك هـدرا

وإذا مـــا جئـــت تشـــكو فهـــراءٌ منـــك شـــكوى

****

(١) وبوعدٍ : إشارة إلى وعد بلفور المشؤوم الذي تحقق وأثبتت الوقائع شؤمه على العرب ريفا ومدينة.

لـــــك إيمــــانٌ تحـــدّى ... دولــــةً أقــــوى الــــدُوَلْ
جـــاعلاً مـــن غـــدك المــر ... جُــوِّ يأســـاً فـــي أمـــلْ
كـم فتـــى قـد ضـاع مـن أهْـــ ... ـلِيــــك أو إبنــــا قُتِـــلْ
ما عرفنـا مـن تـردّى ... منهمـو أو من تحدّى ... موتـه أو مـن تعـدّى
لحيـــاةٍ لِيـــس تُـــدرى ... أبســــهلٍ أمْ جَبَــــلْ

****

سراب*

ألغانيـاتُ لمــن نثــرن زهـــورا ... ولمــن سفرن عـن الوجـوه بـدورا؟
ولمــن تهلّلـت الوجــوه ســرورا ... هــل كــان حقــاً بشرُها أم زورا؟
ولمــن تدافعـتِ الجمــوع وفوقهــا ... علَمٌ تصــاعد فــي الفضــا منشــورا؟
هــل أيقظــتْ فرســان يعـرب نخـوةٌ ... كــانت لهــذا الاجتمــاع نفيــرا؟
فتحشّــدتْ زمــراً تثــور بغاشــم ... قـد غــلّ منهـا أيْدهــا(١) المقهـورا
لتمــزّ ق العهــد المهيــن كرامــةً ... وتحطّــم الغــلّ المســيم دُحــورا
فــالحرُّ إن سـيم الهـوانَ سـمتْ بــه ... للعــزّ نفــسٌ أو يــزورَ قبــورا
يــرد الشــرائع آجنــاتٍ مشربــاً ... ويعــاف فــي دنيـا الهـوان نميـرا
ليـس السَّـرابُ يغرُّنـا أنّـا نـرى ... مَلِكــاً ومجلـس أمّــةٍ ووزيــرا
يقضي بما يهوى (العميدُ) ومـا يرا ... هُ بــذاك إلاّ العامــل المأجــورا
إنهضْ أبيــت اللّعـنَ إنّــكَ قاعــدٌ ... والْحــقّ بركبــانٍ تجــدُّ مســيرا
لـك فــي القرون الخاليـات أوائـلٌ ... بنت الكواكبَ فـي السّماك قصـورا
إنْ أعجزتْك فلـم تُطــقْ أفعالهــا ... أو كنتَ عن طـول الزّمـان قصيـرا

* نظمتها في صيف سنة ١٩٣٣م، حين كنت في لبنان فحضرت مهرجانا بمناسبة قدوم أحد حكّام الانتداب الفرنسي.

(١) الأيْدُ : القوّة ، وهو لفظ مذكر.

ثَقّفْ يَراعــةَ كاتــبٍ أو شاعــرٍ
واحشُــدْ لــه المنظــوم والمنثـــورا

واكشفْ عـنِ الوطـنِ الملبّدِ أفْقُــه
بالجهــل واطلــقْ فكـره المحجـورا

وافتَـــحْ لـــه شـتّى المعاهـدِ إنّهـا
دربُ الحيـــاة معبّـــداً معمـــورا

إن أرهبتْـكَ مـــن العـــدوّ جلاجـلٌ
أسْمِعْهُ من حمًى اليـراعِ صريـرا

زخـرتْ بـــه للعلـمِ سبعــةُ أبحـــرٍ
ألفكـــرُ رافدُهـــا شـــذىً وعبيـــرا

****

مــلام الخـلي*

تسْـــومُ فـــؤادي مـــلامَ الخـليِّ
فـــذقْ مـــا يلاقيـــه ، ثـــمَّ لـــمِ

مـــلامُ الخـليِّ بغيـــر صـــدًى
فلــن يُفْهَــمَ القـــول مـــنْ أعجمـــي

صـــهِ مـــا المعـافى كمـن لقَّنتـــه الـــــغـواني هواهـــا فمـــاً لفَـــمِ

لقَـــدْ هدْهدتْنـــي بمهـــدِ الغـــرامِ
مدلَّهـــةٌ فـــي هـــوًى مُغـــرمِ

وبيـــنَ ضلـوعي ليـــلى وقيـــسٌ
وحبُّهمـــا قـــد جـــرى بدمـــي

****

في وداع أم**

يـــا أمُّ قـــد وقـــف الشـجى بلهـــاتي
هـاتـي الحنـــانَ وكفكفـــي عَبَـــراتي

رُدّي مراحـــي لا أطيـــق تهجُّمـــاً
ردّي حيـــاتي يـــا أميـــمُ وذاتـــي

لـي مِـــرَّةٌ(١) تهـدي إلى غاياتهـــا
مـــا بالهـــا قـد ضلَّلــتْ غايـــاتي ؟!

وأنـا الجلودُ وليس تقرع مَروتـــي(٢)
جُـــلّى الحـــوادثِ أو تليـــن قنـــاتي

أنـا من نـواكِ بُحَيْرَةٌ: سـربُ القطـــا
فقـــد الهـــدى فيهـــا إلى مَنجـــاةِ

---

* النجف ١٩٣٣م.

** سافرت والدتي إلى لبنان للاصطياف فودّعتها بهذه الأبيات ــ النجف ١٠ محرّم الحرام ١٣٥٢هـ أول نيسان ١٩٣٣م.

(١) المرة : (بكسر الميم): قوة الخلق والعقل والأصالة والأحكام.

(٢) المروة: (بفتح الميم وسكون الراء): الصلد من الصخر الأملس.

فخواطرٌ سوداءُ شتّى جهَمتْ		نفسي فغاضتْ بينها ضحكاتي
وهواجسٌ فيها تهوّمُ فطنتي		فتهيمُ في ليلاتها يقظاتي
عودي وشيكاً يا أميمُ فخافقٌ		بين الجوانح خافتُ النَّبضاتِ
لا ينقضي شوقي المبرِّحُ أوأرى		عطف الأمومة جامعاً لشتاتي .

****

اليوم ننال أمانينا*

أليوم ننال أمانينا		ونميت الظلم بوادينا
أليوم نحطّم أغلالاً		أوهتْ بالثِّقْل هوادينا
أليوم نحيّي أجداداً		سنّوا الإقدام لنا دينا
ونبرّز سعي رجالاتٍ		عقدوا بالعزّ نواصينا
أليوم بنا قضتِ العليا		أن نحيي الحقَّ فيُحيينا
سيروا والحقُّ لنا سيروا		ولْننْشدْ : تلك أمانينا .

****

النقد**

ما النقدُ في الأدب الرفيع ضغينةٌ		تطغى على قلم الأديب فتحرفُ
ألنّقدُ فنٌّ يستقيم لهادفٍ		لسوى البناء بنقده لا يهدفُ
وله موازينٌ لهنَّ معايرٌ		وعلى هُداها ناقدٌ يتصرّفُ
فنٌّ يخطّطُ للبناء يُقيمه		بأصالةٍ في الناقدين المنصفُ
فنٌّ يُشادُ عليه صرحُ بنائنا		وقوامُه: آساسُه(١) لا الزخرفُ

---

* اثر حوادث سياسية خرج طلاب المدارس الثانوية في النجف الأشرف ينشدون هذه الأبيات. النجف ١٩٣٣م

** حفلت بعض المجلات فيما أسمته نقدا كتب بأقلام سطرت شتائم وحملات حاقدة. فنظمتُ هذه المقطوعة ـ النجف ١٩٣٣م

(١) آساس : مفردها أسسٌ ويعني الأصل .

وعــداه لا نقـــدٌ أيُحسَـبُ ناقـــدا ... قلـــمٌ بكـــلِّ ضغينـــةٍ يتنطَّـــفُ ؟
وعـــداه لا أدبٌ فمـــا أدبٌ بـــه ... شـــتمٌ ولكـــنْ مقْـــولٌ يتعفَّـــفُ

****

خطــب*

عصـــفتْ بـــك الإعصـــار تـــو ... هـــي منـــك عزمـــاً لا يُفَـــلُّ
مـــن بعـــد حلِّـــك مشكـــلا ... تِ للعروبـــــة لا تُحـــــلُّ
تـأتـــي عليهـــا عقـــدةً ... مـــن بعـــد أخـــرى لا تَمـــلُّ
جَلْـــداً تعـالجهـــا فمـــا ... يُثنيـــك فـــي الأعبـــاءِ ثِقْـــلُ
مـــرنٌ وفـــي شـــدّاتهـــا ... مـــا استحكمَـــتْ متـــنٌ أزلّ
حمـــلٌ تحفّـــز فـــي جـــوا ... نحـــه مـــن التصميـــم صـــلُّ
بُعـــداً ليومـــك قـــد تغشّـــى ... فجـــره كيـــدٌ وختْـــلُ
ويـــح العروبـــة خطبُهـــا ... فـــي فيصـــلٍ خطـــبٌ أجـــلُّ
فقدتْـــهُ أحـــوج مـــا تكـــو ... نُ لعزمـــه يُعلـــي ويَعلـــو
يمضـــي فينشـــئ أمّـــةً ... ويعـــودُ فـــي الغمّـــاتِ يجلـــو
لا عـــوّض اللـــهُ الليـــا ... لِيَ إنّهـــا فـــي الكيـــدِ تغلـــو

****

* نُظمت يوم مات الملك فيصل الأول في جنيف. وكانت مكائد الاستعمار تثير في شمال العراق الأشوريين تارة واليزيديين أخرى ـ النجف ١٩٣٣م

وفـــد*

إنّـي وإن كنـتُ البليـغ بيانُـه
وبهاشمٍ أصلـي وفرعـي فـي (علـي)

لأرى مجـالي ضيّقـاً فـي حلبـةٍ
مـا جال فيهـا غيـرُ كـلّ محجّـل

قلـي المعـاذرُ إن نطقتُ كصامتٍ
ألصمـت أولـى ههنـا بالمقْـول

أمـا الـوداع فليس يحمـل عبـأه
قلـبٌ بأنــواع التفــرّق مُبتَـلي

لدنوكُـمْ قـد كنـت أصـدى غلـةً
أذن الفــراق وغلّـتي لـم تنهـل

للّـه.. طعـم البعـد مـرٌّ مـا حـلا
هـذا الفـراق.. وذاك طعـم الحنظل

****

وكنت دعوت هذا الوفد إلى حفلة خاصة بهذه الأبيات بعد اعتذار بضيق الوقت. لأشير بها إلى اختلافٍ في وجهات النظر السياسية والحزبية ، بين أسرتي في لبنان وبين بعض أعضاء الوفد: النجف كانون الاول ١٩٣٣م.

أنـا هينـا نـاءٍ عـن الوطـن الـذي
فيه الغضا وأنا الرضا..فدعوا الغضا

أمّـا الرضا بسقوط حقّي فهو مـنْ
حقّي ، ولستُ عن التزامي مُعرضـا

لـي منكمـو حـقُّ التقـدم لا أرى
عن دعوتـي بسوى الإجابـة مَعوضـا

****

أحب الجمال**

أحـبُّ الجمـالَ لـذات الجمــالِ
بقلـبٍ عنيـفٍ وطـرفٍ خجـلْ

وأتبعُـــه كاتّبــاع الفصيـــل
أُقيـمُ وأرحـلُ حيـث ارتحـلْ

أحـبُّ الجمـالَ بـرأسِ الجبـالِ
وقـد كلّـلَ الثلـجُ منـه القلـلْ

وزيّـن فصـلُ الربيـعِ الجميـلِ
مناكبَـهُ بزواهــي الحلـلْ

---

* كان الوفد العاملي إلى حفلة مرور أربعين يوماً على وفاة الملك فيصل الأول مؤلفاً من عضوي المجمع العلمي العربي بدمشق الشيخين أحمد رضا وسليمان ظاهر وصاحب مجلة العرفان الشيخ أحمد عارف الزين وفي زيارتهم النجف الأشرف أقيمت حفلة وداعية لهم فأنشأتُ هذه الأبيات فيها في ١٠ رجب ١٣٥٢هـ كانون الأول ١٩٣٣م.

** النجف ١٧ شعبان ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م.

وفي السَّفح إن خرَّ شلاّلُهُ … على قدم الرَّوضِ يُلقي القُبَلْ
وفي الرَّوضِ إنْ هبَّ قمريُّه … يوقِّع في الروضِ لحنَ الغزلْ
وفي بسمةِ الوردِ إنْ فتَّحتْ … كمائمه تفترُّ عن ثغر طلْ
وفي السَّهل عندَ طلوعِ الصباحِ … وفي شاطئ البحر عند الطَّفَلْ
وفي هجمة الليل تحت النُّجومِ … إذا ما رباب السحابْ انجفلْ

****

أحبُّ الجمالَ بسحرِ المقلْ … وبالقدِّ ما مال أو ما اعتدلْ
هواي به فاق أهلَ الهوى … وما مُغرمٌ فيه مثلي احتملْ
صرفتُ شبابي به كلَّه … وصارفتُ فيه الحُلى بالعَطَلْ
وإن نلتُ منه جنى شَهدِه … فَلَسْعُ اليعاسيبِ دونَ العسَلْ
فلا تحسَبِ الحُبَّ جنياً يُنالُ … بيُسْرٍ على سفحِ كلٍّ جَبَلْ
طريقُ الهوى في الصَّياصي وهلْ … بتلكَ المخارمِ غيرُ الأجلْ؟
فإنَّ اقتحامَ عرينِ الليوثِ … لأصعبُ منه اقتحام الكُلَلْ
ودونَ الوصالِ عيونُ الرَّقيبِ … وغيرانُ ذو إربَةٍ مُهتَبِلْ
وإنْ كنتَ في نجوةٍ منهما … فهلْ أنتَ ذو قلَّبٍ أو حَولْ؟
تُصابرُ في الهجر حتَّى الوصالِ … وتلتمسُ الوصلَ بين الحِيَلْ
وهلْ أنتَ ذو مِرَّةٍ تَدَّري … مِنَ النَّصلِ ما إنْ أصاب قَتَلْ ؟
وظنِّي بك الغرُّ ما من مِراسٍ … تُداورُ فيه سِهام المُقَلْ
وما كنتَ ذا رغبةٍ في الهوى … ولكنَّني مُكرهٌ لا بطلْ

****

فـــراق*

حمّلتُ نفسـي مـن أسـىً ألوانـا ... مـن ذا يسـوق لنفسـه الأحزانـا ؟
أنا مَنْ تَخيَّـر فـي البعـاد عذابَـه ... سَفهـاً ألـومُ بمحنتـي إنسانـا
قـد يُخطِئ الـرأيَ المسـدَّدَ عالـمٌ ... لكنـه لا يُخطـئ الإمعانـا
هوَّمتُ فـي وَهمي المضلّ ، فخِلتني ... أبصـرتُ نـورَ هدايتـي يقظانـا
وصحوتُ: أنظرُ حاضري وإذا بـه ... حيـرانُ غيَّبنـي فمـاً ولسانـا
أعجمـتُ ، حتـى لا أبيـنَ وإنّنـي ... أنـا مـن قريشٍ منطقـاً وبيانـا
أذكَـرْتِ ؟ أم لا تذكريـنَ وداعَنـا ... أذكَـرْتِ كيـفَ تصافقـا قلبانـا؟؟
تتبـادلُ النَّظـرات وهـي ذُبالـةٌ ... غشَّـى شُعاعَ ضيائهـا دَمْعـانـا
وسألتِ: هل بعـد النَّـوى ترعانـا؟ ... وأجبْـتُ: أن أبقـى النـوى ما كـانا
ألحـبُّ يزكـو بالبعـادِ وربَّمـا ... يسـلو محـبٌّ مِـنْ نـوىً أحيانـا

****

دمشق وحلب**

هـذي دمشقُ ولـم أُنكِـرْ بها حلبـا ... و(ابنَ الحُسين) و(سيفَ الدَّولة) الذَّربـا
في (المدرج) السَّمْحِ ما انداحَتْ جوانبُهُ ... أملاكُنـا الصيِّـدُ والعُلمـاءُ والأُدبَـا
هـذي دمشـقُ وهـذي أختُهـا حلبٌ ... في قـادمٍ جـاءَ أو فـي غابـرٍ ذَهبـا
نَبـعٌ يَجيـشُ بأمجـادٍ مـؤثّلـةٍ ... لا تَحسـبِ (النبعَ) من خطيِّنـا (غَرَبَا)
كـم أجريـا فَرَسـاً ما خاب فارسُـه ... في حَلْبـةِ الفَتْـح حـازَ السَّبْقَ والقصَبا
كـم أطلقـا قلمـاً أغنَـتْ مراقمُـه ... عـنِ الجحافـلِ... لا سـيفاً ولا يَلَبـا
أختـانِ شَـدَّهما مجـدٌ إلـى سـببٍ ... قـد أبـرمَ المجـدُ في كلتيهما السببـا

---

* النجـف ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.

** أعدّتْ لتلقى في المهرجان الألفي الذي أُقيم بدمشق سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م لمرور الف عام على وفاة المتنبي ولم تتم لضيق الوقت لأنَّ التفكير بنظمها جاء متأخراً ـ النجـف ١٩٣٣م.

وَكَــرا عروبتِنــا ، كَــمْ أجدلِ خفقَتْ منــه القــوادمُ توحي الأمــنَ والرَّهَبــا
مــا انحطَّ منتفضاً مــا خاب مقتنصاً مــا آب منجفــلاً ما ضــلّ مُنسرِبــا
هاتيك في(الحدث الحمراءِ) قد شمخَتْ رأســاً على (الروم) إذ كانوا بهــا الذنبا
هذي على (سور قسطنطينَ) قد وقفَتْ تُملي على (الــروم) من آياتِهَــا عَجَبَــا
كــم أنجبــا قائداً في السَّــعد طالعُه كَــمْ طالــعِ مُشــرقٍ في أُفقِهَــا غَرَبــا
آيُ الفتــوح لِمَــا خطَّــتْ صوارمُهَا في المشــرقينِ ، فمَنْ أملى ومَنْ كَتَبــا
أمَّــا العلــوم فمــا أنمــى مراقمَهَــا بالأخصبَيْــنِ: عنيــتُ الفكــرَ والكُتُبَــا
أمَّــا الفنون، فمــا أعــلى منائرَهَــا شــتَّى: ذكرتُ بهــا عُنوانَهــا الأدَبــا
شتَّى الحضاراتِ إنْ نارتْ مشارقُهَــا في المغربَيــنِ ..فعنهــا استنَّتِ الشُّهُبَــا

****

بعد تسع سنين*

منــذُ الصِّبــا وبعـــدَ تســعٍ خاليــةْ قـــد جـــدَّد الحُــبُّ شــباباً ثانيــةْ
عـــادَتْ كما كانَــتْ أناشــيدُ الهــوى ... هـــذا الهــوى صــدَّاحُ كلِّ ناحية

****

ذي دارُ "فــدوى" من ديــاري دانيــةْ فــي يقظــةٍ أم في مَنــامٍ مــا بيــةْ ؟
ألمسُهَـــــا ألثمُهَـــــا أشــمُّهَـــــا ترابُهَــــا.. يــا نفحـــةً مــن غاليــة
إنَّ الذي قـــد كان ســـرّاً في الهـــوى عنـــد التَّــلاقي قـــدْ بـــدا علانيـــةْ
فدوى بمرمى الطَّرفِ تخطــو بالمُنى ..كـــلُّ المنـــى.. ذاهبـــةً وآتيـــةْ
فـــدوى أعـــادَتْ ذكريـــات ماضيـــةْ لـــم أنسَــها فهــلْ أراهـــا ناسيــةْ؟
عُلِّقْتُهــا طفـــلاً وكانـــتْ طفلـــةً نلهـــو صِبيــاً حـــول الحمـــى سواسيــةْ

* صــور : صيف ١٩٣٤م ــ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ.

نغدو مع البكور: نجني الزَّهْـرَ مـن ... بستانهـا والحُـبَّ مـن بستانيـهْ
روضاتُ لهـوٍ كـان فيهـا طيرُها ... مُنشِـدَهَـا، وكنـتُ فيهـا الرَّاويـهْ
مدرسـةٌ فيهَـا تعلَّمْنـا الهـوى ... فهـل تلقَّـتِ الهـوى مـن شـاديـهْ؟
ألطُّهْـرُ والإخـلاص في ترجيعهـا ... كـأنَّما قـدْ سُكبـا فـي آنيـهْ

****

وهكـذا كنَّـا.. وننمـو والهـوى ... يُجـري علـى مِنوالهـا مِنواليـهْ
حتى إذا ما شـبَّ في عُمـري فتـىً ... وشـبَّ منهـا فـي الفتـاة غـانيـهْ
تكامـلَ الحـبُّ وفـي أخلاقهـا ... مدرسـةُ الطُّهْـرِ وفـي أخلاقيـهْ
قـد صانَهـا عفافُهـا عـن ريبـةٍ ... والطُّهـرُ جَنْـبَ الحُـبِّ في أبراديـهْ

****

كـمْ وقفـةٍ شكوتُ فيهـا مـن جوًى ... ومن هـوًى كانَـتْ بجنبـي شـاكيـهْ
يلفُّنـا شـوقٌ بهـا لا نتَّـقي ... عيـونَ واشٍ فـي نَجـىً أو واشيـهْ
مـن ذكريـاتي الطَّيِّبـات ساعـةٌ ... يـا ليتَهـا مـدى حيـاتي باقيـهْ
ألعيـدُ كنَّـا فيـهِ مـن أفراحـهِ ... وكـانَ كـلُّ العيـد مـن أفراحيـهْ
فيـه تواعدنـا وكـانَ الملتقـى ... فـي زورقٍ ومُنْشِـدٍ وقـافيـهْ
في هـدأة البحـر الذي مـن تحتنـا ... لا عـاصـفٌ يُزعجُنـا لا سـافيَـهْ
واستسلمَـتْ أحـلامُنَـا لنشـوةٍ ... فيهـا جَهِلْنَـا كـلَّ عُقبـى آتيـهْ
إذا بـه..بالبحـر يطغـى عاصفـاً ... إذا بنـا أسـرى لـذاك الطـاغيـهْ
والزَّورقُ المنكـوب...لا مِـنْ دفَّـةٍ ... تَهديـه للمَرسـى ولا مـن ساريـهْ
يقيمـه مـوجٌ عـلا... يُقعـده ... يَحطُّـه فـي النَّجْـمِ أو فـي الهاويـهْ
هـذي السـما مقلوبةٌ مَـنْ يا تُـرى ... حولَّهـا لسـافـلٍ مـن عـاليـهْ
يُميلُهَـا لجنبِهَـا ... يُميلُنـا ... لبعضِنَـا بأمـره طَـواعيـهْ
يُحيطُهـا منـه نِطـاقٌ لازبٌ ... تُحيطُنَـا أمـواجُ مـوتٍ راسيـهْ

وحيـنَ هـزَّ اليـأسُ منَّـا صبْـوةً واختلجَـتْ فـي مهجتَيْنـا حانيـــة
ألقيْتِ رأسـاً فـوق صدري فالتقـى وانِ يواسـي فـي ضنـاه وانيـة
واشـتبكَتْ ضلـوعُ صدري حولـه .. كفى، فقـدْ نـال المنـى.. كفَّانيـة
لقـدْ قهرنـا المـوتَ فـي لجَيْـه لـكنَّمـا الأيـامُ كـانَـتْ قـاسـيـة
والآن مـاذا ؟ ألف ماذا ؟ لا أعـي أجوبـةً عنهـا لنفسـي شـافيـة
وربَّ صمـتٍ بالـغٍ ما قصَّـرَ الـ إفصـاحُ عنـه: متْنُـه والحاشـيـة

****

قلعة بعلبك*

إيـهِ، بعلبـكُ هـل تحدَّيـتِ القـدرْ في قلعـةٍ هيَ في الدُّنـى إحدى العبَـرْ
تفنـى أداهيـرٌ وتُبقـي فوقَهـا فلكـاً يـدورُ علـى أداهيـرٍ أُخَـرْ
ألقمتِهَـا فـي الغابريـنَ لحـاضرٍ عَجَبـاً مِنَ الماضين يُبْهِـرُ مَنْ حضـرْ
سـورٌ مِنَ الآثـارِ تُعجِـزُ واصفـاً عـن وصفهـا فيُقـرُّ إعجـازَ الصُّوَرْ
حشدَتْ فنـونُ الشَّرقِ فيهـا آيَةَ النـحَّـاتِ والنقَّـاش في وجـه الحَجَـرْ
وريـازَةً نهضَ الجمـالُ بهـا على ضُـلُـعٍ مثَلَّثَـةٍ وخـطٍّ منكَسِـرْ
ومثـالَ (أبُولـو) و (فينيسَ) علـى إزميـلِ نحَّـاتٍ تنفَّـس بالزَّهَـرْ
أصعدتِهَـا من فـوقِ أعمـدةٍ لهـا (إرمٌ) مثالٌ فـي التعـالي والكِبَـرْ
فاستشرفَـتْ أممـاً لهـا من عهدها ذكـرٌ خفَـى أو مجدُها ذكـرٌ ظَهَـرْ
ومضَتْ تسيرُ على الخلـود بثابـتٍ من خَطوِهَـا تُبْـدي أعاجيـبَ البَشَـرْ
حتى أتتْ عصرَ العجائـب آخـراً فاسـتوقفتْـهُ وكـاد يُبهِـرُه النَّظَـرْ

****

---

* بعلبك تموز ١٩٣٤م.

مع الطبيعة*

هــذي الطبيعــةُ أسفـرتْ بجمالهـا فتمـرَّدتْ كلُّ الحســان على الخفَــرْ
وأبيــنَ إلاّ أن يكـــنَّ رفاقهـــا عنـد الغديـر وتحت أغصان الشـجرْ
أسفرنَ مثـل سفورهـــا وسرحنَ بيـْـ ـنَ سطورهـا صـوراً بها تجلو سـورْ
فنثـْـرن بين الـورد أزكـى نفحــةٍ وبثثـْـن بين البـانِ أشهى مهتصَـرْ
ذي بانــةٌ تزهــو يُمايلُهـا الهـوى ذي غــادةٌ تلهـو يداعبهـا النظــرْ
وهنــاك صنصافٌ وسـربٌ من مهـا وهنــاك بانــاتٌ وأســرابٌ أُخــرْ
ألأمــرُ غُـمَّ ، فـلا نُميِّز مـا نـرى بــانٌ تمايـل ذاك أم قـــدٌّ خطــرْ
ومعاطـف الغـادات هـزَّ لهـا الهـوى حـللاً دِمسقــاً أم وريقـــاتِ الشّـجرْ
ووجـوه غـــاداتِ الحمى قد أسـفرتْ من فـوقِ قامـــاتٍ يهدهدها البطــرْ
تعـــدو وظـلُّ الآسِ يُخفـي وجههـا آنـــاً ويبـــدو آنـــةً تحـت القمــرْ
أم أنّ وجــه البـــدر أبدى صفحــةً للنَّهــر فارتسمـتْ بصفحتـه صـورْ
فبـدا بهـــا أقمـارُ تـمٍّ ، إنْ طفــتْ يطفــو سناً وإذا تكسَّـرتِ انكســرْ
هـذي الطبيعـــة كفُّهـــا كـــم طـرَّزتْ مـن كـلِّ وشـيٍ لـم تُطـرِّزْه الأُبـرْ

****

أنتَ منـاري**

لتــرى الـزّمـــان ملفَّعـــاً بـإزاري أهــوى حيــاةً في الزمـــان العـــاريْ
ولكـــي ترانـــي مالـــكَ المضمـــار أحيـــا لِحلبـــةِ ســابِقٍ مغـــوارِ
لتقــرَّ عينُــكَ ، والمُراهــنُ فـــارسٌ جلَّى بنقـــعٍ فـي السِّـباقِ مُثــارِ
يــا غصَّـــةَ الحُسَّـاد، يا غيظَ العـدى وعداهمـــا... يـــا قُـــرَّةَ الأبصـارِ

---

* بعلبك تموز ١٩٣٤م ، جمادى الثانية ١٣٥٣هـ.

** أرسلتها إلى سيدي الوالد (رحمه الله) جواباً عن رسالة مزجها شفقة بلوم. وقد بلغه عني قلقٌ وتردّدٌ بالمضيّ لما أرادني له ـ النجف ١٣٥٣هـ.

أنت الذي ملأ الزمان رِفادةً ... وإفادةً بالجود والإيثار
وَحَلَيْتَ عاطلَ جيدِه وكسوتَه ... فسُنوه لولا ما وهبْتَ عواري
أترى بأنّي - يا فديتُ - مكفكفٌ ... عن دربك الهادي طليق عذاري؟!
وإذن فما عرقي (بشيبة حمده) ... طابتْ منابته ولا أثماري
سأتابع المسرى عشيَّة ليلةٍ ... ضلّتْ مساربُها وأنت مناري
فإذا رأيتَ (أبا الهدى) في غمّةٍ ... فالبدرُ يعلوه غمامٌ ساري(١)

****

شـلو*

لئن رأى الرائي عليَّ هيكلاً ... مقوّساً يشُدُّ من غير وترْ
وسحنةً قد غاض منها ماؤها ... وناصعاً من البياض في الشَّعرْ
وصاعداً في السِّنِّ رغمَ عارمٍ ... منَ الشباب ينجلي ويستترْ
فذاك أنّي ذو شبابٍ أُطفئتْ ... فيه المُنى وأُذكيَتْ فيه العبرْ
عشرون من عمري وخمسٌ بعدها ... ما غادرتني غير شِلْوٍ مُحتضرْ

****

غنـاء**

أصخْ سمعاً لذي هزْجٍ وباكي ... وميِّزْ لحنَ ذا من لحنِ ذاك
أتسمع غيرَ أنغامِ البواكي ... تُواتينا بأشجانٍ دِراكِ ؟
تشابهَ صوتُ منْ غنّى وصوتٌ ... يُقطِّعه الأسى من قلب شاكي
كلا الصوتين ذي شجنٍ وبِشْرٍ ... وليدُ نوائحٍ وربيبُ باكي

---

(١) (أبو الهدى): كنيتي الأولى وكان الوالد رحمه الله عند ولادة المولود ذكراً كان أم أنثى يسمّيه ويلقبه ويكنيه.

* صور، تموز سنة ١٩٣٤م - ربيع الثاني ١٣٥٣هـ.

** بغداد - شعبان ١٣٥٣هـ - تشرين الثاني ١٩٣٤م.

فــإن كلّفــتَ ذا شــجنٍ غنــاءً
فهــل غيــرُ البكــاءِ مــن البواكــي؟
هـزارُ الرّوض يعـرفُ كيـف يشـدو
بالحــان الهــوى فــــوق الأراكِ
وذاتُ الطــوق تعـرف كيـف تبكـي
بكــاءً فيــه جمـــرُ الثُّــكل ذاكــي

تسويف*

(حُلمي) سئمـتُ الوعـد والتسـويفـا
وسئمــت عنــدك جلســةً ووقوفــا
أشـبعتَنــي خُلقــاً وخُلفــاً أجتنــي
بكليهمــا مهمــا رجعْــتُ صنوفــا
وتـركتَــي متـــردّداً متحيِّـــراً
بتليــدِ وعــدٍ أجتنيــه طريفــا
لا بــارقٌ يُنبــي بأنَّــك منجــزٌ
وعــداً... خـلا الترحيبَ والتسويفـا
ليـتَ الــذي أعطــاكَ خُلقــاً سائغــاً
سـوّاك عــن خُلــفِ الوعـودِ عَزوفـا
عهـدي بــكَ المِفضـالُ فـي آدابنـا
لـم تُمنَــحِ الأدبَ الرفيــعَ صُدوفــا
إمنــح مجلّتنــا امتيــازاً وانتظــرْ
مــا طــابَ من آدابهــا المقطـوفـا
شـهرانِ قـد مضيـا وهـذا ثالــثٌ
فامنــعْ أو امنـحْ تصنـعِ المعروفــا

****

أيــن العــرب ؟**

يــا دهرُ مالي لا أرى فيك العــربْ
يــا نعمَ أُولــى خلّفــتْ.. هـذا العَقَـبْ
بُناتنــا الحــذّاقُ أيــن مَــنْ بنـى ؟
كُماتنــا الغُــلاّبُ أيــن مَنْ غلَـبْ ؟!
كانــتْ حضــاراتٌ أهــذا ظلُّهــا؟
كانــتْ فتوحــاتٌ أهذا المُنقلبْ ؟!
هــذي دويــلاتٌ وكانــت دولــةً
مدَّتْ على جوانب الدنيــا طُنـبْ(١)
أأُمّــــةٌ أخـرى بقومـي نسلـوا
أم أنَّهــم لا ينتمــون للعَــربْ ؟
أم أنّ عصــر الكهربـا أوهـى قـوىً
لمـن أراد المجـد من عصر القَتَبْ؟

---

* عندما طلبت امتيازاً لإصدار مجلة الديوان، ماطل السيد إبراهيم العمر، مدير المطبوعات يومئذٍ، بمنح الامتياز فأرسلت له هذه الأبيات.

** النجف ـ شعبان ١٣٥٣هـ كانون الأول ١٩٣٤م.

(١) الطُنُب: الحبل الذي تُشدُّ به الخيمة إلى الأرض.

أُخِّرتُمو أكانَ من أسبابه ... دينُكمو أم أنتمو كلُّ السَّببْ ؟

دينُكمو الإسلام دينٌ نابضٌ ... بكلِّ معنىً في الحياةِ يضطربْ

و(أعدّوا ما استطعتمْ) آيةٌ ... تعْني الضِّراب مثلما تعني الضَّربْ

أجدادكم - إن كنتمو منهُمْ - علَوا ... بالدِّين حتى زاحموا هام الشُّهُبْ

فكم غزَوا: فحطَّموا وكم بنوا ... فأحكموا مرتفعاً ومنتصبْ

وهل ينافي العلمُ ديناً بيِّناً ... ودينُنا والعلمُ شُدّا في سببْ؟

و(جادلوهمْ) خطَّتْ لبنائنا ... على أساس العلم لا على الرَّهَبْ

تاريخنا : مدرسةٌ وجامعٌ ... محرابُه : دينٌ وعلمٌ وأدبْ

و(مربدٌ) في جانبٍ وجانبٌ ... (عُكاظ) يا مَنْ قدْ وعى؟ يا مَنْ خطبْ؟

ودُورُ علمٍ ههنا وههنا ... قد زخرتْ بطالبٍ وما طلبْ

كم منحتْ إجازةً ؟ وكم لقبْ؟ ... وأبدعتْ بنهجها كلَّ عَجَبْ

ألعلمُ ربُّ الاختراعات التي ... هبَّتْ تهزُّ الريحَ إمّا الريحُ هبَّ

في الجوِّ أو في اليمِّ أو في الأرض تُلْفيها المجلّي والذي حاز القصبْ

فالطرف إمّا رام سبقاً فاته ... دخانها ولم يحرِّكِ الهُدُبْ

كم ذا أرانا العلم من آياته ... وكم نرى - مستقبلين - منْ عَجَبْ

ألسِّلكُ واللاسلك من أبنائه ... و(الراديو) أخوهما فيما نَسَبْ

فتارةً يلقي إلينا هامساً ... أسراره أو ملغزاً في ما كتبْ

أو هاتفاً أصواتَ يُلقي خطبةً ... ترنُّ في الآذان من خلف الحُجُبْ

وإن في آفاقنا أنغامَه ... فأنفسٌ نشوى ونادٍ مِنْ طَرَبْ

يَسْتاقها موجُ الهوى صريحةً ... مِنْ (لندنٍ) حتى مواطن الطُّنُبْ

يطوي الجهات السِّتَّ فيها ناشراً ... أخباره طيَّ السجلِّ للكتُبْ

يُسخِّرُ (الأثير) في عليائه ... وينْظُمُ (الموجات) حبلاً من حَبَبْ

فيربطُ الشرقَ القصيَّ جامعاً ... أشتاته و(الغرب) في أوهى سببْ

هذي خيالاتٌ تُرى أم واقعٌ ؟ ... حقَّقها العلمُ بجهدٍ ودأبْ

هلمَّ يا عصر الضِّياء قبْسةً ... هلمَّ يا أوطاننا.. عصر الذهبْ

لحن الـروح*

أدرْ لـــي مـــن طــلا الأوتـــا ر مـــــا للقـــــلب أرواهْ
ودعْ قلبـــــي مـــع التقسـيـــم يجــري حيـــث مجــراهْ

****

ووقّــعْ فـــوق هـــذا العـــو د يـــا (إســحق) أشــعاري
ومـــن لحنـــي علـــى القيثـــا ر رجِّـــعْ صفـــو أفكـــاري
وأفـــرغ مهجتـــي فيهـــا وأسمعْنـــي بمقـــدار
فمـــن قلبـــي إلـــى الأوتـــا ر ســـلكٌ هـــزَّ أوتـــاري
وذي نفســـي علـــى الأنغـــا م طـــارتْ فـــوق تيَّـــار
وذي روحـــي مـــع الألحـــا ن قـــد نزلـــتْ بمضمـــار
تـوافقهـــا علـــى الترجيـــع مـــن ســـرٍّ لإجهـــار
ومـــن إيهـــام (أرغنِهـــا) إلـــى إيضـــاح (مزمـــار)
فغـــنِّ الـــروح يـــا إسحـــق مـــن فتلـــي وإمـــراري
فألحـــان الهـــوى كُثُـــرٌ ولحـــن الـــرُّوح أسمـــاهُ

****

إذا أعيتْـــك ألحـــاني فإنـــي أحســـن اللَّحنـــا
وهـــذا البلبـــل الشـــادي معـــي قـــد أتقـــن الفنّـــا
كلانـــا سامـــر الأسحـــا ر مبتكـــراً ومفتنّـــا
وأبـــدع مـــا يشـــا..الإبـــدا ع..لا شعـــراً ولا وزنـــا
وعيـــن النجـــم ترقبنـــا كـــرىً مـــا أطبقـــتْ جفْنـــا
تـــلألأ فـــي الســـما طربـــاً وتحـــدق أُذْنُهـــا عينـــا
فتجعـــل أذنهـــا عينـــاً إذا مـــا أعـــوزتْ أُذْنـــا

* نظمت هذا الموشح بمناسبة تهنئة أخي السيد محمد جواد بولادة ابنه جعفر ـ النجف الأشرف، آذار ١٩٣٥م ـ ذو الحجة ١٣٥٣هـ.

فأُطـــــربُ ببلبلــــي لحنـــــاً ... ويطـربنــــــي إذا غنّـــــى
كلانـــــا فـــي الهـــوى شـــرعٌ ... كـلانـــــا تـائــــةٌ مضـــنى
إذا غنّـــــى فمـــــن شعـــري ... وإن أنظـــــــمْ فمعنـــــاه

****

كـلانـــــا باكـــــر الأزهـــــا ... ر مرتشـفـــــــاً ومنتشـقـــــا
تعاطينـــــا حبـــــــاب الطَّـــــــلّ مُصطبَحـــــــاً ومغتبقـــــا
وتنفحنـــــا خلــــوقُ الطيّـــــــب داريّــــــــاً إذا عبقـــــا
فنعطيهـــــا صبَـــــا الأسـحا ... ر شعـــــراً أو حديـــــث تقـــى
وننشــــــر طُهرَنـــــا بـــــرداً ... ونطــــوي الشّـــوق والحُرقــــا
كلانـــــا طـــــارحَ الأصـــــا ... ل ســـجعاً وارتـــدى الغسَـــقا
وقـــــارض أفقـــــه وصفـــــاً ... وناجـــــى الفجـــــر والشّـــفقا
ومـــــال لروعـــــة الإصبـــــا ... ح سُــكْراً واجتلــــى الغلقــــا
كلانـــــا فــــي الجمـــــال هـــوى ... وفــــي معنـــــاه قـــــد نطقـــــا
فمــــا الإصبـــاح مــــا الأصـــــا ... ل مــــا الأســـحار لـــــولاهُ؟

****

هلــــــمّ بنـــــا لمولــــودٍ ... نحيّيـــــــه فيحيينــــــا
نشــــمُّ الوجنـــــة الزّهـــــرا... ... فنســـــتافُ الرياحينـــــا
وننشــــق وردة الخـــــديّـــــن مســـكاً فـــاق دارينـــا
ونلثمــــــه بحبّــــــات الـــــــفؤادِ حبـــــاً فيشفينـــا
ونرشـــــف مـــــنْ ثنايـــــاه الـــــعذاب لمـــــىً فيروينـــا
يُرينـــــا طلعـــــة البـــــد ... ر بطلعتــــــه فيهدينـــــا
ونقـــــرأ آيـــــة الحُســـــن ... بوجنتــــــه أفانينـــــا
فنتلـــــو ســـــورة الحمـــد ... ونشكـــــر بعـــــدُ بارينـــــا
وندعـــــو اللـــــه يحفظـــــه ... ونهتـــــف بعـــــدُ آمينـــــا

وهنّى قلبَ والده		وقرّتْ فيه عيناهْ

****

هلمَّ بنا لمولودٍ		نناغيه فيبتسمْ
ونلهيه بأكبادٍ		على ناديه تزدحمْ
ونفديه بأرواحٍ		له حبّاتُها حَرمْ
وملْ نحو (الجواد) بنا		وقلْ يَهنيك يا علمْ
بشبلٍ أنتَ والدُه		وفرعٍ منك مُنقسمْ
توَلّدَ بين فرعي غا		لبٍ نوراً له ضرمْ
أبوه (هاشم) العَليا		و(مخزومٌ) له أمٌ
سيرقى المجدَ: طارفه		وتالده له قَدمُ
فأمُّ الفضل تُرضعه		وبالعلياءِ ينفطمُ
وربْعُ العزّ مرتعه		وروضُ العلْمِ مرعاهُ

****

أصنوي والعُلى صنوي		أماتَ الله شانيكا
فهذي الرُوح لا أحوي		سواها وهي تَفديكا
لك الخيراتُ والأفرا		حُ لا زالتْ يناديكا
ودمْتَ ودام مزدهراً		زمانٌ رغدُه فيكا
يُطالعك السعود ضحىً		ويُمسي في مغانيكا
ودمتَ بظلّ سيّدنا		ودام الظلُّ يأويكا
ودمتَ بـ(جعفرٍ) فرِحاً		تراه عُلىً يجاريكا
بنبلٍ أو سموٌ إبا		ونفسٍ باتَ يحكيكا
فدُمْ بالأُنس مقتبلاً		بجعفرَ سعد آتيكا
وأرِّخ : جعفرٌ يبقى		وعينُ الله ترعاهُ

****

مـدح وتهنئـــة*

إشْحَذْ لساني وأيقظْ هجعــةَ الفِكْرِ   عَلَيَّ أقـومُ ببعض الحمـد والشكـر
إن أُخِرَتْ عنكمُـو غـرّاءُ تهنئتي   فالهـمُّ يُقعـد قسـراً همّـة الحـرّ
غُمَّتْ لـديَّ أمورٌ كنـتُ أحسبهــا   أجلى من الصُّبح أو أسنى مـن البدر
لم أدرِ قبلَ ورودي ضيقَ مسلكهـا   حتى صدرْتُ وإني محـرج الصَّدر
غـامرتُ فيهـا وخلتُ النَّجـحَ حالفني   لكـنَّ طالعـيَ الجونيَّ فـي خُسُـرِ
والنفس تدفع بـي فـي كـل معسـرةٍ   دفعـاً وتحملنــي للأخشـن الوَعْـرِ
في كلِّ عاصفةٍ تلفي لهـا زجـلاً   أو كـلِّ كائنـةٍ في البـرِّ والبحـرِ
فـــوَّارةٌ ألمـــاً تَغـلي مراجلهــــا   طفَّاحـةٌ أمـلاً بالمجـدِ والفخـرِ
تـرمي إلـى هـدفٍ لا ترعوي أبـداً   حتى تصيبَ عُلىً أو ظلمـة القبـرِ
لــو أن ربِّيَ أعطاني على هممي الْـــــعُليا لأصبـح رقِّـي جامـح الدهـر
لكنهــا حكـمٌ فـي كنههــا خمـدتْ   نــارُ العقول ولو نـافتْ على العشْرِ
أسرفتَ يـا زمنـي فـي ظلـم ذي شيمٍ   يعلـو بـه نسـبٌ للفتيــة الزُّهْـرِ
بالهــمِّ ما حفلتْ نفسـي وكاشفــه   (عبد الحسين) أبي ذي العطف والبرِّ
قـد طبتُ منتسباً إذ طـاب لـي نسباً   والعطرُ معتصَرٌ من أشـرف الزَّهـرِ
لـي من عـلاه ذُكـا عــزٍّ تشارفني   أنَّـى أقيـمُ وتسـري حيثمــا أسـري
ينجـابُ منجفلاً غمِّــي إذا خطـرتْ   ألطافُه غـرراً فـي مُضمَـرِ السِّـرِ
كـم مـرَّةٍ كسـرتْ فقْـري أناملُــه   أو مـرَّةٍ جبـرَتْ ألطافُــه كسـري
فـالقطرُ مـن يده إن أجدبَـتْ سـنةٌ   تجـري أنامـلـه بالنَّائـل الوَفْـرِ
عمّــارُ أنديــةٍ بالعلــمِ منطقــه   نظَّـامُ منثورهِ فـي الطـيِّ والنَّشـرِ
إنْ يرقَ منبـرَه فـي يـوم مُعضلـةٍ   ينحطُّ عنــه بسيلِ المنطـق البِكْـرِ

---

* أرسلتها إلى أخي السيد محمد جواد بتهنئته بولادة ولده الأوحد (جعفر) حفظه الله مهنئاً ومادحاً سيدنا الوالد (رحمه الله) وكانت ولادة جعفر في شهر رمضان سنة ١٣٥٣هـ الموافق ٢٧ كانون الأول ١٩٣٤م ـ النجف ، رمضان ١٣٥٣هـ ـ كانون الثاني ١٩٣٥م.

أو يوم منقبةٍ يروي مُفصّلَها ... يرفضُ مُحكمُه عن آيةِ النَّثر

أو يوم موعظةٍ تأتيه خاشعةً ... كلُّ الجوارحِ: تتلو آيةَ الشُّكر

تَجري بلاغتُه في الرُّوح مُحييةً ... ميتَ النفوس ، ومَيْتَ العقلِ والفكر

في مقولٍ ذَربٍ ما اعتاده فَلَلٌ ... يشفي البريَّة من عيٍّ ومن وقر

تُصغي المسامع للإعجاز منصتةً ... والنفس في طربٍ والرُّوح في سُكْر

أخّاذُ أفئدةٍ ، جذّاب حبّتها ... سحّارُها ، وعلا عن مهنة السِّحر

كشّافُ معضلةٍ ، حلّالُ مشكلةٍ ... بذّالُ ذو جِدَّةٍ في العُسر واليُسر

ثَبْتُ الجَنانِ إذا ما محنةٌ نزلتْ ... رحبُ الأناة، ورحبُ الصَّدرِ والصَّبْر

يلقى أعاديه في بسمةٍ أسرَتْ ... قلبَ العدوِّ فما ينفكُّ في أسر

يلقاه في خُلُقٍ فاضتْ نداوتُه ... بِشْراً، فيغمره بالخُلْقِ والبِشْر

بحران قد جُمعا في صدره شرفاً: ... علمٌ خضمٌ وصبرٌ مبهمُ السَّبْر

هذا لمنتجعٍ خضرٌ مرابعُه ... قد أزهرتْ فنناً في حبّه النَّضر

وذا لذي مرضٍ في النفس مُعتلجٍ ... والصَّبرُكم قد شفى في الصَّدرِ من ضُرّ

قارضتُه مدحاً في طيِّ تهنئتي ... كيما تحالُ كُبىً(١) نفّاحةَ النَّشْر

كيما تحال به (تعويذةٌ) نُشرتْ ... حرزاً لـ(جعفرنا) من نافث الشَّر

فليَهْنَ (سيِّدُنا) ولتَهنَ يا عضُدي ... في مولدٍ شرفاً في ليلةِ القدر

عيدٌ أتاك وعيدٌ بعدُ مقتبلٌ ... فاهنأ بجعفرَ واهنأ بعدُ بالفطْر

نورٌ تولَّدَ من شمسٍ ومن قمرٍ ... مشكاتُه وُصفتْ في مُحكمِ الذِّكر

ظنّي به علمٌ في رأسه قبسٌ ... يَهدي به سَفراً في الليلةِ الغمْر

ذو سؤددٍ سطعتْ في الكون غرّتُه ... يُومَى له شرفاً بالأنمُلِ العَشْر

تعلو به هممٌ للعزِّ طائرةٌ ... حتى يطنّبَ بين الليثِ والنَّسْر

تُخشى مضاربُه تُرجى مواهبُه ... للنَّفعِ آونةً يُدعى وللضَّر

ميمون منقبةٍ محمود مأثرةٍ ... تُجلى محاسنُه كالماس في النَّحْر

نورٌ تقلّبَ في الأصلاب شامخةً ... حتى تحدَّر طهراً من عُلى فَهْر

سبحان منشئه هذا مؤرّخُه: ... طهرٌ تنقَّل من طُهْرٍ إلى طُهْر

---

(١) كُبى : مفردها كباء : عود البخور.

بقيـة السـلف*

عثر الزَمانُ فلـم يُفـدْ قـولي: لَعـا
وكبـا فـأردى العلم والتُقـوى معـا

ونفـى قريشــاً عـن مرابـع عزّهـا
فاستوطنـتْ جدبـاً وأمّـتْ بلقعــا

وعـدا علـى العربـاء: باديهـا وحـا
ضرهـا فشتّـت شملهـا والمجْمعـا

وطـوى لهاشـمَ رايــةً خفّاقــةً
فطـوى المعـاليَ والمفاخـرَ أجمعـا

عذباتهـا زُهْــرُ الكواكـبِ لمّعـا
تُـدني الديـاجي مِن هداهـا مطلعـا

وعمودُهـا فلَـقُ الصّبـاحِ لمهتـدٍ
أو صعـدةٌ تُـردي المضـلّ المبدعـا

فاضـت أشعتــه فأفعمَـت الدُنـى
علمـاً وأفعمـت السَّمـاء تورُّعـا

****

بكرَ النَّعيُّ بـ(برقـةٍ)(١) ينعي لنـا الْـحسَنَ (الزكـيَّ) فيـا بنفسي مَـن نعـى

وأصـاتَ يُجهش بالبكـاء معزّيـاً
(صنـوَ النبـيِّ) بشبلـه ومروَّعـا

يُذكـي الفضـاءَ بزفـرةٍ ملتاعـةٍ
حـرّى ويلفـظ قلبـه متقطّعـا

ينعـي لنـا البطحـاءَ ينعـي شيخهـا
ينعـي لفهـرٍ حصنهـا والمفزعـا

ينعـي ثُمال بني الـورى ينعـي الهدى
ينعـي (الإمـام المجتبـى) والمرجعـا

ينعـي لهاشـمَ آيــةً علويَّــةً
سـمحَ الزمـان لنـا بهـا واسترجعـا

علاّمــةٌ مــلأ الزمــان إفــادةً
نسّاكــةٌ مــلأ الظّــلام تورُّعـا

****

---

* توفي سيدنا الخال الأعظم السيد الحسن الصدر رضوان الله عليه أصيل يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٤ للهجرة الموافق شهر حزيران سنة ١٩٣٥م. وكان من أعلام الأمة الإسلامية وأحد مراجع الشيعة في العالم الإسلامي وقد زاره الأديب اللبناني أمين الريحاني في داره وذكره في كتاب ملوك العرب ذكراً قلّما ذكر سواه بمثله. وحين وفاته كنت في النجف فوردتنا برقية نعي خففنا إثرها إلى الكاظمية. وتلوت هذه القصيدة في اليوم السادس بعد وفاته في فاتحة أقامها العلامة السيد محمد مهدي الصدر ـ الكاظمية ـ ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م.

(١) يشير بذلك إلى البرقية التي وردت إلى النجف تنعي الفقيد.

أبقيَّــــةَ السَّـلف الـذي كنَّـا بــــه نستمطـرُ البركـاتِ مزنـاً مُنقعـا
إنَّـا فقدنـا فيـك يـا خصـبَ الدُّنى خصـبَ الـورى وفراتهـا المتدفعـا
إنَّـا فقدنـا فيـك نُضـرة عيشـنا إذ كنـتَ أنـت بـه النعيـمَ الممتعـا
إنَّـا فقدنـا فيـك جمـع شتاتنـا إذ كنـتَ أنت نظيمَ شملٍ وُزِّعـا(١)

****

يـا واحـد الدنيـا مضيـتَ بجمعهـا أمـلاً وأنساً ـ مذ مضيت ـ ومطمعا
لـك فـي الفـؤاد مكانـةٌ حتـى إذا مـا متَ خطَّ لك السويدا...مضجعا
وأسـال دمـع العيـن أحمـر قانيـاً بـدل القُـراحِ : مغسَّـلاً وموذَّعـا
وحبـاك بالشُّـغُف الغوالـي مُكفَّنـاً وأتـاك بالأمـل الرَّطيـبُ مشيِّعـا
وإذا بُنـي خشـباً لغيـرك نعشُـه فلنعشـك السَّـامي بنيْنـا الأضلُعـا
رفعـوه نحـو الأفْـق فوق رؤوسهـمْ فجرى على بحرين مجـرى طيِّعـا
بحـران فيَّاضـان : بحـرُ خلائـقٍ يجـري ، وبحـرٌ قد تسـاقط أدمعـا
والنعـش فوقهمـا يسـير وحولـه رُفِعَـتْ أكـفٌّ بالدعـاء تضرُّعـا
لكأنَّـه فلـكُ النجـاة وتحتـه طوفـانُ نـوحٍ قـد تدافـع مفزعـا
هـذي الخـلائق حولـه مدَّتْ له الْـ أيـدي : تلمَّسُ للسـلامة موضعـا
طـافـتْ بـه محنيَّـةً لمهابـةٍ كـان الزمـان بحصنهـا متمنِّعـا
فتحوَّلـتْ تلـك المهابـةُ روعـة بسـط المنـونُ بهـا جـلالاً أروعـا
فخـلا الزمـان من المهابـة والإمـا مـة بعـدَه وأحـلَّ فيـه بلقعـا
قـد كـان فيـه عمـادَهُ فتزلزلـتْ أركـانُـه ونـوالُـه فتوقَّعـا
ولطالمـا وسـع الزمـان عطـاؤه فأعمَّـه دعـةً وأوسعـه دُعـا...

****

(١) بالإضافة إلى مكانة الفقيد الدينية العالية في العالم الإسلامي كانت مكانته العائلية كنظيم العقد فإنه كان خالاً لفرعي العائلة الآخرين الكبيرين: آل شرف الدين (الوالد رحمه الله وذريته) وآل السيد اسماعيل صدر الدين بالإضافة إلى خؤولته لـ (آل ياسين) ذات المكانة الدينية المرموقة.

أخليفة الماضين مَنْ "عمرو العلى" أفهل درى فيك الرَّدى مَنْ أفجعا؟
قد أُفجع (التنزيل) فيك مفسّراً ومؤوّلاً آياته ومرجّعا
قد أُفجع التأليف فيك (مؤسّساً)(١) كم شِدتَ فيه مُهدَّماً ومضعضعا
من يحسن(التفسير)بعدك موضحاً متشابهَ الآيات والمتنوّعا
من يحكم (التأليف) بعدك موهناً جسماً فنى في (المكتبات) تتبّعا
وقصرْتَ وقتاً لم تُضعْ ببطالةٍ منه الثمينَ ولا الرّخيص الضيّعا
جدّدته بشبابك الزاهي كما أخصبْتَهُ مرعىً بشيبك مُونعا
ورفعته صُعُداً لأبعد غايةٍ متطلّباً بين السواري موضعا
فأتى كما تهواه بكْراً لم يُصبْ فكرُ العباقر من علاه مطلعا
وافتنَّ فكرك ما تشاء فنونَه فأتى بإعجاز البيان مرصّعا
أظهرتَ للملأ العليمِ معارفاً شتّى لها تعنو المعارفُ خُضّعا
وتركتَها آياتِ فضلٍ خالدٍ بخلود ذكرك ما يزال مرجّعا
يمشي على عُنُق القرون وذكرُكَ الـ فوّاح يفعمُها شذىً وتضوُّعا

****

يا حامي الإسلام كم لك دونه وقفاتُ فخرٍ كنت فيها الأروعا
يا هادي الضُّلاّل مَنْ لهدايةٍ إن قيل: هذا قد أضلَّ وأبدعا؟
كم فلَّ مزبرُك الدقيقُ صوارماً وشهابُ فكرك كم رجيماً روّعا
تعنو لفُتياك البريّة فهْي في حكم الشّريعة تُخضع المتشرّعا

****

يا مُورف الرّوْضِ البهيّ ومونع الـ غرس الجنيَّ فمَنْ لغرسٍ ضُيّعا؟
أنشأْتَ للمرتاد روضاً غرسُه فينانُ علمٍ كم زها وتفرّعا
وتعاهدتْ إنماءه لك فكرةٌ وقّادةٌ كالشمس حتى أينعا

---

(١) إشارة إلى كتاب تأسيس الشيعة من مؤلفات الفقيد وهو من أجلّ كتب الفهارس ، وللفقيد ما ينوف على الـ٨٠ كتاباً في مختلف "العلوم الإسلامية ".

وسلكْتَ بالمرتاد كيما يجتني
من روضك الزّاهي طريقاً مهْيعا

فأتتْ مصاعيبُ العلوم بأسرها
مطواعةً راضتْ ظهوراً ضُلّعا

هي روضةٌ للعلم باكرها الحيا
حتّى إذا استوفتْ حياها أقلعا

بسقتْ فما أبقتْ مكاناً مُجدبا
وذوتْ فما أبقتْ مكاناً مُمرعا

******

أمنار هاشمَ كيف أطفاك الرّدى
وحياتها كيف الرّدى بك أوقعا؟!

روّعتها فتصايحتْ خوفاً على
أحرارها أن تُسترقَّ فتخضعا

لولا (محمدُ)(١) الزّعيمُ حميُّها
لتشتّتَ الشملُ الجميع ووُزّعا

لاذتْ به فإذا حماها غابةٌ
وإذا العرينُ غدا العرين المُسبعا

أمّته هاشمُ وهو في عليائها
نسباً وآمنها على ما استُودعا

وأجلُّها في الرافدين... أعزُّها
جاهاً وأعلاها إباً... وترفُّعا

ذو عزّةٍ شمختْ به أعراقه
من غير عُجْبٍ أو فخارٍ مدّعى

وحميّ أنفٍ: كلّ أنفٍ شامخٍ
إن قِسْتَ فيه بان أنفاً أجدعا

وكبيرُ نفسٍ طأطأتْ لسموّها
كبرى النفوس تصاغراً وتواضعا

أ(رضيَ) هذا العصر سمعاً لـ(الرّضا)
وأنا الذي قال القريض لتسمعا

لا تبتئسْ إن طاولتك هياكلٌ
صمّاءُ تعجز أن تضرَّ وتنفعا

فالهرُّ يزأر كالأسود تشبُّهاً
لكنّما الأفعالُ تكْذبُ ما ادّعى(٢)

أنت (الرئيس) ولا أقول لـ(مجلس الـ
أعيان) بل للرافدين وما رعى

ثقةٌ من الشّعب الوفيّ لثابتٍ
قدماً بكلّ كريهةٍ ما زُعزعا

****

أمحمّدٌ والعينُ عبرى والشّجى
ملأ اللهى، صبراً فصبريَ أزمعا

عظُم المصاب، وفيك سلوانا وفي
عليا (عليٍّ)(٣) قد كففنا الأدمعا

---

(١) ولده الأكبر السيد محمد الصدر وهو من أبرز قادة الثورة العراقية وأنزه القادة السياسيين الذين تولوا الحكم في العراق ووضعوا اللبنات الأولى لاستقلاله.

(٢) تعريض بمن كان يزاحمه على رئاسة مجلس الأعيان.

(٣) علي هو أخوه السيد علي الذي خلف والده على إمامة جماعته في مسجده.

صبراً فإنَّ الصبرَ يجمل إن دهى خطبٌ ويعظم ما تعاظم موقعا
لكمو العزا.. ولنا بكمْ سلوى وللـ حسنِ الجنانُ، وللزّمان بكم لعا

****

مهازل*

بغدادُ ما خطب السجون؟ قد مُلئتْ بالمخلصينْ
لم تحفظيهم وهمو زهر الحمى، أُسْدُ العرينْ
ما بالهم.. هذا طر يدٌ أو شريدٌ أو سجينْ
أو مُطلَقٌ قيودُهُ آذانُ (جَسٍّ) وعيونْ؟
قد عدَّدَتْ أنفاسَه فانحبسَتْ على أتونْ
وأخرسَتْ حروفه فاستسلمَتْ على شؤونْ
بغدادُ فيكِ الحرُّ يخشى صوته فلا يُبِينْ
ران على مسامع الدُّنيا لشكواه مُرِينْ
أقعى كئيباً بانعزا ل في زوايَاه حزينْ
قد عُكِّرتْ في وِرْدِه شرائِعُ الماء المعينْ
بغدادُ ما بال النسو ر نُكِّرتْ عن الوكونْ
هامَتْ فما ألوَتْ لزُغْبٍ بانعطافٍ أو حنينْ
بغدادُ أولاء الذين أرخصوا فيك الثَّمينْ
أولاءِ يا بغدادُ كيما تسلمي ذاقوا المنونْ
أولاء هانوا فيك نفساً وهْيَ قطُّ لا تهونْ
همو الجنود المانعو ك جانباً همو الحصونْ
هم أرغموا المستعمر العاتي على ما ترغبينْ
هم حقَّقوا ما كاد ـ لو لا جهدُهم ـ أن لا يكونْ
هم أسقطوا المحال في إمكان حقّك المَكينْ
لم تُلههم عنك اللَّوا هي من فنونٍ أو فتونْ

---

* نظمتها في الفترة التي نكلت فيها بغداد برجال ثورة الاستقلال من أبطال الرُّميثة والرانجيّة النجف ـ ١٩ رجب ١٣٥٤هـ ١٦/١٠/١٩٣٥م.

كــم بـــات منهـــم ذو إبـــاً		علـــى طـــوىً وهـــو الأميـــنْ
والشــبع موفـــور لـــه		لـــو جـــاز فيـــه أن يخـــون

******

ســمعتَ يـــا بغدادنـــا		حكايـــة المســتعمريـــنْ
جـــاءوا إلينـــا فاتحيـــنْ		جنَاتِهـــم للداخليـــنْ
وقـدّمـــوا للمخلصيـــنْ		مفاتـــح (الكنـــز الثميـــنْ)
لمـــنْ يغـــضُّ طرفـــه		وحســـبُ... بَلْـــه الخائنيـــنْ
فأعرضـــوا وفضّلـــوا الحُـــرْ		مَ عـــلى المجـــدِ المُشـــينْ
لكنّمـــا قـــد جـــاء يـــا		بغـــدادُ "رِعديـــدٌ ضنيـــنْ"
ذو شَرهـــةٍ لعابُـــه		يســـيل للـــرِزق المهيـــنْ
فاحتلّهـــا ومـــا امتطـــى		ذلولـــةً ولا حـــرون
قـــد كـــان فـــي حوماتِهَـــا		بالـــذُلّ لا المجـــدِ قميـــنْ
مشـتمـــلاً خـــوفَ الـــردى		فـــي البيـــت (شـــملة الجنيـــنْ)
يُجرجـــرُ الذَّيـــل مـــع (الـــخوالف) اللاّئـــي خُميـــنْ
مهـــازلٌ تجـــدُّ يـــا		بغـــدادُ فـــي عُقبـــى الســـنينْ
هـــل أنـــت يـــا بغـــدادُ قـــدْ		فكّـــرت فيمـــا تصنعيـــنْ؟
ألمخـــضُ فيـــه زُبـــدةٌ		والشّـــكُ يُفضـــي لليقيـــنْ
وقـــد يليـــن الحـــرُ إلاَّ		فـــي هـــوانٍ لا يليـــنْ

****

دمـــوع*

دهـــى خطـــبٌ فأوهانـــا جَنانـــا		وجمجمْنـــا عيونـــاً أو لسانـــا
فـلا الدّمـــعُ الهتـــونُ جـــرى لَبَانـــا		ولا الشّـــعرُ الحنـــونُ جـــرى بيانـــا
وكنـــتُ أُســـرُّ فـــي عينـــي قصيـــداً		تكـــونُ لســـرِّ نفســـي تُرجمانـــا

---

* نظمتها في النجف ، في رثـاء العلاّمة الشيخ عبد الكريم مغنيـة المتوفى شاباً في ذي القعدة ١٣٥٤هـ الموافق كانون الأول ١٩٣٦م وكان قد بلغ مكانة مرموقة بين علمـاء الشيعة فـي لبنان. وقد ألقيت في حفلة تأبينية أقيمت له في النجف الأشرف.

وكنتُ أقول إن جمدَتْ دموعي — سكبت له قوافيَّ الحِسانا
ثوى (عبد الكريم) وقد أهلَّتْ — منازلُه على العليا... مكانا
ثوى بدراً لياليه قصارٌ — وعزَّ بها على النظراء شانا
فما أعلاه في فضلٍ مكانا — وما أدناه في عمرٍ زمانا
وما أولاه بالعينين تُجري — مدامعُها عقيقاً أو جُمانا
وحُقَّ على القريض به ابتداعٌ — ليبلغ من مراثيه لُبانا
وحقَّ على المنابرِ أن تُوفي — فجيعتَها بمَنْ حاز الرِّهانا
فتبكي دوحةُ للعلم تزكو — ذوَتْ عَجلى وما بلغَتْ أوانا
وكانَتْ حسرةُ القلب المعنَّى — به مع حرَّةِ العليا... قِرانا
فما الصِّنْوُ القريبُ أشدَّ حسّاً — بما لاقى البعيدُ به وعانى

****

خداع وتغرير*

إذ قلتَ: نطلب حقَّ الشعب بالنار — غرَّرتَ بالشعب لا تُعفى بأعذار
وانصاع يجمع: إمّا للردى قدماً — أو للحقوق التي تُعطى لأحرار
يا للْهوانِ فهل شعبٌ بأجمعه — يسعى ليبلغ فردٌ فضلَ أوطار؟!

---

* ثار الفرات الأوسط بقيادة الشيخ عبد الواحد سكر رئيس عشائر الفتلة تحت شعار المطالبة بحقوق الأكثرية (الشيعة) فنال بذلك تأييد الطبقة المثقفة والعلماء. ونجحت الثورة بغير إراقة دماء ولا تصادم بفضل الانضباط والتنظيم والإجماع فسقطت وزارة علي الأيوبي ثم وزارة المدفعي وشكّل ياسين الهاشمي الوزارة فأعلن عبد الواحد انتهاء الثورة. وتبيَّن للناس أنَّ الثورة كانت بايعاز من حزب الإخاء الوطني الذي كان ياسين رئيساً له وكان عبد الواحد من أعضائه. وكان أن صادف في أول تسلم ياسين الحكم أن احتفل بعيد الغدير في ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٣هـ الموافق ١٣ آذار ١٩٣٥م . فأراد بعض المحتفلين التعبير عن سخطهم فتكونت تظاهرة أعقبها هجوم على بناء للبريد كانت الحكومة قد شيَّدته على أرض وقفية تعود لمقابر قريش المقدسة، فهدمه المتظاهرون واستدعت الحكومة قوة من الشرطة رمت بنيران الرشاشات الجموع المحتشدة في ذلك اليوم الحافل الذي يقصده عادة أغلبية سكان بغداد وضواحيها فقتل أكثر من ٢٢ شاباً وجرح أكثر من ٥٠٠ رجل وامرأة وطفل. هذه الأبيات نظمت بهذه المناسبة والمخاطب بها عبد الواحد سكر. وألقيت في النجف في ذكرى مرور ٤٠ يوماً على دفن شهداء الحادث.

جاء (الوزارة) (ياسينٌ) فنلت بها ... ما كنت تطلب من تسخير ثُوّار
واستفتحتْ عهدها (يوم الغدير) دما ... أُريقَ من نُخبٍ في الشعب مختار
طلْعُ الزُّهور من الفتيان ساقطها ... قُطرانُ نارٍ منَ (الرشاش) مدْرار
فساقطتْ لفم.. ماءُ الشباب به ... يَغلي على التُّربِ فوّاراً لموّار
لا يستكين بلا ثارٍ وصائحُهُ ... يهيبُ في القبر: هلْ من مدركِ الثّار؟!
أم الأعاربُ لم تُنجبْ سوى بطلٍ ... حُرٌ ترعرع طلاّباً لأوتار
هذي جنايتُك الكبرى فحُقّ لها ... أن تغسلَ العارَ أو تُنفى عن الدار

****

نهج الصيّد*

أشاحتْ لحظَها عنّي وقالتْ ... بلفظٍ كلُّه دلٌّ وغنجُ
من المزجي لنا لحظاتُ طيشٍ ... تشعُّ كأنها في الليل سُرُجُ
فقلت لها: وحسنُك فيه طيشٌ ... وذي شبكاتُ صيدي كيف ينجو؟!
وإن كانتْ بي اللَّحظاتُ سرْجاً ... فذلك أنها في الصيّْد نهجُ
فقالتْ: أنت صيّادٌ ولكنْ ... مذاكي(١) صيدك (النهجيِّ) عُرجُ
حذار من التّمادي في غرورٍ ... فما لسهام صيدك بعدُ زجٌّ(٢)

****

فنّ الملائك**

أهنيك في عرسٍ أُخيَّ مباركٍ ... به السعدُ والإقبالُ خيرُ مشاركِ
وقلبي على بعد المزار لسانُه ... يهلهل بالشعر الذي هو تاركي
تفاءلْتُ من أيامك البيضِ بعدما ... تشاءمتُ عمراً من سنيَّ الحوالك

---

* النجف ١٩٣٥م.
(١) المذاكي: جياد الخيل
(٢) زجُّ الرمح: كعبه الذي يرتكز عليه.
** أرسلتها إلى أخي جعفر في زواجه ـ النجف ربيع الأول ١٣٥٥هـ / حزيران ١٩٣٦م.

وراجعْتُ فنّي والفنونُ كثيرةٌ ولكنْ فنُّ الشعر فنُّ الملائك
تعارفُ أرواحٌ به وعواطفٌ على بُعْدِ أخلاقٍ لها وممالك
وعاودني شرخُ الشباب إلى الهوى وإن كان شكلي قد بدا شكلَ ناسك
فعمري لم يبلغْ ثلاثين حجّةً ولكنَّ آلامي رمتْني بفاتك
وجعّد من وجهي أساريرَ بضّةً سحائبُ سودٌ من همومٍ بوارك
وبيّض رأسي قبل حينِ بياضه عِراكُ حياةٍ أو حياةُ مُعارك
ولي أملٌ إنْ خابَ ولّدَ آخراً يَخيبُ وإني بين ذاك وذلك
أعلّل نفسي بعد خيبةِ أوّلٍ بآخرَ لم يلبثْ سوى لبثِ تارك
وشبّهتُ آمالي ونفسي بهائمٍ مُعلّقُ نفسٍ في نساءٍ فوارك
يراهُنَّ ملءَ العينِ حُسناً فإن دنا فمن فاركٍ يدنو إلى شرِّ فارك(١)

****

ونفسُ أخيك الحرِّ نفسٌ ترفّعتْ عن الرّحب موبوءاً لضنْكِ المسالك
فإن خال حتى في المعالي مذلّةً نفى الذُّلَّ والعليا معاً نفيَ شائك(٢)
طريقان لا تختار نفسي سواهما: طريقُ معالٍ أو طريقُ مهالك

****

مجد العراق*

للعراق المجدُ تاجٌ والمعالي صولجانْ
عرشُه هذا نتاجٌ للصّفيحِ الهُندوانْ
أرضُه جنّاتُ عدنٍ كوثراها الرّافدانْ

****

---

(١) الفارك : الإمرأة التي تكبر زوجها.
(٢) ليس في المعالي مذلّة عادة بل العز فيها كل العز. لكن عندما تنال المناصب بالطرق الذليلة... وتسمى معالي... فهذه هي المعالي الذليلة التي نفاها الشاعر.
* طلب إليَّ نظم نشيد لبعض المدارس في العراق. فكان هذا النشيد ـ النجف الأشرف ٣ ربيع الأول ١٣٥٥هـ/٢٣ أيار ١٩٣٦م.

مثلمــــا تخصـــــب زرعـــــاً أخصبــــتْ أزكــــى رجــــالْ
أنشـــــأوا للدهــــر شرعـــــاً مــــن يـــــراعٍ أو نصَــــالْ
فلعهــــــد السّــــلم علْــــمٌ ولعهــــــد الحـــــرب زانْ

****

فهمــــو ساســــةُ مُلْــــكٍ وهمــــو ساســــةُ ديــــنْ
نظمــــوا الدّهــــر بســـلكٍ مــــن حضــــارات السِّنيــــنْ
ذا (حمــــــورابيَ) يبقـــــى خالــــــداً فــــي كــــلِّ آنْ

****

ولبغــــــدادَ ســــــناءٌ كســــــناء النيِّرَيــــنْ
فـــــــروْاءٌ وبهـــــــاءٌ قُـــــرَّةٌ للناظرَيــــنْ
كبريــــــاءُ العلْــــم فيهـــا وزهــــــوُ الصولجــــانْ

****

فسلــــوا التّاريــــخ عنهـــا ودعــــوا الأطــــلال جــــانبْ
كـــم كتــابٍ طــــاف منهـــا الأرض طـــــراً أو كتــــائبْ
ظلّــــتْ رايتُهــــا الدُّنــــيا بعــــدلٍ وأمــــانْ

****

طأطـــــئ الـــرّأس جــــلالاً عنـــد بغــــدادِ الرّشــــيدْ
نورُهــــا اليــــومَ تعــــالى يبعــــث المــــاضي جديــــدْ
تحيــــا بغــــدادُ ويحيــــا مجدُهــــا فــــي كــــلِّ آنْ

****

هـــذا ماضينــا*

سـيروا هـاتيك أمانينــا ... شـعّتْ مـن أفـق أوالينــا
سيـروا قُدُمــاً لمعالينــا ... بحواضـرنــا وبواديـنــا

****

هــذي (البصــرةُ) ذاتُ المجـد ... أمُّ الآدابِ بــلا عــدّ
جَــزرَتْ علمــاً بعــدَ المــدّ ... ألمربــدُ فيهــا يُعلينــا

****

هــذي (الكوفــةُ) أيــن (الجنــدُ) ... فــي (مسـجدها) خفَـقَ (البنــدُ)
ولِســـتَ جهـــاتٍ يمتـــدُّ ... مـــا امتـــدّتْ فيـــه أمانينـــا

****

هــذي (واســطٌ) أيــن (القُبَّــةْ) ... خضــراءُ (بأمجـــادٍ) خصبــةْ
بلـــدٌ كانـــتْ دنيـــا رَحبـــةْ ... هـــلْ حاضرنـــا مـــن ماضينـــا؟

****

هــذي (بغــدادُ) ومــا الدُّنيـا ... فـــي أمـــس لهـــا إلاّ رُعيـــا
وبـــ(سامـــرّاءَ) لنـــا عليـــا ... و (الحلّـــةُ) حصـــنُ معالينـــا

****

و(الموصـــلُ) لـــم تُســـمَ (الحدْبـــا) ... إلاّ للحـــدب علــــى العَربــــا...
كـــم مـــن قـــرْمٍ منهـــا أربـــى ... فجنـــى دنيـــا وجنـــى دينـــا

****

أيـــن الآســـادُ علـــى الصهـــوةْ ... وجيـــادٌ مـــا دَرَتِ الكبـــوةْ
وســـيوفٌ مـــا ألفـــتْ نَبـــوةْ ... أبـــداً برقـــابِ أعادينـــا

****

* نظمت نشيداً للمدارس أيضاً ـ النجف الأشرف ، ٩ ربيع الأول ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦/٥/٢٩م.

أيـن الروسـا ؟ أيـن القـــادةْ؟ وحمــــــاةُ العليـــا والــــــذادةْ؟
ممــن تخـــذوا الهيجـا عـادة حينـــــا والسّلــــم أحابينـــا

****

كانـــتْ لهمـــو هــذي المُـدُنُ دارا يزهـــو فيهـــا الزمـــنُ
وعناصرهـــا: العـــدلُ الخشــنُ والأمـــنُ يسـيلُ بهـــا لينـــا

****

والقـــوّةُ فاضـــتْ إرهابـــا بالجيـــش تـــدرَّع غلاّبـــا
والعلـــمُ تـــلألأ خلاّبـــا فعَنَـــتْ لهمـــو الدنيـــا حينـــا

****

أحـــرارُ الأرض لنـــا سلـــفُ وأحـــقُّ الخلـــق بهـــا الخَلَـــفُ
ســيراً للحوْمـــةِ لا تقفـــوا وأعيـــدوا مجـــد أوالينـــا

****

حديثـــان*

نظـــرتُ إليهـــا خـــلالَ الزهـــورِ وقـــد صبَّغـتْ خدَّهـــا عَنْدَمـــا
وزرُّه مثـــل حــبِّ الجُمـــانِ حَبـابُ الحيـــا فوقـــه نُظّمـــا
فمـــا مـزتُ خـداً، ومـا مـزت ورداً فأيَّـــاً تـــرى خدَّهـــا منهُمَـــا
وأيُّهمـــا أصلُـــه برعـــمٌ ؟ وأيُّ النـــدى فتَّـــح البرعمـــا؟
وثغـــرٌ لهـــا فـي فـمٍ يعربـيٍّ أأفصـــح فـــي النطـــق أم أعجمـــا
كفـــلٌ تفتَّـــح فـــي جلّنـــارٍ ... تبـــارك ربـــيَ مـــا أكرمـــا!
وقـــدٌّ لهـا مثـلُ رَخْـصِ الغصـــون إذا مـــا انثنـــى أو إذا قُـوِّمـــا
إذا مـــال ملنـــا فمـــا ننثنـــي سكـــارى نميـــلُ بـــه كيفمـــا
وطـــرفٌ يُصيـب صميـمَ القلــوب سهـــا فـــي الرمايـــة أو صمّمـــا

---

*٦ ربيع الأول ١٣٥٥هـ ـ ٢٦ /٥/١٩٣٦م.

يُميـت ويحيـي إذا مـا رمـى عجبْـتُ لــه الـداء والبلسـما
ظللـتُ أبادلهـا ناظـراً شـروداً وترشقنـي أسهمـا
وفاتحتُهـا بكـلامٍ رقيـق : أمـا ترحميـن الفتـى المسلمـا؟
أجـابتْ وكـان الجـواب اختتامـاً: أمـا تستحي ؟ كُـفَّ أو تندمـا
كففـتُ برغمـي فُضـولَ الحديـثِ وأحجمـتُ والنُّجْـحُ أن أحجمـا
رجعـتُ علـى عَقَبـي للصّحـابِ بمـا أرجـعَ الخـائبَ المرغمـا
وأفْصَـحَ عـن موقفـي لـي خطـىً سِـراعٌ حيـاً وفـمٌ جمجمـا
وآبـتْ لأترابهـا الباسـمات هـلالاً حففـن بهـا أنجمـا
فأطريْنَهـا عفَّـةً واحتشامـاً ولقَّبْننـي: المسلـمَ المجرمـا
ومـا فاتهـا قولهـنَّ المماري ومـا راقهـا الحـبُّ أن يوصمـا
فقالـتْ تُدافـع: أولـى بكـنَّ تُلقِّبْنَـه: المسلـمَ المغرَمـا
فمـا الحـبُّ جُـرمٌ، ولكـنْ تُقـىً مثوبتُـه عنـدَ ربِّ السَّمـا
فسـرْنَ يودِّعـن باللَّفتـات وسـرتُ.. وخلَّفْـنَ لـي طلسمـا
حديثـانِ أيُّهمـا صـادقٌ ؟ فآخُـذُ مـا صـحَّ لـي منهمـا

****

صحيفة في الأرجنتين*

يـا مقـولَ العـربِ الأكـارمْ فـي الغرب فـي أقصـى العوالـمْ
قـدِّمْ لهـم أجلـى التراجـمْ عـن شـعبنا: الشّـعب المسالـمْ
ترجـمْ لهـم عـن أمّـةٍ تلـدُ الكرامـةَ والمَكـارمْ

---

* أرسلتها إلى الجريدة اللبنانية السورية التي تصدرها الجمعية اللبنانية السورية في بونس أيريس عاصمة الأرجنتين ويرأس تحريرها الشاعر العربي السيد الياس قنصل صاحب ديوان (السهام) ولأجل مواقف هذه الجريدة الوطنية من سلطات الانتداب الإفرنسي خاصة في سوريا ولبنان وسلطات الاستعمار الأجنبي في البلاد العربية عامة ومواقف رئيس تحريرها كذلك منعت الجريدة وديوان السهام من دخول البلاد المنتدب عليها. فنشرت فيها حينئذٍ ـ بغداد ١٣٥٥هـ ـ حزيران ١٩٣٦م.

بحضـــارةٍ هـــي فـــي الدُنـــى أمُ الحضــــارة منـــــذُ آدمْ
ترجـــمْ ودافـــعْ عــن بنـــي أعمامــك الغـــرِّ الأكــارمْ
كـــذِبْ أحــاديـــث العُـــدا ةِ ومـــا تُلفِّـــقُ مــن مزاعـــمْ
ومبـــــــــرِّراتِ يســتبيـــــح بحكمهـــا هـــذي المظالـــمْ
أسجـــلَ غـاصـــب حقّنـــا ســجِلْ ولا يأخـــذك لائـــمْ
وأر البنيـــــنَ القـــادميـــــن عظائمـــا تتلـــو عظائـــمْ
عظـــةً وهـــل غيـــرُ العظـــا تِ تصـــوِّرُ المـــاضي لقـــادمْ؟
وغـــداً ومـــا هـــو بالبعيـــدِ حســابُ مظلـــومٍ لظالـــمْ
يـــومٌ بـــه تثـــب الشـــعو بُ لحقِّهـــا وثـــبَ الضياغـــمْ
عـــزلاء إلاَّ مـــن ســـلا ح الحـــقِّ يصـــرع كـــلَّ غاشـــمْ

****

أصحيفـــةٌ تخـــذتْ مـــن الـــ إيمـــان فـــي المنـــأى دعائـــمْ
خفقـــتْ علـــى أفـــق المُهـــا جـــر بالخـــوافـــي والقـــوادمْ
أن تمنعـــي عـــن موطـــن شُـــدّتْ عليـــكِ بـــه التمائـــمْ
وغـــدتْ (سهامُـــك) عـاطـــلا تِ .. لا تُـــدافع ..لا تُهاجـــمْ
فلطـالمـــا كنـــتِ الشّـــجى فـــي حلقـــه مـــلأ الغلاصـــمْ
ولشـــدَّ مـــا أصمـــى حشـــا شـــته بـــ (ســـهمٍ) كـــفُّ عاجـــمْ
جـاهـــدْتِـــه وتجـاهـــديـــن ... وأنفُـــه لا شـــكَّ راغـــمْ
جاهَدْتــــه ... وكفـــى الخلـــو دُ لصفحـــةِ الأمجـــاد راقـــمْ
كونـــي ـــ كمـــا شـــئتِ ـــ السَّـــجلَّ وســـجِّلي عصـــرَ الملاحـــمْ
عصـــرٌ لـــه حســـنى .. وألـــــفٌ ضدَّهـــا مـــلأى جرائـــمْ
وعلومـــه مـــا نصِّبـــتْ إلاَّ لغايتـــه ســـلالـــمْ
إن شـــاد قصـــراً للحضـــا رة شامخـــاً ثَبْـــتَ الدعائـــمْ
فلقـــدْ بنـــى زُبْـــرَ الحديـــد معـــاولاً أمضـــى لهـــادمْ
هـاتيـــك فـــي البحـــر الخضـــمِّ وذاك فـــي الأجـــواء حائـــمْ
والآخـــرُ (الـدّمّـــام) فـــو قَ الأرض يوسعهـــا مآثـــمْ
مـــلأ الجهـــاتِ الســـتَّ زمـــجـــرة ... فأسكـــتَ كـــلَّ باغـــمْ

بـــــذعٌ ... ومـــــا أدري لنغــــمـــــى الخلْـــق تُبتــــدَعُ الزمـــازمْ
عصـــبَ العيـــونَ وكمَّـــم الـــ   أفـــواهَ فـــي غَصْـــب السَّخائـــمْ
وجـــرى عـــلى نهـــج التخـــا   صـم بيننـــا ... ولـــه المغانـــمْ
غـــرس الشَّـــقاق..وساعدتْـــــــه تربـــةُ الشـــرق الملائـــمْ
فنمـــا وفـــرَّع ... واغتديْـــــنـــا أكلـــةً سيغـــتْ لهاضـــمْ
مَـــنْ لـــي بفـــارع جـــذع هـــــذا الغـــرس: مُقتـــرِع الجماجـــمْ
يُنميـــه (يَعـــربُ) لا أفـــرِّ   ق هاشـــماً أو غيـــرَ هاشـــمْ
جَمَّـــاعُ شـــمل العُـــربِ تحْـــــت لـــوا الـــوئام عـــلى المخاصمْ

****

طالبٌ مُحـــالاً*

يـــا لسُـــرى مجاهـــدٍ بـــل يـــا لـــه   مـــن طـــالبٍ مـــن دهـــره مُحالَـــهُ
يطـــوف أنحـــاء الدُّنـــى مخاطـــراً   بنفســـه وجاهـــلاً مـــآلَـــهُ
فراكـــبٌ مـــن برِّهـــا مخاوفـــاً   وخـــائضٌ مـــن بحرهـــا أهوالَـــهُ
يحمـــل فـــي ابْـــنِ جنبـــه رغائبـــاً   لـــو نـــال رضـــوى بعضَهـــا لهالَـــهُ
ريَّـــانُ غـــضٌّ، مـــلء أثـــواب النَّـــدى   كـــفُّ الحيـــاة نســـجتْ سربالَـــهُ
فـــي قلـــب حـــرٍّ كبـــرَتْ همَّتُـــه   مـــا ضـــمَّ مَلْـــكٌ فـــي الـــورى مثالَـــهُ
حمَّـــال آمـــالٍ زواهِ مـــا رأى   غـــضُّ الشَّـــباب مثلهـــا آمالَـــهُ
يُســـرّ مـــا بيـــن حنايـــاه نبـــأ   سيَســـمعُ الدَّهـــرُ الأصـــمُّ قالَـــهُ
مَـــنْ مبلـــغٌ عنَّـــي الزمـــانَ قالـــةً   تَنـــالُ مـــن إعراضـــه إقبالَـــهُ
إنَّ الـــذي أحكمـــتَ مـــن أغلالـــه   محطَّـــمٌ بحولـــه .. أغلالَـــهُ
قـــد شـــدَّ مـــن قوّتـــه إيمانُـــه   فحـــلَّ مـــن مُشكلِـــه إشكالَـــهُ
فـــي عزمـــةٍ لـــو رُوِّع الغـــابُ بهـــا   ألفيـــتَ غابـــاً مُنكِـــراً رئبالَـــهُ
وآفـــةُ الهنـــديِّ ــ يـــا حمَّالـــه ــ   صـــداه فـــي القـــرابِ ــ يـــا صقَّالَـــهُ

---

* قلتها عند اعتزامي سفراً بعيداً ـ بغداد: رجب ١٣٥٥هـ / تشرين الثاني ١٩٣٦م.

إلى غريب الدار*

إلـى المولـى غريـب الـدّار أطـوي حُزونـــاً مــن جبـالِ أو قفــار
أجــاري كـــلّ غاديــةٍ إليـــه وودّي لمـــحَ بـــرقٍ أنْ أُجــاري
أبــنتَ النّــار تــارُكِ واشتيــاقي يمــدّان السُّــرى بصَــلى استعــار
فــلا تُعقَــين مـنْ سـيرٍ بَــدارِ ولا تشْــفَيْنَ مـــن سَــجْرِ الأوار
فــذي (طــوسٌ).. وتبــترد الحنايــا ... ويــا نُعمــايَ فــي قُــرْبِ المـزار

****

أخ الغريب**

ألـــمٌ يُنازعُنـــي فيســلبُ مهجتـــي أمـــلاً يشاطرنـــي الأسـى وأشاطـرُهْ
أشكـــوه للصبْـــرِ الجميـــل فتنحنـــي وخــزاً علــى قلبي الصَّبــورِ بواترُهْ
فأُجيــلُ فـي البحـر الخضـمّ نواظـري مستعطفـــاً فيصــــدُّ عنّي زاخـــرُهْ
وأعـــود للأفُـــقِ البعيـــد ومـــا بـــه شيءٌ ســوى سُحُبٍ سرتْ أنـا نـاظرُهْ
ويُشيـــحُ عنّـــي قائـــلاً: أنــا مجــدبٌ ما بي ســوى الألـمِ الـذي أنـا ماطـرُهْ
وإذا الدُّجـــى أرخـــى عليَّ سجوفَـــهُ آويـتُ نحـو أخ الغريـب أسـامــرُهْ
أسـوى الدُّجـى يُخفـي الأنينَ وتكتـــم السِّـــرَّ الدفيـــنَ ضلوعُـــه وضمائرُهْ؟

****

---

* زرت الإمام الرضا عليه وعلى آبائه السلام وعندما شارفتُ مدينة طوس وبانت منائرها. كتبتُ هذه الأبيات ـ خراسان: في محرم الحرام سنة ١٣٥٦هـ ـ نيسان ١٩٣٧م.

** على ظهر الباخرة فلكس روسيل في طريقي إلى أفريقيا: ٦ جمادى الثانية ١٣٥٦هـ- ١٣/٥/١٩٣٧م.

لؤلؤ وعقيق*

(ولمّا التقينا للوداع ودمعُها ... على خدّها مثل النّدى زرّر الوردا
تساقطَ دمعي غِبَّ ذاك فدمعُها ... (ودمعي يفيضان الصّبابةَ والوجدا)
(بكتْ لؤلؤاً رطباً ففاضتْ مدامعي) ... مُعندمةً فيها أرى القلبَ والكِبْدا
تمازجَ دمعانا فمازجَ لؤلؤٌ ... (عقيقاً فصارَ الكلُّ في نحرِها عِقْدا)

****

للحب أدب**

ساحرةٌ منَ العربْ ... ينفثُ سحرَها الهُدُبْ
يُجري على لِحاظها ... شهابُه مثلَ اللّهَبْ
تبعثُه لكلِّ مَنْ ... مدَّ الحبالَ أو نصَبْ
لقَافَ ما قد أفكوا ... على الجمالِ من كَذِبْ
تمدّه (العصى) بآ ... ياتٍ من الهدى عجبْ
كأنّما بينهما والعصر عصران سَبَبْ
ما ناجزتْ قلباً وآ ... بتْ عنه إلاّ في غَلَبْ
سلطانها على بني الغرام قسراً استتبْ
مملكةٌ نظّمها ... حكمٌ منَ الهوى وجَبْ
قوامُها ذُبْلُ العيو ... ن تحتَ أفياءِ الهُدُبْ
وثورةٌ ... تلك الشفا ... هُ اللُّعسُ ترمي بالشَّنَبْ
تشفي... فما من علّةٍ ... تُردي...ويُعييك السَّبَبْ
وقامةٌ ينسبها ... نبعُ الجِنانِ.. لا الغَرَبْ

---

* تشطير لبيتين نزولاً عند رغبة بعضهم ـ بغداد : ١٣٥٦هـ ـ١٩٣٧م.

** في عرس السيد محمد هادي الصدر. وصادف حضور والدنا زيارة العتبات المقدسة في ذلك التاريخ وكان حاضراً مجلس التهنئة ـ بغداد : ١٣٥٥/١٢/٦هـ ـ ١٩٣٧/٢/٨م.

تســــطو بهـــا ظالمــــة   والظُّلــمُ شـــأنُ مـــنْ غلـــبْ
أمّـــا الرعـــايا فقلـــو   بٌ فـــي جســـوم مـــن وصَـــبْ
شَاحبـــةٌ لا عـــن ضنـــى   خمصانـــةٌ لا عـــن سَـــغَبْ
تَرنَّحـــتْ ، وليـــس تـــدْ   ري مـــا العِلَّـــلا مـــن الضَّـــربْ
نشـــوى ومـــا فيهـــا ســـوى   سُـــكْرِ الغـــرام والحـــزَنْ
تَهيـــمُ فـــي جـــوٍّ مـــن الـــ   أحـــلام عـــالٍ مضطـــربْ
وإن رســـتْ ففـــوق بحـــرٍ كـــلُّ مـــا فيـــه صخـــبْ
حائـــرةٌ حرَّانـــةٌ   ولا مـــلامَ أو عَتَـــبْ
عجبْـــتُ منهـــا أنفســـاً   والدَّهـــر موضـــعُ العَجَـــبْ
تَـــرى النَّعيـــمَ فـــي العـــذا   ب والحيـــاة فـــي العطَـــبْ
وضعفُهـــا قوتُهـــا   والضَّعْـــفُ عنـــوان المُحِـــبْ
تجـــرَّدتْ مـــن كـــلِّ معـــنى فـــي الوجـــود مُكتسَـــبْ
وحلَّقـــتْ فـــي عالـــم الْـــ   أرواحِ تـــرتـــادُ الشُّـــهُبْ
باحثـــةً عـــن أدبِ الـــحـــبِّ ... وللحـــبِّ أدبْ
تَنظمُـــه قصيـــدةً   أسلاكُهـــا مـــن الـــذَّهـــبْ
مصقولـــةٌ أبياتُهـــا   صقـــلَ القيـــونِ للقُضُـــبْ
مجلـــوّةٌ لمـــن رأى   جلـــوَ العـــروس فـــي الحُجُـــبْ
قويّـــةٌ فـــي مســـمع الـــدَّهـــرِ تـــرنُّ والحِقَـــبْ
طليَّـــةٌ تبعـــثُ فـــي   نفـــسِ الجمـــاداتِ الطَّـــرَبْ
أنـــدى مـــن الطَّـــلِّ علـــى   ثغـــرِ الزُّهـــورِ والحَبَـــبْ
صاتـــتْ بهـــا حنْجـــرةٌ   ... جـــلَّ الإلـــه مـــا وهَـــبْ
ملهمـــةُ التَّـــوقيـــع والتَّـــرجيع والقـــولِ الـــذَّرِبْ
تُـــزفُّ كالعـــروس فـــي   عـــرسِ ابـــنِ ســـيِّدِ العَـــرَبْ
(محمـــدُ الهـــادي) ومَـــنْ   نـــالَ الهُـــدى فيـــه الأرَبْ

بيـن الشّـباب لا أغـا   لـي مُنتقـىً ومنتخَـبْ
ثقيلـةٌ حصاتُـه   فـي جِـدّه وفـي اللّعِـبْ
عاشـرتُه ... فنلـتُ فيـه   مـن رغـابي مـا أُحِـبْ
رأيتُـه طـلاّبَ غـا   يـاتٍ تفـوت مَـنْ طلَـبْ
لا يكتفـي بمجـده الـموروث عـن أبٍ فَـأَبْ
يـرتقـبُ الفرصـةَ بالـمجد ، فـإن رأى ... وثـبْ
شَنْشِنَـةٌ فـي آلـه   ممَّـنْ بقـيْ ومَـنْ ذَهَـبْ
هـذا أبـوه مثَـلٌ   فـي العلـم والتّقـوى ضَـرَبْ
حديثُـه قـدْ نَظمَـتْ   فِقـارَهُ الـدُّرُّ الرُّطَـبْ
يحـوي علـى مشـاعر السُّـمّاع فـي نُطـقٍ ذَرِبْ
كالخمـر ... إلاّ أنّـه   محـلّلٌ لا يُجتَنَـبْ
فخلقُـه ونطقُـه   وعلمُـه ومـا كتَـبْ
يُمليـه عـن فكرتـه الـعُليـا فنونـاً وأدَبْ
إمـامُ فضـلٍ وعُـلاً   مُرتَجَـلٌ ومكتَسَـبْ

****

وعمُّـه (الزعيـم) فـي   مقتعـدِ العُلـى انتصَـبْ
(محمَّـدٌ) فانظـرْ لـه   ... والبـدرُ واضـح النَّسَـبْ
هـالتُـه مهابـةٌ   لـولا البشاشـةُ انحجَـبْ
ممـلّكٌ ... لـه الملـو   كُ قـدْ جثـتْ علـى الرُّكَـبْ
يُرتـاحُ منـه فـي الرِّضـا   يُرتـاعُ منـه فـي الغضَـبْ
يُخشـى ويُرجـى وعلـى الـحالَيْـنِ ... يُـدْرَك الطَّلَـبْ
قـد ذلَّلـتْ لـه الصِّعـا   بَ عزمـةٌ هـي العَجَـبْ
ومهَّـدتْ همَّتُـه   لـه علـى العليـا رُتَـبْ
فجـدَّد التّليـد فـي   طـريـفِ مجـدِه القَشِـبْ

بنى لوادي دجلةً / مجداً له قد انشعبْ
أعلاه فيما قد غلا / من دمه الزاكي انسكبْ
كم أورد النفس التي / عزّتْ ... موارد العطبْ
محتملاً حرَّ الظَما / مُصطبراً على السَّغبْ
فما يُبالي بالضَّنى / ولا يبالي بالتعبْ
"محمَّدٌ" يا خيرَ مَن / وفي العراق ما وجبْ(١)
كم من أيادٍ لك لا / تُحسب فيما قدْ حُسِبْ
معلومةٌ ... قد جُهلتْ / إمّا عناداً أو شغبْ
وفي غدٍ يقرأها الـ / آتي سطوراً مِنْ ذهبْ
ودونك (المهديُّ) في / دَسْتِ الإمامة انتصبْ(٢)
وحوله أمانُ هـ / ـذي الأرض أنجماً شُهُبْ
فـ (صدرُ الدِّين) أوْ (جوا / دٌ) حاز في السَّبْقِ القَصَبْ
و (حيدرٌ) ومَنْ كحيـ / ـدرٍ إذا الخصمُ انتدبْ

****

يا سادةٌ نماهمو / أبي إذا عدَّ النَسَبْ(٣)
فخرُكمو فخري وإن / عدّدتُه ... فلا عجبْ
من باب (حدّثْ شاكراً) / لأنعُمِ الذي وهَبْ
وإن أهنيكمْ فلا / أعني سوى قلبي الطَرِبْ
وليس عنّي عازبٌ / تهنئتي لكم عَقَبْ

---

(١) السيد محمد الصدر: هو عم السيد محمد هادي العريس وكان من رجال العراق السياسيين في المقدمة ومن رجال الثورة العراقية الأوَل.
(٢) السيد محمد مهدي الصدر هو المرجع الديني الكبير في آل الصدر وأخوته السيد صدر الدين والسيد محمد جواد والسيد حيدر من أعلام وأئمة المسلمين.
(٣) آل الصدر هم فرع آل شرف الدين في العراق.

بمقدم أكبت من ... ناوى .. وسر من أحب
وعم دجلة هنا .. من نبعها حتى المصب
وإن عنيتُ (والدي) فإنما أعني العرب
أبي ... ومن مثلُ أبي؟ في حضر وفي طنب
أعتزُّ فيه لا عجب أمدحُه ولا عتب

****

غريب وغريبة*

أنا في الدنيا غريبٌ مثلُ هاتيك الشقيقهْ
قد تجانسْنا بلاءً واتّحدنا في الطريقهْ
نبتتْ في وهدةٍ جر داءَ جدباءَ سحيقهْ
ليس فيها غيرُ ما حرّ ق بالجدب عُروقهْ
بين رملٍ وحُصيّا تٍ خَشِناتٍ أو دقيقهْ

فوقها صخرٌ لموعٌ صقلَ الحرُّ بريقَهْ
وأنا ما بين ناسٍ ليس ناساً بالحقيقهْ
ليس فيهم غيرُ نفسٍ بالخيالات عريقهْ
سُلّط الوهمُ عليها فهْي بالوهم غريقهْ

****

ليس فيها روحُ عصرٍ يُرسل النُّورَ قويّا
أو حياةٌ تبعث الإنْسانَ بعد الموت حيّا
أو شعورٌ فيه ترقى مقعداً فوق الثُّريّا
يدفع الدّهرَ فيَجري الدَّهرُ جرياً سرمديّا
ما حوتْ معنى يرى في الْحُسن معنىً عبقريّا

---

* في طرق خراسان عندما مررت بوادٍ سحيق جديب، رأيت شقيقة نعمان وحيدة غريبة أوحت لي هذه الأبيات. في صفر ١٣٥٦هـ - نيسان ١٩٣٧م.

فهْـــي كالأفـــــلام تحكـــي صـــوت مُلقيهـــا دويّـــا
وهْـــي ظـــلٌ أو خيـــالُ الظـــــلِّ لا تفقـــه شـيَّـــا
يـــا لهـــا ذاتُ غبـــاء ضلّلــتْ دربـــاً سويّـــا
يـــا لخسْـــرٍ فـــي الأمـــاني خنقـــتْ روحـــاً ذكيّـــا

****

لا حيـــاةٌ تُوجِـــبُ الخلْـــد ... ولا مـــوتٌ مُريـــحْ
لا ســكوتٌ إن عـــلا فـــي أُفْقنـــا قـــولٌ صريـــحْ
لا دواءٌ إن ثـــوى مـــا بيننـــا عضـــوٌ جريـــحْ
لا سمـــاعٌ إن شـــكا مـــنْ ألـــمٍ قلـــبٌ قريـــحْ
ليـــس تـــدري مـــا الدُنـــى؟ مـــا الحســن فيهـــا مـــا القبيـــحْ؟
عـــنْ قصـــورٍ ذاك حتـــى فـاتهـــا الفهـــمُ الصَحيـــحْ
لا . ولكـــنْ يمنـــعُ الإحـــسانَ فـــي النـــاس الشَحيـــحْ
ليـــس يـــدوي بيـــن فكّـــيْ أرقـــمٍ إلاّ الفحيـــحْ
والعضـــوُ إمّـــا شُـــلَ لا يُشـــفى ولـــو جـــاء المسيـــحْ

****

لغـة الحب*

يـا ابنةالشَمس(١) ويـا أخـت القمرْ موعـداً كـان لقانـا أم قـدرْ؟
مـا تفاهمْنـا، ولكـنْ مـا اللُغـى؟: آلـةُ الفهـم التـي فيـها انحصرْ
تـرْجمـانُ الحـبِّ : عيـنٌ وفـمٌ هـذه مبتـدأٌ ، وذا خبـرْ
أنصتـي يُفهمْـك منّـي نبـأٌ مـا روتْـه (شـهرزادٌ) فـي سمرْ
لـذَّ سمعـاً ، فهْـو لحـنٌ فـي وتـرْ راقَ مرأىً ، فهْـو أطيـافُ صُـورْ
فـي حديـثٍ نشـوةٌ ليـس سُـكُرْ هـلْ تذوّقْـتِ انتشـاءات السَحـرْ؟

---

* طهران : شهر صفر ١٣٥٦هـ ـ نيسان ١٩٣٧م.
(١) الشمس شعار الفرس وفتاة الأبيات فارسية.

غــزلاً مـــن غـــزلٍ لا يرتـــوي ... ونسـيبـــا .. وصبابـــات أُخـــرْ
لـيس فـي أهليـــك مشـــتارٌ لـــه ... خبـرةُ اليعسوب فـي قطـف الزّهــرْ
مـرنٌ مـن غـير سُـؤمٍ فـي الهـوى ... يصــل الأصـــال لهـــوا بالبُكـــرْ
عــربــيٌّ ، نــاثـــرٌ إذا شـــعرْ ... دررا ، وشـــاعـــرٌ إذا نثـــرْ
شــاعـرُ الحـبِّ فمـــا غنّــى لـــه ... مـن صفـايـا القلــب إلاّ المُبتّكـــرْ
نـــزل الإلهـــام والـوحـــي عـــلـى ... شَـطْرِهِ آيـــاتِ فـــنٌ فـــي سُـــورْ
يُحســـن الـــرّقص عـلـى أنواعـــه ... وإذا شـــئْتَ الغفـــا كـــانَ الـوتـــرْ
سُـــبُلُ الوصــــل فأيّـــا شـنتـــه ... فاسـلكي يسـلكْ ، ومـــا شئتِ يـذرْ
وإذا شـــئتِ ســـوى ذي طُـرُقـــا ... فلــه فيـــها أســاليـبٌ أُخـــرْ

****

المهاجــر*

ركــب البحــر باحثـاً عــن حياتــهْ ... تاركـــاً للخــراب منبــت غرســهْ
لـيس يَـدري مصـيره فــي غداتــهْ ... أهْــوَ يجــري لِعُرســه أم لرمســهْ

****

عــن رضــاءِ تــراه أو طيــب نفــسِ ... يَركـبُ الهــولَ أو يَخـوض العُبابــا
يشـــتري وحشـــةً بريّـــقِ أُنـــسِ ... مســـتعيضاً عـــن الدّيـــار اغترابـــا
تاركـــاً أهلَـــهُ بظَـــنٍّ وحَـــدْسِ ... واضطـــرابٍ يُحـــيِّرُ الألبابـــا
ناســـياً جـــيرةً وصحبـــةَ أمـــسِ ... والمنـــى اللَّـــذَّ والهـــوى والشـــبابا
طاويـــاً أمســـهُ الجلـــيَّ كطـــرْسِ ... ناشـــراً يومَـــهُ الخفـــيَّ كتابـــا
غارقـــاً منـــه فـــي غمـــوضٍ ولبْـــسِ ... لـيس يَـدري علـى الســؤال جوابـــا

---

* ألقيتها في مدينة دكار في احتفال أقيم فيها وأنا في طريقي إلى أفريقيا الغربية، على ظهر الباخرة فلوريدا: في ١٨ جمادى الثانية ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧/٨/٢٥م.

ربَ ردْ بـــالغريب جنَّـــة قُـــدْس
مـــن أمانيـــه رحمـــة وثوابـــا

ركـــب البحـــر لاحقـــاً أمنياتـــهْ
وهْي فـي الغيْب في مجاهل حدْسـة

ليـس يـدري الكثـير مـن سفراتهْ
هـل بهـا مـا يَبُـلُّ غلَّـةَ نفسـة

****

عـــن رضـــاء تـــراه أوْ باختيـــار
هـــاجر اللَّيـــثُ عـــن حمـــاه وأبحـــرْ

جـــدَّ ســـيرا بليلـــه والنهـــار
لا تســـلْ كـم ســرى ولا كيـف قـدَّرْ

فـــي الصحـــارى مسـيرُه والبحـار
والـــدَّراري ســـميرُه حيـــثُ يسْـــهرْ

كـــالعزالي دموعُـــه بانهمـــار
والحوانـــي ضلوعُـــه فـــوق مجمـــرْ

أغـــرق الهـــمُّ جســـمَه فـــي غمـــار
مُبْهَـمِ الكيْـفِ غـــورُه ليـس يُسْـبرْ

صـــاول الدَّهـــر عزمُـــه باصطبـــارِ
والأمـــاني كبـــيرةٌ ليـــس تُقْهَـــرْ

يرحـــمُ اللّـــهُ غربـــةً فـــي ديـــارِ
إنْ تـــردَّى غريبُهـــا أيـــن يُقْـــبرْ

ركـــب البحـــر جـــاهلاً غمراتـــهْ
أهْـــي منـــه قريبـــةٌ قيـــدَ لمســـةْ

أم هـــو الغـــورُ لا يُنـــالُ بذاتـــهْ
دقَّ حسّـــاً حتـــى اســـتقلَّ بحسّـــةْ

****

عـــن رضـــاء يجـــدُّ ســـيراً بركْـــب
تاركـــاً أمَّـــهُ الحنـــونَ بعـــبرةْ

ذات قلـــب يحتلُّـــه أيُّ كـــرْبِ
يَصطليـــه كأنّمـــا هـــو جمـــرةْ

مـــا ارتـــوتْ بالبكـــاءِ غلّـــة حُـــبِّ
إنّ ريـــحَ الهمـــومِ جفّـــف قطـــرةْ

شـــرُّ حـــزنِ المشـــوقِ زفـــرةُ صـــبٍّ
لـــم ترطّبْـــهُ عـــبرةٌ بعـــد زفـــرةْ

لهْـــفَ قلبـــي لقلـــبِ امٍّ مـــربِّ
كـــم تلظّـــى بحســـرةٍ بعـــدَ حســـرةْ

ليـــت شـــعري أهـــلْ لهـــا ألـــفُ قلـــب
كـــيْ تموتـــنَّ حســـرة ألـــفَ مـــرّةْ

يشـــكرُ اللّـــه صبرهـــا كـــم يُلبّـــي
مـــا دعتْـــه وقلبُهـــا مـــا أبـــرّهْ

ركـــبَ البحـــر عـــامدا فـــي أناتـــهْ
وهْـــوَ يـــدري زئـــيره غـــير جرســـةْ

يطلـــبُ الصيْـــدَ واقفـــاً فـــي لهاتـــهْ
بيـــن نـــابٍ مـــن المنـــون وضرسـةْ

****

عن رضاءٍ تراه يهجرُ صاخبْ … جهل الخِبُّ قلبُه أم تجاهلْ؟
لا. وحاشاه حاضراً مثلَ غائبْ … من مقيمٍ على الوفاء مواصلْ
يعربيٌّ نجارُه والمناسِبْ … في ذرى أرضه الأبيَّة عاملْ
عزَّ نفساً عن المذلَّة ذاهِبْ … حيثُ يحيا حياة عزٍّ ونائلْ
هبَّ يبني حياتَهُ في المغاربْ … صيَّرتْها يدُ البُناة معاقلْ
سدَّد الله خطوَهُ من مُغالبْ … جدَّ في لَيِّ دهرِه غيرَ خاملْ
ركبَ البحرَ مقحماً عزماتِهْ … وهو يُصغي لهاجسٍ غيرِ هجسهْ
لا يبالي الهياجَ من غضباتِهْ … صمَّمَ العزمَ ليسَ يُعنى بعبسهْ

****

حيَّه من مجاهدٍ جدَّ يسعى … لا بساً خير شكَّةٍ وهو أعزلْ
أفرَغ الحزمَ والعزيمةَ درعا … فوقَ جسمِ الإباء وانقضَّ أجدَلْ
معْلما ألبس الكريهة روعا … هادماً دونَ غايةٍ كلَّ معقلْ
جاعلا من ثباته الجدبَ مرعى … مُجرياً من مَعينه فيه منْهلْ
فاضت الأرضُ حيثما حلَّ نبعا … بالثرا والثراء حيثُ تحوَّلْ
خبرةٌ منه كيفَ يُحسنُ صنعا … في الزَّمان المحيل وكيفَ يعملْ
جدَّ في الرِّزق سالكا كلَّ مسعى … ثبَّتَ الله خطوهُ حيثُ يرحلْ
ركب البحر حيَّه في ثباتهْ … غارساً في السِّباخِ أخصبَ غرسهْ
صاعدا للعلاء في وثباتهْ … ليس ذا يومُه العتيدُ كأمسِهْ

****

في الدار السوداء*

ويحَ الغريبِ ، نأى مزارُهْ ... ونفاهُ صاحبُهُ وجارُهْ
قذفتْهُ خلفَ ظهورها ... من عُقْر مأمنه بحارُهْ
فثوى بأرضٍ لا البلا ... دُهُ.. لا الدّارُ دارُهْ
يا دارهُمْ خلفَ البحا ... ر زواك عن عيني غمارُهْ
قالوا بأنّكِ منجمٌ ... للفحْمِ أُطفِئَ فيه نارُهْ
إنسانُكِ الزنجيّ وَجْهٌ مِنَ الوجوهِ طلاه قارُهْ
شعبٌ له من حظّه ... لونٌ يلازمه صغارُهْ
زعموا وما زعموا سوى ... إفكٍ لهم في العدلِ عارُهْ
أشريعةُ الإنسان هذي ... أم مظالمُهُ شعارُهْ؟
ألماسُ من فحمٍ فهل ... ينشقُّ في يومٍ محارُهْ
يا يومَهُ الآتي أطلَّ ... ففجرُك السّاجي انفجارُهْ
وقصدتُها عجلانَ في ... عزمٍ يُحفّزه أُوارُهْ
ضاقتْ عليّ بموطني ... داري وضاقتْ بي قفارُهْ
وظمئْتُ والماءُ المعينُ بموطني سالَ انهمارُهْ
يسقي الغريبَ فيرتوي ... منه ولا تُروى حرارُهْ
والحُرُّ من أبنائه ... في الأسر لا يُفدى إسارُهْ
وأتيتُ ما خلف البحا ... ر فعلّ ترويني بحارُهْ
وقطعْتُ شهرا بعدَهُ ... عَشْرٌ يطول به نهارُهْ
لا البحرُ يثني عزمتي ... عمّا أرومُ ولا ازورارُهْ
أملٌ بقلبي نشوةٌ ... في النفس يُرسلها خمارُهْ

* نظمتها في ١٧ شعبان ١٣٥٦هـ الموافق ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٧م في مدينة كانو عاصمة نيجيريا الشمالية وأرسلتها إلى أخي صدر الدين في العراق.

هـــذه الغربـــة*

هــذه أفريــق هـــذا المغـــرب ‌ ‌ ‌ هــــذه الغربـــة يــا مغتـــرب
ههنـــا الـــرواد فاهتــف بينهـــا: ‌ ‌ ‌ عاشــت الأوطـــان عـــاش العرب
حيهـــم مـــن فاتحيـــن عزمهـــم ‌ ‌ ‌ ما العوالي في الوغى..ما القضب ؟
فـــأب يفتـــح بالسـيف وهـــم ‌ ‌ ‌ بجهـــاد كســـبوا أو وهبـــوا
درعهــم صدر رحيب ملــؤه الــ ‌ ‌ ‌ إيمـــان باللـــه وصبــر أرحــب
خاضوا بـــه البحر الصخوب لــم ‌ ‌ ‌ يحــل دون ما يبغون بحر صخــب
وهمـــو لـــو يبتغـــون مطلبـــا ‌ ‌ ‌ في الســواري جــاء ذاك المطلب
إيـــه يا غربـــة كـــم من زهـــرة ‌ ‌ ‌ نبــت أرضي في ثــراك تخصــب
أتعبت غراسهـــا غرسا حتـــى إذا ‌ ‌ ‌ عبــق الأفـــق شــذاها الطيــب
وأتى يســتافهـــا مغتبطـــا ‌ ‌ ‌ فاجتنـــاهـــا كفـــك المغتصــب
وشــباب كـــان فيهـــم موطنـــي ‌ ‌ ‌ روضـــة فيهـــا الحيـــا منسـكب
كنتـــم بـــه أقمـــاره فـــي غيهـــب ‌ ‌ ‌ مـــا حـــل في أفـــق حمانا غيهـــب
كنتـــم بـــه أطيـــاره فـــي فنـــن ‌ ‌ ‌ هـــذه منكـــم غنـــاء مطـــرب
كنتـــم بـــه أزهـــاره في روضـــة ‌ ‌ ‌ فثـــراهـــا مـــن نـــداكـم حبـــب
رعـــاته فـــي مخصب أو مجـــدب ‌ ‌ ‌ حمـــاتـــه فـــي عالـــم يضطـــرب
أعـــد النظـــرة واســـتنطق بـــه ‌ ‌ ‌ طلـــلا يبلـــى وعينـــا تنضـــب

---

* على ظهر الباخرة (هوكار) في طريقي إلى اللاكوس فـــي نيجيريـــا فـــي ١٦ تشـــرين الأول ١٩٣٧م الموافق ١١ شعبان ١٣٥٦هـــ نظمت هذه القصيدة وألقيتها في حفلة أقيمت لي في كانو.

أين يا جنَّةَ ريحان الرُّبى ... أينَ رَوْحٌ ونعيمٌ عجَبُ؟
أين ولِدانٌ وحُورٌ كالدُّمى ... أين ملهاها وأين الملعبُ؟
كيف غابَتْ ضَحِكَاتٌ كالسَّنا ... وبها أُبْدِلَ بَرقٌ خَلِبُ
لا مِن فتىً تلفي به منهم ولا ... من فتاةٍ كلُّهم قد ضربوا
بين (كولمبَ) إلى (أفريقيَا) ... ما خلا منهم فلاً ... أو سَبْسَبُ
كالثُّريَّا غُيِّبَتْ ثُمَّ بدا ... منهمو في كلِّ أفقٍ كوكبُ
أبنينا : نُدبَةٌ حائرةٌ ... بين قلبي وفمي تَضطربُ
أظلمَ المشرقُ ـ يا أبناءه ـ ... مذ نأيتم واستتارَ المغربُ
وغدَتْ أوطانُكم ... لا مأربٌ ... في حناياها... ولا مَنْ يأرَبُ
ليس فيها ـ لا أكنّي ـ من فتىً ... في العوادي يُختشى أو يُرهبُ
قسّمتها ـ كَسَبًا ـ سياسةٌ ... رعناءُ تُغشيها ، ووضعٌ مرعبُ
ومضى يدأبُ في تفريقها ... وعلى توحيدها لا يدأبُ
من بنيها "مدَّعٍ" ذو شَرَهٍ ... يُظهر العفَّةَ وَهْوَ أشعبُ
مُنكِراً أمَّتَه في منصب ... ليتَه لا كان ذاك المنصبُ
قل له:أصلُك لا تعدِلْ به ... فأصيلٌ مَنْ نماه العَرَبُ
واخلع الثَّوبَ ـ مُعاراً ـ لا تقلْ ... ذا حريريٌّ وهذا قِنَّبُ
أنتَ من (غسّانَ) أمّاً وأباً ... وحمى غسّان قِدماً (مأربُ)
أنتَ من (غسّانَ) في أعراقِه ... أين (فينيقا) وأين (يَغرُبُ)؟
أمّةٌ تلك على أمجادها ... ليس يُعلينا إليها نسبُ
نحن عُربٌ... ولنا أمجادُنا ... صنعُ أيدينا... إلينا تُنسَبُ

وهَبُــوا الأديــانَ فينــا وُزِّعتْ فغــدا فــي كــلِّ فَــرْقٍ(١) مَذْهَــبُ

إنّمــا نحــن وأنتــمْ إخــوةٌ ولَنـــا فــي الضــادِ أمٌّ تحــدُبُ

والصِّــدقُ من عاداتِنا لا الكَــذِبُ والإبـــا..عُــدَّتُنـــا لا الرَّهَـــبُ

قــد تجاورْنــا، فعِشْــنا حقْبَــةً باتِّحـــادٍ ، جمعتْنَـــا نُـــوَبُ

جمعتْنَـــا... فكــلانــا ثاكــلٌ قــد حــوانــا في عزانــا مَوكِــبُ

وكــلانــا كــ(عــديٍّ) ثائــرٌ لــ(كليــبٍ) وكــلانـــا (تغلـــبُ)

وكــذا نسـوتُنــا (خنســاءُ) في أخــوَيْهَـــا دمعـــةٌ لا تنضـــبُ

كــم فتــىً منّــا ومنكــم أُخــوةً أرضهُــم مــن دمهــم... تَختضــبُ

وفتــاةٍ قــد بَكَــتْ منــا أســىً وفتـــــاةٍ منكمــــو تنتحـــبُ

ونهضْنـــا ــ مــذ نهضْنا ــ كلُّنا نطلــب الأمــــرَ الــذي لا يُطلــبُ

فَتَســاهَمْنــا قضــايانــا معـــاً كــلُّ فَــرْقٍ قــام فيمـــا يَجِــبُ

ومُـــذِ (الغــربيّ) ولّــى يومُــه قـــام ذا يشــــدو وهــــذا ينعــبُ

وحّــدوا يــا أخــوتي أنغامَكــم يَســتَقِمْ منّـــا ومنكـــم طَــرَبُ

وارقبـــوا الفنّــانَ .. لا ينقدُكــم فنشـــازٌ مـــا فعلتُــم عَيِّــبُ

مــا بــدا منــا..؟ أيــا أُخوتَنـــا نحــنُ مِمَّــنْ قــد وصلتُــمْ أقــربُ

عاتبــونــا إن أردتُـــم ودّنـــا ...فأخــو الحقـــد الــذي لا يَعتَــبُ

عاتبــونــا مــا رأيتــم حاجــةً لعتـــابٍ ... إنّنـــا نُســتَعْتَــبُ

****

---

(١) فَــرق : فرع

دار السلام*

ستقام أفراح الحبيب وأنظمُ ... شعراً يردّده الزّمانُ الأبكمُ
أنا بلبلُ الأفراح يُسكر جوّها ... فيما يلقّن عودها أو يلهمُ
منّيتُ نفسي هكذا في سالفٍ ... وإذا مُناي سحابةٌ لا تُرزمُ
أأغيب ثم تقام أعراسُ الهنا ... وأنا مُرجّيها أنا المتقدّمُ؟
أنا محور الأخوان في أفراحهمْ ... وأنا لهُمْ عند الشّدائد مخْذَمُ(١)
أأُقيمُ في دار الزّنوج بشقوةٍ ... وديارُ أهلي بالهنا تتنعّمُ
أذري الدّموع لوحدتي حمراءَ في ... دار الزّنوج وموطني يتبسّمُ
دارَ السّلامِ ألا امنحي متغرّباً ... بعضَ السّرور فإنّه متألّمُ
لو كانَ عندكِ حاضراً في موسم الْـ ... أفراح قلتِ لهُ: لأنتَ الموسمُ
ورأيتِه قيثارَ أنسك مُعلناً ... أنفاسه فيها الهوى يتكلّمُ

****

أمدينةَ المنصور والأفراحُ في ... أجوائكِ العليا بأمنٍ حُوّمُ
هاتي الوصالَ كفى صدوداً إنّني ... أنا هائمٌ في ضفّتيكِ مُتيّمُ
أنا مبعدٌ في مغربٍ أقصى فهلْ ... نحوَ الرّصافة من دُنوٍّ يُعلَمُ؟
أنا حائرٌ لا أهتدي بضلالةٍ ... قد تاه فيها مُعرقٌ أو مُشئمُ
بيدي خذي دار السّلامِ ويمّمي ... حيثُ الأحبةُ في (الجعيفر) يمّموا(٢)

****

أيام كنتُ بها الليالي موقظاً ... آمالَ نفسي والعواذلُ نُوّمُ

---

* أرسلتها لابن الخال السيد محمد صادق الصدر . وكنت ما زلت في المستشفى بدور النقاهة من مرض ألمّ بي. وورد كتاب منه يخبرني بعزمه على الزواج من كريمة عمه السيد محمد الصدر- دكار ٥/١١/١٣٥٦هـ / ٦/١/١٩٣٨م.

(١) مخذم: سيف قاطع.

(٢) الجعيفر : بالتصغير ، محلة في الكرخ من بغداد ، حيث كان يسكن السيد محمد الصدر، الزعيم العراقي المشهور.

نعلو إلى أُفُقِ "الزَّعيم"(١) المرتجى — وعلى مجرّته نجومٌ كُوَّمْ
أذكرتَ ثَمَّ ورودنا وصدورنا — راوينَ مُرويِّينَ فيما ننعمُ
في "الصالحية" منك يا بغداد لي — أملُ المحبِّ وقلبُه المتنعمُ(٢)
فهناك خيرُ رفاق دربي في الصِّبا — وهناك خيرُ أحبّتي لا أكتمُ
وأرى قريضي يا ابنَ خالي واجماً — في عُرسك الميمون لا يتكلّمُ
عهدي به الصَّيداحُ ليس بساكتٍ — ما لي أراه ويحه لا ينْغمُ
أهو التفرُّق منه أخرسَ ناطقاً؟ — ومنَ التفرُّق ما يُصِمُّ ويُبكمُ
أم هالهُ صخبُ البحارِ فجاءني — في شعره - وهُوَ الفصيحُ - يُجمجمُ
أم خانه تلك التي في أضلعي — كجهنَّمٍ بل دونَ ذاك جهنَّمُ
قد ألهبتْ نيرانها فتسارعتْ — صُعُداً لرأسي بالغنى تتقدمُ
لو كنتَ شاهدَ وقْدها لرأيتني — وبكلِّ جَنْبٍ من لظاها مِيْسَمُ
ورأيتني وأنا المسجَّى قلَّبتْ — أيدي الأطبَّا هيكلاً يتحطَّمُ
يئس الطبيبُ وقال ما لي من رجاً — واللهُ في هذا المسجَّى أرحمُ
وبقيتُ يوماً ثُمَّ ليلاً بعدهُ — أنا لا أعي شيئاً ولا أتكلَّمُ
وهناك (أحمدُ)(٣) واجمٌ بكآبةٍ — أرأيتَ والدةً على ابنٍ تلدُمُ
و(عليُّ أسعد)(٤) قال ما لي من فمٍ — ماذا ؟ أأُفصحُ ناعياً أم أُعجمُ
أأُخبِّر النعيَ المشومَ لأهله؟ — سيكونُ وقعُ النَّعيِ ثمَّةَ أشأمُ
فأبوه في الآباء أحنى والدٍ — أأهُدُّهُ طَوْداً أشمَّ فأهدُمُ؟
ماذا يكونُ مصيرُ أمٍّ لو درتْ — أنَّ ابنها للرَّمسِ سوفَ يُسلَّمُ
وأُخوةٌ سمرُ العوالي في الحمى — سيُميدُها الخطبُ الملمُّ فيقْصُمُ
بيْنا همُو في حيرةٍ وترددٍ — فمؤخِّرٌ في أمرهِ ومقدِّمُ

---

(١) الزعيم هو السيد محمد الصدر وكان يسكن محلة الجعيفر في بغداد.
(٢) الصالحية : محلة في الكرخ أيضاً وسكنها السيد محمد صادق الصدر يومئذ.
(٣) هو المرحوم الأستاذ أحمد مغنية وهو ابن خالته وكان في أفريقيا آنئذ.
(٤) هو علي أسعد وجيه الجالية في دكار.

وإذا مشـيئةُ ربِّـك اللّــه الـذي ... يقضي علـى عُنُـقِ العباد ويَحْكُمْ
تَقضـي بإحيـائي وتقضـي للرَّدى ... بالنَّـأي عَـنْ أُفُـقٍ عليـه يُخيِّـمْ
فلـكَ الهنـا بسـلامتي أمَّـا الهنـا ... فـي عُرسـك الميمـون فهـو مقدَّمْ
ولـك المسرَّةُ يـا بـنَ خـالي والرَّجا ... بقبـولِ عُـذري مُعلنـاً أتقدَّمْ
وسـلامتي هـي نُقطَـةٌ لـك قـد غلَـتْ ... أفترتَضيهـا نقطـةً بـك تسْـلَمْ؟

****

بغـداد موحشـة*

بغـــدادُ موحشـــةُ الضَّـــوا ... حـي والشَّـواطـئِ والقُصـورْ
لا سـحرُهـا فـوقَ النخيـلِ مضمَّـخٌ بشـذى البُكـورْ
لا نشـوةٌ فـي الشـاطئيْـنِ تَسـيلُ فـي المـاءِ النميـرْ
تُبْـدي الأصيـلَ علـى الضِّفـاف ... مُعصفـزاً بِطَـلا الدُّهـورْ
تُخـذي العقـولَ ومـا العقـولُ ... لـدى الجمـالِ سـوى شُـعورْ
تـدَعُ الـرُّؤوسَ علـى الصُّـدور ... تميـلُ بالسُّكْـرِ الطَّهـورْ

****

لا فتنـــةٌ تشـري الضَّـــلا ... ل مـن القُـدودِ أو النُّحـورْ
نثرتْـــهُ زوراءُ العـــرا ... ق بغيدِهـا نثْـرَ الزهـورْ
خلعـــتْ بهـا بغـدادُ بهـجتَها علـى كـلِّ العصـورْ
وظلالُهـا للحُـبِّ نبـراسُ الضَّمائـرِ والصُّـدورْ
تـوحيـه للقلْـبِ المحـبِّ ... بشاشـةُ الوجـهِ المنيـرْ

****

بغـداذُ كـانـتْ جنَّـةً ... لـي بينهـا ألفـا عشـيرْ
أنَّـى التفـتُّ أرى الأخـلاَّ ... مـن ملائكـةٍ وحُـورْ
يخطُـرنَ فـي قلبـي مُنـىً ... مهمـا خطـرنَ علـى الجُسـورْ
غيـدٌ تنـاهُـنَّ الـدلا ... ل كمـا عثـرن مـن الغـرورْ

* بغداد : ٩ جمادى الثانية ١٣٥٧هـ / ١١/٧/١٩٣٨م.

قُرباك أخصبُ في الشهامة منبتـاً بظلالهـا ينمــو الإباءُ ويـورقُ
وأنا من القربى القريبة في الذُّرى ولجـانحيَّ على عُـلاها مَخْفَـقُ
نسـبٌ قصيرٌ لاحقٌ بعُـلاك والنـــسبُ الشـريف قصيرُه بـك يَلحَـقُ
صعَّدتُ فيه ــ مذ هبطتُ ــ محلّقاً ومَنِ انتمى لك في العـلاء يحلِّـق
أأصدُّ عــن هذا الطريق عوارضي وعليـه قد نبتَتْ وشاب المـفرقُ؟!
أبتـاه مـا صنعَ " الرِّضا " فرميتَهُ عَتَبـاً بمـا يقضي عليـه ويُزهِقُ
ونزعْتَ عنه ــ ما خلعْتَ ــ مُفاخراً وتركتَـه وهـو الكئيـبُ المُطـرِقُ
ومِنَ العجائب في الحنـوَةِ أن أرى قلبـي يُحطِّمـه الحنـونُ المُشـفِقُ
هـذا كتـابـك دبَّجتْـه يراعـــةٌ سلسالُهـا عـذبُ الـورودِ مُـرَوِّقُ
لغــةٌ تُرقرقُهـا عواطـفُ والــدٍ كالسَّلسبيلِ صفَـتْ فبـانَ الرَّونَـقُ
تهـوى النفوس ورودَهـــا لكنَّمـا رغـمَ الصَّفــاء أكـاد منها أشْـرَقُ
عتَبي ... ولكــنَّ الأسـنَّةَ شُــرَّعٌ أولــى بقلبـــي طعنُهُــنَّ وأخلَـقُ
عطفــاً على قلبي الكسـير وحبَّـذا عطـفٌ بآمـالي الحبيبـة يَرفِــقُ
لي مــن ســنيَّ الماضياتِ شعاعةٌ مقبولـــةٌ حـولي تحـفُّ وتُحـدِقُ
تـلك الثلاثون(١) التـي بنعيمكـم رَفَلَـتْ وضـمَّ طوالَهَـا إسـتبرقُ
أنـا من جِنـان مقيلها في مربـعٍ نِعَـــمٌ تظلِّلنـي وعطـفٌ مونِـقُ

---

(١) الثلاثون التي أشير إليها هنا هي أعوام عمري حينئذٍ. وكان سيدنا الوالد رحمه الله قد أشـار في كتابه بلغة غاية في الرقة والتواضع إلى استغنائنا مادياً عن طريق الوظيفة. فأشرت في هـذا المقطع إلى ما كنت أتمتع به من نعمته ــ بشيء من المبالغة ــ إقراراً بفضله ورفعاً لما في نفسه الشريفة.

نعمتْ وطابَتْ من مرابـعِ رحمـةٍ ... إصباحُنـا أمِنـتْ بهـا والمَغْبَـقُ
هل أعرف الظَّمـأ الحرورَ وهـذه ... أكـوابُ سلسلِهـا الهنـيِّ تَرقرقُ؟!
والدَّانيـاتُ قطوفُهَـا قـد أمَّنـتْ ... غرثـى ، وذاك جنيُّـك المغـدودقُ
أما الحيـاةُ فساعـةٌ مـا شابَهَـا ... كـدرٌ ولكـنْ صفوُهـا بـكَ أروقُ
مُتَـعٌ مـن الدهـر استلفنا طيبَهَـا ... والعيـشُ مُغـرٍ والشَّـباب مُصفِّقُ
فأنـا بظلِّـك والحسـودُ بعينِـه الْـــحولاء ينظرنـا عُـلاً... ويُحَـدِّقُ
نحتـلُّ من عليـاك بـرجَ مظفَّـرٍ ... مـن فوقـه للنَّصـر رفَّ البيـرقُ
نمشـي إلى المجد الأثيلِ وخلفَنَـا ... يمشـي الزَّمـان بموكـبٍ يتدفَّـقُ
وبجانبَيْنَـا فيلـقٌ مـن عزِّنـا ... وأمامَنـا للفخـر يمشـي فيلـقُ
شـرفاً طريفـاً قـد أضفتَ لتالـدٍ ... أمجـادَ آلـك مـا أتيـتَ تحقَّـقُ
بالهمَّـةِ القعسـاء ما ألفتْ ونَـىً ... وبعزمـةٍ فـي اللـه لا تترفَّـقُ
أفعـالُ جـدِّك مَنْ ورثتَ خلالَـهُ ... والطيـبُ نـمَّ عليـه عَرْفٌ يَعْبَـقُ
ألمِقْـولُ الفنَّـانُ منـك بيانَـه ... والمنطـقُ الفتَّـانُ إمَّـا تنطِـقُ
والمزبـرُ الفينـانُ ما يزكـو إذا ... تـلك الأنامـلُ لا مسَّـته ويُـورقُ
والعلـمُ روضٌ من جنـاك وروده ... يَرويـه عنـك مُغـرِّبٌ ومُشَـرِّقُ
والعفـوُ منـك إذا ظفَرْتَ سـجيَّةٌ ... قـد نالـه مَنْ في العـداوةِ مُغـرِقُ

****

دعـــوة*

أ " أبـــا علـــيٍّ " أنـــت لـــي   خيـرُ الصّحـاب مـن الصّحـــاب
أتُـراك ترغـبُ عـــن جـوابي   أم تسـتجيـــب إلـــى كتـــابي

****

هـــذا " أبـــو نـــواس " فـــي   بُـرديْـــك مُقتبـــل الشّـــباب
يدعـــوك للسّـــحر المُطيّـــب   بـالغنـــاء وبـالشّـــراب
فـــي الرّوضـــة الغنّـــا   ء حيـثُ الجـوُّ فضفـاضُ الإهـــاب
فـــي مـــرحِ الظّبيـــات ملـــهى الـــرُّوحِ جلـــوى الإكتئـــاب
هبّـــتْ بـــه ريـــحُ الصّبـــا   مُـزجـــتْ بأنفـــاسِ التّصـــابي
تُســـقى بـــه الآذانُ نشـــوى نغبـــةَ القلـــب المُـــذاب

****

نغـــمّ علـــى الأرواح رفـــرف جانحيْـــه بانجـــذاب
لكأنّـــهُ نغـــمُ المـــلا   ئك رجْعتُـــهُ فـــي السّـــحاب
و (رجـــاءُ) تُعطيـــه كمـــا الـــمحرومُ ينعـــمُ بالرّغـــاب
يُوحـــي الغـــرام علـــى عفـــا   فٍ والهيـــامَ بغيـــر عـــاب
عرفـــتْ بـــه بغـــدادُ مـــا   معنـــى التّصـــابي فـــي الشّـــباب

****

إعـــلان**

قلبـــي ظمـــيٌّ للهـــوى وبجـــانبي   قلبـــي فـــراغٌ مـــن هـــوىً لـــم يُمـــلأ
عشـــتُ السـنين مفتشـــاً عـــن مـــالئي   حُبّـــاً وهـــا أنـــا ذاك لمّـــا أفتـــأ

---

* أبو علي (حسين بستانة) أديب بغدادي نواسي رقيق الشعر حاضر النكتة لطيف المحضر والمعشر حفّاظٌ لنوادر الأدباء وأحداث العرب ـ بغداد ١٣٥٨هـ / ١٩٣٦م.

** بغداد ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

أرمـــي بنـــاظرتيَ كـــلّ مهفهـــف نـــاش وآخـــرٍ بعـــدُ لمّـــا ينشـــا
خشِـفٌ علـى نهديـه وشْـمٌ مـن دمـي متـــبرعمٌ متحفــــزٌ مـــنْ مخبـــا

****

وعرفْتُ بيـن الغيـد سمْحا واصـلا وعرفـتُ آخـر نـافرا فـي المبـدأ
لا النـاشـــناتُ وقـــد تذوّقْـن الهـوى داويْتنـــي مـــن علّـــةٍ لـــم تـبرأ
فـإذا وصلْـن فعـن مـراحٍ لا هـوى وإذا نفـرْنَ نفـــرْنَ لا عـــن منشـــا
ســمةٌ بهـــنَّ إذا ســـألْت فمقْـــولٌ متـــبرّئٌ والعقــــلُ لـــم يتـــبرّأ
ودعِ الخُشـوفَ فمـا درَيْـنَ بعـالمٍ متجـاوزٍ فـي الحـبّ حـدّ المرفـا

****

أرينـــي*

أرينـــي فـي عيونـك مـا أمـامي فمـــا أدري الضّيـــاء مـــن الظّـــلام
وقـودي في الضّباب زمـام وجـدي فـإنّي قـد أضعْــتُ بـــه مـرامي
لعـــلّي لامـــسٌ أمـــلا فـــأحيي فضـــول مشـــاعرٍ تُـــذكي ضرامـي

****

من بغداد إلى دمشق**

مـن مواطـن الرّمضـاء واللّفحـات للموطـن الغـافي علـى النّفحـات
طـارتْ بـي الأفكـارُ حتّـى حوّمـتْ فـوقَ الوهــادِ الخُضـر والرّبـوات
فـي موطن الإلهام عنـدَ مهابـط الْـ أحـلام فـــوق مرابـع الجنّـات
فـي ملتقى الآمـال عند مفـارق الْـ آلامِ بيـــن فتـــىً وبيـــن فتـــاة
بمواعـد العُشّـاق فـوق مطـارح الْـــــــحسرات حـول رواعـش القُبُـلات

---

* بغداد ١٩٣٩م.

** أرسلتها إلى السيد محمد صادق الصدر وكان يصطاف في سوريا ولبنان ـ ١٩ تموز ١٩٣٩م.

حيثُ الطبيعةُ سطَّرتْ في صفحة الْـ أرضِ الخصيبـة أروع الصّفحـات

سحرٌ هو المبثوثُ في طفل الضُحى وعلـى الأصيـل وغفـوة العتمـات

خمرٌ هو المسكوبُ فوقَ مراشف الـزّهـرات عنـدَ مَطالـع الغـدوات

تستقبلُ الـرُوّاد فيهـا أنمُـلُ الـغزل البـريء بأطهـر الكاسـات

نظـرتْ إليـكَ خواطـري فكأنّمـا عينـي رأتْ مـا قـدْ رأتْ خطراتـي

فرأتْـك بيـن جنـانِ جلّـق وادعـاً كـالأمنِ بيـن ربوعهـا الخصبـات

يحنـو عليكَ مـن الجنـائن ظلُّهـا ويميـلُ فوقـك بـاردُ النسمـات

يحنـو عليك كمـا حنَـتْ أزهارُهَـا فـوق الحبـابِ مُرقـرق القَطـرات

ونظـرتُ شخصَك فوقَ "ربوٍ" حالمـاً بـرؤى الجمـال (مُؤطَّـرِ) الآيـات

وبضفّتـيْ "بـردى" وحولـك "دمَّـرٌ" دُنيـا الخيـال بصفحـة المـرآة

ثُـمَ انتقلْـتُ إلـى "بعلبـكَ" شـاردا طـرفي علـى الأغيْـاض والتّلعـات

فبحثْتُ عنك بـ(رأس عين) جمالهـا بيـن المُـروج الخُضـر والقنـوات

فـوجدتُ ظـلَّ الآس فوقـك حانيـاً تـدْني البُرودَ عليـك سـتُّ جهـات

ورجعـتُ أدراجـي إلـى اللّفحـات تمُّـوزُ ينْشُـرُ مـن شـذى نغمـاتي

والعـودُ يزكـو نشـرُه بالنّـار إنْ مسّـتْ لَحـاهُ النّـارُ باللّفحـات

****

ثلاثة سهام*

أجرحٌ فوق جرحٍ في الفؤادِ حنانَك ما الفؤادُ من الجمادِ
عَوادٍ بعدها تتلو عوادي أعن حِقدٍ وثارات تِلادِ؟
تُسدِّدُها يمينُ الدهر عمداً ثلاثاً ما عدتْ قلبَ الرشادِ
رمى سروات مجدٍ من " عليٍّ " نبتْنَ بهضبةِ المجد المُشادِ
فأعلن في الدُّنى صرخاتِ ناعٍ وأخفتَ في الحمى ضحكاتِ نادي
رماها فاللواءُ يميل هاوٍ فأجفلتِ الجموع بغير هادي
وأسكتَ في المدارس صوتَ علمٍ تَصيح له الحواضر والبوادي

****

لقد أدركتَ ثاراً .. أيَّ ثارٍ طلبتَ بغير كرٍّ أو طِرادِ
وسِمْتَ بها سِراراً ناصعات وسام أسىً وطوَّقتَ الهوادي
أصبْتَ بأوّل الضربات طوداً تفيَّأ ظلَّه كلُّ العبادِ
فيومُ (أبي محمد) وهو يومٌ تنادى الدهرُ فيه للحدادِ(١)
وعُطِّلتِ الحياةُ فلا حِراكٌ يدلُّ على الحياة بكلِّ وادي
وجومٌ صامتٌ لكنْ بقلبٍ يفور أسىً كنارٍ في رمادِ
أصاب بها هدى الدنيا وأودى مُنى الدين المكرَّم بالعمادِ
وما جفَّتْ دموعُ العلم حتّى تساقطتِ المدامعُ كالعِهادِ
وقيل: هوى من العلياء نجمٌ تلألأ آخذاً بالازديادِ
ورى زنداً فزاد به اتّقاداً فأحرقه لهيبُ الإتّقادِ

---

* نظمتها في بغداد ، في رثاء السيد محمد مهدي صدر الدين الذي توفي في ١٩ آب ١٩٣٩م. والذي انتهت إليه الزعامة الروحية في هذا البيت الكريم، بعد وفاة الإمام السيد حسن الصدر المتوفى سنة ١٩٣٥. وقد تعرضت إلى تعاقب وفيات أعلام هذا البيت خلال سنوات متقاربة . فأخوه السيد حيدر توفي سنة ١٩٣٨م. أي قبله بعام واحد.

(١) هو الإمام السيد حسن الصدر المتوفى سنة ١٩٣٥م.

تعجَّـل آفـلاً وهــوى سريعــاً وخلّـف ركْبَنـا من غير حــادي
ترحَّـل "حيدرٌ" ريَّـانَ غصنــاً مُقوَّمَــه كمطَّــردِ الصِّعــاد(١)
قضى والنفسُ تطلبُ منــه بُقيـا ليُـروى من غليـل العلم صادي
قضــى والدهــرُ يرمقــه بعيــنِ ليرشــدَهُ الطــريقَ إلــى السَّداد
وهــذي ضربــةٌ أخرى أصابَتْ كأولاهـا الصَّميـمَ من الرَّشـاد
فيــومُ أبي" أبو حسنٍ"(٢) أرانا الـــرَّزايـا فــي لياليـنـا الشِّــداد
أقـام بنـا مآتـمَ مـا سـلونـا لهـا ذكــرى تَـردَّدُ في البـلاد
رمانـا بالشــجون على شجونٍ كمـا يُرمــى القتادُ على القتـاد
لهـا بيــن الأضالـع وهجُ شَجْوٍ تَضَــرَّمَ كالهشـيم على زنـــاد
بفَقْـدِ أبي "أبو حَسَــنٍ" فَقَدْنــا ســناءً طارفـاً لهُـدى تِـلاد
كسى فيه المعاهـدَ ثـوبَ حُزْنٍ كما عصَـب المنابـرَ بالسـواد
فَقَدْنـا فيــه دنيـا مـن علــومٍ ودنيـا مــن صـلاحٍ واجتهـاد
أفانينُ المعــارف كيف كـانَتْ... بسـاحتِـهِ مفتَّحـــة المـــزاد
تُحَـلُّ بهـا أفانيــنُ الفتـــاوى بعلـمٍ لا يـــؤولُ إلــى نفــاد
فقدنـا فيــه لَسْـناً مـن بيـانٍ لــه البلغـــاءُ ألقَــتْ بالقيـاد
يُفيـض بــه مَعــانيَ مُسـهبات بلفـظٍ مُوجَـزٍ سـامي المَقـاد
فقدنـــا فيــه خُلقـاً مهـدويّـاً يُقطِّـــر مثـلَ وسـميٍّ العهـاد
ورقَّ كمـا الصَّبـا رقَّتْ صباحاً بهـا الحيـواتُ هبَّتْ من رُقـاد
يُرجّيهـا الــرّوِيُّ وكـلُّ صادي ويأملهـــا المبــارحُ والمغــادي

****

(١) هو السيد حيدر الصدر المتوفى سنة ١٩٣٨م. وكان شاباً بلغ من العلم درجة عليا.

(٢) " أبو الحسن " إسم مركّب لأكبر أبنائه.

"محمَّدُ" يا زعيمَ البيت أعني ... بــه البيــتَ الممجَّــدَ ذا العِماد(١)
كفــى الدنيــا عــزاءً أنتَ بــاقٍ ... وُجــودُك في الدنى نُعمى العبــادِ
لقــد عزَّيْــتُ آل البيت جَمْعــاً ... إذا عزَّيْــتُ شخصــك بانفــرادِ
فأنــت أحــقُّ مَنْ أولي عــزاءً ... وأنــت زعيــمُ بيتِــك والبــلادِ
ومــا نــاواك مــن نــاواك إلاَّ ... لمَكرُمــةٍ وسَـبْقٍ فــي جهــادِ
وهــل ألفى العــراقُ سواك نَدْباً ... إذا نــادى لمحنتــه المنــادي
وتلــك ضفافــه الحمــرا أقرَّتْ ... بتحريــر البــلاد لــك الأيــادي
وتلــك جراحُــك الغــرَّاءُ تُملي ... على التــاريخ درســاً بالتفــادي

****

وأنتــم يــا بني المهدي عــزاءً ... فشخصُ أبيكمو شخصُ الجــواد(٢)
لكم فيه العزا ... عن خير ماضٍ ... وللجمــع المحشَّـــدِ خيــر هادي
وعــذراً يا بني الأعمــام إمَّــا ... تقاصــرَعــن حقوقكــمو مــدادي
فإنْ أطــوِ الثنــا عنكــمْ فإنــي ... نشــرتُ بحبِّكــم حَــبَّ الفــؤادِ

****

هـوى غـازي*

هــوى عن متن أشــهبَ داحسيٍّ ... لــه (الغبــراءُ) كفكفَتِ اللِّجامــا
ولــولا الله شِــمتُ اليــوم برقــاً ... تخطَّــف نائــراً بغــدادَ هامــا
وكنتُ رأيــتُ هذا الشعبَ (عنبساً) ... تنــادى ثائــراً ووری ضِرامــا
رأيــتُ الشعبَ في عيني رُكامــاً ... على بلــواه قــد لاقــى رُكامــا
يئــنُّ أنيــن ذي جــرحٍ رغيــبٍ ... بســهمٍ عائــرٍ يَبــري العظامــا

---

(١) هو السيد محمد الصدر الزعيم السياسي العراقي المعروف.
(٢) هو العلامة السيد جواد الصدر الأخ الثالث للفقيد.
* نظمتها حينما قتل الملك الشاب غازي ، وقيل: قتل في حادث سيارة ــ بغــداد ٤/٤/ ١٩٣٩م.

صمــوتٌ دهشــةً ويَفــوه نــاراً تُزمزمُ في الشّــوارعِ لا كلامــا
رأيتُ الشــعبَ كالطوفانِ يَجري على غير الهــدى جرياً عُرامــا
يفيض على الشّــوارع والزوايــا بلون أسىً يرى الشكوى حرامــا
يســير بكلّ وجــهٍ ليس يــدري أكــان الســير خلفــاً أمْ أمامــا
رأيت الشــعب كهــلاً أو غلامــا وطفــلاً.. بعــدُ لم يدرِ الفِطامــا
نســاءً في الشّــوارع والضواحي يغــادرن المنــازل والخيامــا
يَهِمْــنَ بــلا حجــابٍ لادمــات بصــدرٍ كــان للبلــوى حطامــا
مواكــبُ آلفــتْ أدنــى وأعلــى بــلا فــرقٍ .. وخالفتِ النِّظامــا
هــوى غــازي بضربــة ثعلبــيٍّ ليُحكم ضربــةً .. لبسَ الظّلامــا
وقالــوا حــادثٌ أردى عظيمــاً فكــم من حــادثٍ أردى عِظامــا
جنـــودُ الله مـــن عســلٍ نهــاراً وجُنْــدٌ للــرَّدى الليلَ "الدعامــا"
ســوابقُ مثــلُها تجلــو القَتامــا وترفــعُ عــن محجَّبهَــا اللِّثامــا
دســائــسُ لا نُرجِّيهــا انقطاعــاً إذا لــم نَقتطِــعْ منهــا السّنامــا

****

تعـــالى الله*

جمــالٌ منـــه رفَّ علـى خيالي فحلَّــق فــي العُلــوِّ منَ الأعــالي
تجلَّــى للريــاضِ وقــد تعــرَّتْ فألبسَــهــنَّ أرديـــةَ الجــــلالِ
وحــوَّمَ فــي القفــار فكانَ فيهــا مكــانَ الكــرمِ عــرَّش بالــدوالي
فأنضبَهـــا ســرابــاً ذا التمــاعٍ وأنبضَهـــا ينابيـــعَ الـــزُّلالِ
جمــالٌ ليــسَ في جـــوِّ الجمــالِ لغيـــر نَمـــاه مُنفَتَــحُ المجـــالِ
فمــا في قرطِهــا صــوغُ الهــلالِ يُرصَّــعُ بالنُّجــومِ هــي اللآلــي

---

* بغداد ١٩٤٠

وما في عينِها الحوراءِ سِحرٌ مسارحُ للأظلّةِ والخيالِ
وما في قدِّها نَبتُ العوالي معنّىً من تأطُّره مَقالي
وما في الزَّهرِ فوحُ الطِّيبِ نَشْراً وما الدَّاريُّ من مِسْكٍ بغالي
تعالى اللهُ مُتْقِنُهُ جمالاً تمثَّلَ في صنائعِهِ الغوالي
فما قد شاء كان أتمَّ خلقاً وما لم يشأ فإلى زوالِ

****

رثاء أم*

ألحدتُها بيدي فهل أدعو اليدا تَرِبَتْ؟ وحقَّ يدي بها أن تسعدا
وأحقُّ بي أنِّي أكون لك الفدا وأكون في هذا الضريح موسَّدا
ليتي أُمَيْمُ أنا الصريع وأنتِ مِنْ حولي: صراخٌ بالفجيعة رُدِّدا
وإذن لكان أنيسُ لحدي سرمدا لا أمسِ من عمري ذكرتُ ولا غدا
وإذا وردتُ الحشرَ كان مزادتي لا الجوعَ في سفري بلوتُ ولا الصَّدى
وعلى الصراطِ لكنتُ أثبتَ عابرٍ لا الجبنُ زلزلَ خَطْوَهُ فتردَّدا
أُمَّاه يا هولَ المقامِ أرَقْدةٌ موصولةٌ بالحشرِ يا طولَ المدى
ماذا أرى؟ يا أمُّ هل في يقظةٍ أنا ههنا! وسَّدتُ خدَّكِ واليدا
أنا ههنا في الرمس دونيَ عالمٌ ألفيتُه في بُردتَيْكِ ممدَّدا
سرُّ الحياةِ بهِ فكيفَ سُلبتِها؟ كلُّ الحياة رأيتُها بكِ مَوردا
ألحبُّ أقدسُه الحنان وكنتِ نَبْعتهُ وكان بكِ المصفَّى كالنَّدى

---

* أماه. ارقدي هانئة في حمى الوصي الذي واليته في الحياة وآثرت قربه في دار غربة فاهنئي بقربه في الحياة وفي الممات وفي الجنات. لقد توفاها الله إليه عصر يوم السبت ٢٠ جمادى الثانية ١٣٥٩هـ/ ٦ تموز ١٩٤٠م. وألحدتها بيدي عند دفنها فنزلت قبرها وشرفني الله ببرها. وكان دفنها في الصحن الحيدري الشمالي في الحجرة الأولى بعد حجرة مقبرة السيد كاظم اليزدي التي تقع على يمين الداخل إلى الصحن من باب الطوسي.

كم قد وردناه بأصدى غلّةٍ ثُمَّ انثنينا والنَّدى بلَّ الصَّدى
يا ويحَ قلبي بعد قلبِكِ صرَّهُ من يتمه قُرٌّ وكان له رِدا..
كم ذا بردتِ لتدفئيه أضلعاً كم ذا عَريتِ لتُلبسيه أبرُدا
هل عودةٌ تدع الحياةَ كسالفِ عيشاً رغيداً كنتِ فيه المُرفِدا
أزْمانَ ظلّلنا جناحُكِ وارفاً بالحب وسَّدنا النعيم الأرغدا
كالطيرِ – يا أمَّ الفراخ – زقّقتِنا حبّاً تَنخَّب أو حَبَاباً نضَّدا
تَرعَيْننا ليلاً بسُهدٍ دائب ما جدَّ ليلٌ في دُجاه تَجدَّدا
أنشأْتِنَا كالصَّعدة السَّمراءِ إنْ تُثنى فللأمجاد أو بَذل النَّدى
وكما أراد الله بُدِّدَ شملُنا وإذا بقلبِكِ جامعٌ ما بُدِّدا
رغمَ البَعادِ به تلاقى نازحٌ بالنازحين: أحبّةٌ في منتدى
فأخوَّةٌ بعُدَتْ يُقرِّبُها مدىً قلبٌ أُشيدَ على المبرَّةِ والهدى
ما زال فيهمْ لا يَقرُّ قراره حتى يُقرِّبَ فيهمو ما استُبعدا
هجر الديارَ فما يُبالي تالدا منها تهدَّم أو جديداً شُيِّدا
ليرى بنيه النَّازحينَ بقربه فبهمْ له الوطنُ الحبيبُ توطَّدا

****

أمَّاهُ هل أثلجْتِ قلباً بالنَّوى أم كان هذا للجَوى رجْعَ الصَّدى؟!
أمَّاهُ ماذا ؟ حدِّثيني ربَّما خفَّفْتُ عنكِ بمدمعي إن أسعدا
هل إنَّ خاتمةَ المطاف بوقْعِها الْقاسي تُشابه ما أتاه المبتدى؟!
ماذا تحمَّلَ طُهْرُ قلبكِ صابراً ولَكَمْ تحمَّل كلَّ شَجْوٍ مُفردا!
كنْتِ الصَّبورَ تحمَّلْتِ آلامَها كنتِ الكتومَ فما لسرِّكِ يُهتدى
أمَّاهُ ما أحلى نداؤك في فمي أمَّاهُ ما أنداه صوتاً رُدِّدا
أمَّاه ويحي هل أنادي بعدها؟ أمَّاه ما لي لا أُبَحُّ من النِّدا...
يا أمُّ جفَّتْ من شبابي نضْرَةٌ يا أمُّ إنَّ العيشَ بعدك لي سُدى
فلسوفَ أُعولُ كلَّ ممسىً بالبُكا ... ولسوف أجعلُ ندبتي: ليتي الفدى

لحـــن الســـعادة*

هَبْنـــي الســـعادةَ واســمعْ لحـــنَ الســـعادة منّـــي
مـــا للســـعادة لحـــنٌ إنْ لـــم يوقّعْـــه فنّـــي
هَبْنـــي الســـعادةَ واسكبْ ألحانَهـــا فـــوقَ لحنـــي
تَسمـــعْ طـــريّاً غِنـــاءً مثـــلَ الهنـــا مطمئـــنِ
وانظـــرْ إلى الجـــوِّ تشهدْ أطيـــافَ بِشـــرٍ وأمـــنِ
تحـــومُ حـــولَ غنـــائي كطـــائـــرٍ فـــوقَ وكْـــنِ

****

هَبْني الســـعادة يـــا مَـــنْ نســـجْتَ منـــه بُـــرودا
أضفيتَهـــا بوجـــود لا يســـتحقُّ وجـــودا
مـــن كـــلِّ جامـــد حِسٍّ غطّـــى الفضـــاءَ جُمـــودا
وذو الشُّـــعور تـــوارى عنـــه السُّـــعودُ بَعيـــدا
رآه لكـــنْ رمـــوزاً عـــلى القراطيـــس سُـــودا
أعيـــاه حـــلاًّ مريحـــاً فـــراح يُملـــي الجحـــودا

****

إنْ رُمْـــتَ منّـــي غِنـــاءً فـــإنَّ عـــودي تَحطَّـــمْ
عـــدا عليـــه زمـــانٌ ذو غِلْظَـــةٍ ليـــس يَرحـــمْ
أعيتْـــهُ فهمـــاً فنونـــي كـــأنّمـــا هـــيَ طلســـمْ
كـــأنّهـــا صفحـــاتٌ خُطّتْ على عهـــد جُرْهُـــمْ
قـــد حطَّـــم العـــودَ حتّـــى أوتـــارُه منـــه فُصَّـــمْ
فهـــل أغنّـــي ولحنـــي مشـــوَّشٌ ليـــس يفهـــم؟

****

---

* بغـــداد ١٩٤٠م

كبـوت بالسـكر*

يا نفحـةَ الطَّيِّبَيْـنِ مـن عمـري: عَـذْبِ الهـوى وشـبابيَ النَّضْـرِ
ونتـاجَ عَشْـرٍ مـن سـنيَّ وقـدْ أهـرقتُهـا مـن حيـثُ لا أدري
أترعتُهـا كـأساً حسـوتُ بـهِ حتـى الثُّمالـةِ صفـوة العُمْـرِ
وحسِبْتُهـا لهنـاءتـي بكَـراً فاستهدفتنـي بالأسـى البِكْـرِ
وحسـبْتُ أنْ سـأُقـالُ بالسُّـكْرِ مـن كبـوتي فكبـوتُ بالسُّـكْرِ

****

محافل الأحزان**

يـا زهـرةٌ فـي روضـة الأماني مـا مثلُهـا الزهـور فـي الجِنـانِ
فـوَّاحـةٌ معطـارةُ الأردانِ باكـرَهـا المنـونُ فـي الرَّيعـانِ
مـا فتَّحَـتْ أكمـامَهـا للـرانـي حتـى ذوَتْ فـي مَـدرج الأكفـانِ

****

يـا طيبَهـا ما الطيبُ فـي الرَّيحانِ كطيبهـا بمـالئ الزَّمـانِ
ومنعـشِ القلـوب فـي المحـاني إنعـاشـةَ الأرواح للأبـدانِ
كالمـاء يجري في لِحَـا الأغصـانِ والطـلِّ فـوق الزَّهْـرِللظمـآنِ
كيـف جنى عليـكِ كـفُّ الجـاني فأذبـل الـوردة فـي نيسـانِ؟!
وأمحـل الروضـةَ والمغـانـي مـن زهـوِهـا المجـلوِّ للعَيـانِ

****

يـا حسنَهـا بالمَبْسـمِ الفتَّـانِ والمنظـرِ المدلَّـل الـرَّيَّـانِ
والنظـرِ المكفكَـفِ الوَسـنـانِ حَيِيَّـةً عـالقـةَ الأجفـانِ

---

* بغـداد نيسـان ١٩٤٠م.

** نظمتها معزّياً شقيقتي ، أم عبد الأمير ، بابنتها الوحيدة (أميرة) التي اختُصرت عـن حوالـى ١٥ ربيعاً. بغداد ٣ رمضان ١٣٥٩هـ ـ تشرين الأول ١٩٤٠م.

محلُّ وقــع الخَطــوةِ الــرّزانِ ما رفعَــتْ أهدابَهَــا لشــانِ
كأنَّمــا الزمـــانُ فــي مكــانِ وَهْــيَ عــلى حِشمتِهَــا فــي ثــاني

****

يــا قَــدَّهــا معتـــدلاً كالبــانِ رُواؤه الأنــداءُ فــي الجنــانِ
فــي منبــتِ الشَّــقيق والرَّيحــانِ نمــا عــلى جــوانــب الغُــدرانِ
فــي غيضــةٍ مــزرورةِ الأردانِ بنــرجــسٍ غــضٌ وأُقحــوانِ
يزينُــه جمــالُهَــا الأنـــاني بكـــلِّ مــا للحســنِ مــن كَيــانِ
يُصـــانُ فــي فَتـاتِــه الحَصــانِ باللُّطــف مــن أخلاقِهَــا الحِسـانِ
والعقـــلُ فــي منطقِهَــا المُصــانِ أعجِــبْ بهــا كبيـــرةَ المعــاني
صغيـــرةَ الســنّ مـــع الغــواني لــمْ تبلــغِ العشـــرَ مــع الثمــاني
فــاقــتْ عــلى أتــرابِهَــا الحســانِ بالعطـــفِ والرِّقَّـــة والحَنــانِ

****

أبـــا الأميـــر(١) خانَنــي لســاني والخطــبُ فــي مصابِنَــا كــواني
فكلُّنـــا مــن فَقــدهــا نُعــانــي وصبرُنـــا جــزءٌ مِــنَ الإيمــانِ
فَــدُمْ لنــا عــونــاً علــى الزمــانِ ودُمْ كـــذا معـــزَّزَ الكَيــانِ
عـــالٍ بعِلْـمٍ سـامــق البنيــانِ ســامٍ بخُلْـــقٍ نَجعـــةً للعـاني

****

شـقيقتي مــا خبـــرُ الأشــجــانِ هــل جــدَّدتْ محــافلَ الأحــزانِ؟(٢)
أأطلــبُ الصَّبـــرَ ومــا عــراني علــى النَّــوى مثلــكِ فــي التـداني
والصَّبـــرُ عــن (أميــرةِ) الحســانِ هيهـــاتِ أن يكـــونَ بالإمكــانِ

****

---

(١) أبا الأمير، المقصود به المغفور له العلاّمة الشيخ عبد الله السبيتي ، والمكنّى باسم ابنه الأكبر عبد الأمير، والد المرثوّة أميرة رحمها الله.

(٢) إشارة إلى وفاة والدته قبل أشهر قليلة فقط.

حسبي أن تكوني*

كوني وحسبي أن تكوني فالدُّنى ... هي أن تكونيها هنا أو ههنا
ألعمرُ أنتنَّ اللواتي مدَّهُ ... أو حدَّه باللَّحظ أعرضَ أو رنا
والحبُّ أنتنَّ اللواتي بثَّه ... واجتثَّه منكنَّ يأسٌ أو منى
فإذا جزيتُنَّ المحبَّ بردِّه ... فهُوَ التجنّي.. والمولَّهُ ما جنى
أما النفارُ فسرُّكنَّ وهل درى ... بانُ النَّقى تفسيرَه والمنحنى؟
طبعُ النِّفارِ بكنَّ إغراءٌ لنا ... يا سحرَه كمْ للفؤادِ به غِنى؟!

****

خاطرات**

خاطراتٌ كالأماني ... باسماتٌ كالنَّعيمْ
رائعاتٌ في الحنايا ... سارحاتٌ في الصميمْ
راعياتٌ منْ حَبَابِ الْـ ... ـقلب شِيحاً وشَميمْ
حَسْبي بهنَّ أنَّني ... منهُنَّ في همٍّ مُقيمْ

****

إختبار***

سحراً لمحتُ بعَيْنَيْهَا فواعجبي ... أبصرتُ أمسي بهِ بالعينِ والأثرِ
قد جسَّ بي نزواتٍ كنتُ أحسبُها ... قرَّتْ مع النفسِ من بأسٍ فلم تثُرِ
ثابَتْ تُغرِّرُ بي في الحبِّ ثانيةً ... فانصاع قلبي لها لكنْ على حَذَرِ
ماضيَّ في الحبِّ ماضٍ كم بلوتُ به ... من خُلْقِ معتهِرٍ في زيٍّ معتمِرِ
حوَّاءُ ما اختُبِرَتْ إلاَّ بصاليةٍ ... من صدقِ مُعتبِرٍ لا كِذْبِ معتذِرِ

****

---

* بغداد ٢٢/٤/١٩٤١م ـ ١٥ ربيع الأول ١٣٥٩هـ.
** بغداد ١٩٤١م
*** بغداد ١٩٤١.

غُربــــة*

أرأيتنــي إذ عنــكِ أزمــعُ راحــلاً		أمشي ـ ولا هدفٌ ـ بغيـر فـؤاد
متململـــلاً فـوق الركــائبِ هـدّني		أمــلٌ أضعـتُ كجنّــة الميعــادَ
مــا أنْ شكوتُ ولا شكرتُ مراحــلاً		تأتــي فخلفي قــد تركـتُ مــراديَ
مستقبـلاً دهـــراً أصـــمَّ وبيئــةً		عميــاءَ تُبصـر مــن خلال سَــواد
لا وِردُهـــا وِردي ولا أزوادُهـــا		إن طـــالـتِ الأسـفارُ من أزواديَ

****

تطـــواف**

طــافَ بي من جُهينةَ اليــومَ طيـفٌ		لســتُ أدري بيقظـــةٍ أم منـــام
لفَّنـــي هدبُهَـــا الطويـــلُ فأغفـى		فــي ظــلال السـهام ظـلُّ السـلامِ
واحتــوتْني شــعورُهَـــا بظـــلامٍ		لا يُــرى فــي مــداه غيـرُ الهيامِ
أوردتْني ـ كمــا أشــاء ـ هواهــا		فاحتسَـيْتُ المُـدامَ إثــرَ المُــدامِ
ذقــتُ منــه مجاجــةً مــن رحيـق		لــم يُـذَقْ مثلُ طعمِهَــا ألــفَ عـام
أثقلَــتْ سمعيَ الرهيـفَ وزاغـــتْ		من عيــوني ولجلجَتْ مــن كــلامي
ألــرؤى البيضُ مــا رأيْــتُ ولكــنْ		هــل ســلامي رأيتُـــه أم حِمــامي؟
من جنى النحــل ما طُعِمْــتُ ولكــنْ		هــــل شــفائي طُعِمتُــه أم سَـقامي؟

****

نشــوةٌ نهنهــتْ فـــؤادي بحـــبٍّ		عـــاد منـــه إلى شِـغافِ دُوامي(١)
أوقفتْنــي عــلى طــلولِ غـــرامٍ		ذكريـــاتٌ مــعَ الدمــوع هَــوامي
طُفْــتُ أبغي مــن المطــاف سُلُــوّاً		وإذا الآه مــدلــجٌ فــي الظـــلامِ

---

* اللاذقيــة ١٩٤١م.

** ١٩٤١م.

(١)الدُّوام : دُوار الرأس .

وإذا الطيـــفُ ردَّ ليــلى وقيســاً   والصــدى الرخــوَ من خلال الغَمــامِ
جــاب نجــداً وأيُّ نجــدٍ ؟ فهــذي   مــن عــراقي مطــارحي أو شــآمي
كلَّمــا قــاربَ النهايـــةَ شــوطي   عــاد يجــري إلــى الــوراء أمــامي
باعدَتْـــه عــن المَــرامِ جــدودٌ   عاثـــراتٌ علــى حــدودِ المَــرامِ

****

ضمِّي إليـك*

هــذي الثلاثون الطوالُ وكم قضَتْ   لــي مهجــةٌ مــا بينهـــا تعذيبــا
سعياً وراء هــوىً يهبُّ على لظــىً   في أضلــعٍ حــرَّى تَضــجُّ لهيبــا
لأرى الحبيبَ المُصدري عن حُبِّــه   بفــمٍ يَمُــجُّ نــدىً وينفــحُ طيبـــا
فأريــهِ مــن قلبــي مكامــنَ حبِّــه   فيُرينـــيَ الحــبَّ الدفيــنَ ضُروبــا
ويُهتِّـــك الأستــارَعــن أســراره   فــأراه في عُــريِ الهوى محجوبــا
وأزقُّهـــا ثغــراً لثغــرِ مــا رأى   مثلــي أكـــولاً للغــرامِ شَــروبــا
ويُـــري طفولتــيَ الحنــانَ بدفئه   فأُريـــه منِّــي طفلَــه المحبــوبــا
ويــرى خيالي مــن مُجنَّــحِ حُسنِه   فأُريـــه منِّــي الشــاعرَالموهوبــا
ولربمــا افتعـــلَ الصــدودَ تــدللاً   فأُريـــه منِّــي المغــرمَ المشــبوبا
وأُعيــذُه بمُســوَّرٍ مـــن مهجــةٍ   ضربَــتْ عليــه نواظــراً وقلوبــا
فــإذا تحــدَّث ما ســمعتُ كنُطقــه   جَرْســاً بأنغـــام المنـــى مسكوبــا
وإذا تــودَّد فالهنـــا فـــي قُربـــه   دنيــا أرقُّ مــن النسيــم هُبــوبــا

****

---

* في ٢٠ رمضان المبارك سنة ١٣٦٠هـ ويوافق ١٤ أيلول سنة ١٩٤١م عقــد قرانــي علــى كريمة المرحوم المقدس حجة الإسلام الشيخ عبد الحسين صادق. وكان لي مــن العمــر اثنتــان وثلاثون سنة. وكان لهذه الأعوام تاريخ .. رويته في هذه الأبيات للعروس فــي شــهر العسـل. فنظمت هذه القصيدة في بغداد ، شوال ١٣٦٠هـ / تشرين الأول ١٩٤١م.

فتّشتُ عن هذا الحبيب فلم أجدْ وحياةِ عينِكِ قبلَكِ المطلوبا
وهدأتُ لكنْ في فؤادٍ جاهدٍ يرنو إلى الأفقِ البعيدِ رقيبا
بمفازةٍ لا ظلَّ فيها لا ندى إلاّ سراباً راقصاً وكثيبا
حتى سموتُ إلى جِنانكِ هذه أنسامُها هبّتْ عليَّ طُيوبا
حتى خطوتُ إلى فنائكِ فاجمعي شملَ الغريب.. فما غدوتُ غريبا

****

أنا قد عرفتُ قُبَيل عهدكِ صحبةً سدّتْ عليَّ مذاهباً ودروبا
تلك السُّنون عثرْنَ فيَّ فلا لعاً أدمَيْنَ قلبي في الشبيبةِ حُوبا
أصحبْتَني من كان يملأُ مضجعي شوكاً يُقلّبني جوىً تقليبا
أصحبتُهُ عشراً وعامٌ بعدَه عامٌ: قضيتُ به الشبابَ غريبا

****

ضُمّي إليكِ نماءَ قلبٍ مُتعَبٍ ألفى لديكِ مظلّةَ المأشوبا
واسترَوح العيشَ الهنيَّ فجدّدي من عهدهِ "الروتينَ" والأسلوبا
هذا شبابي فامسحي ما قد وهى منه تَدبُّ به الحياةُ دبيبا
وهبي شحوبيَ من رُوائكِ دفقةً فيها الحياةُ تدفّقتْ شُؤبوبا
وهبي نشاطيَ من نشاطكِ دفعةً تلفيَنَني كالسَّمهريِّ صليبا
أنا قد قرأتُ على جبينِكِ أسطراً قد ذهّبتْ بسعادتي تذهيبا
فعلمتُ أنّي من جديدٍ بادئٌ عمراً جديداً في الحياةِ قشيبا
هذا وصالُكِ باعثي من رقدتي ومُقوِّمي غُصناً يعود رطيبا
ويكرُّ بي حيثُ الصَّبابةُ والهوى فيُعيدُ أيّامي بقربكِ طيبا
وإذا بعهدِ شبيبتي وفتوّتي فتّواءُ لم تعصفْ أسىً وخطوبا
وإذا أنا ما زلتُ فارسَ حَلْبةٍ جُلّى وفي اللهو البريء طَروبا
أنا في الحقيقةِ ناشدٌ لكِ أوّلاً فظفرتُ بعد الجهد فيكِ عقيبا

قـد كنتُ منـذ يفعـتُ ذا مُثُلٍ أرى   فيهـــا الســعادةَ رُكِّبَــتْ تركيبـــا
فصنعتُ منهـــا فــي خيــاليَ غادةً   مَثَــلاً شــروداً في الدُنــى مضروبــا
ومضيْتُ أبحثُ في الجبالِ على الذرى   في السَّـفحِ فــي الوادي العسيرِ دُروبا
في الــرَّوض لم أتــركْ براعمَ وردِهِ   في الشَّــوكِ حتى عُدْتُ منه خضيبــا
حتــى عثــرْتُ عليــكِ نَشْــدةَ طالبٍ   جمعَــتْ مزايا كُــنَّ لــي المطلوبـــا

****

مجـــالي*

أرى الأمرَ رأيَ العينِ لكــنْ أمسعدي   لتحقيــقِ آمـــالي الكبـــارِ زمـــاني؟
وليــس مجالي بالرحيــبِ وكـــانَ لي   بتوســيعِ آمـــالي الصِّغـــارِ يـــدانِ
ولكـــنَّ قلبـــاً فـــي الكبـــارِ مَجـــالُـــه   وســـاعُ أمـــانٍ لا وســـاعُ مكـــانِ

****

فراخ النسور**

إنَّ كفِّــي وخاطــري ولســـاني   فلــذاتٌ تكوَّنــتْ مــن جَنــاني
وخصـــالٌ جمعْــنَ فــيَّ حَمــادي   مــن خصـــالٍ يُربُّهـــا أبـــوانِ
رقَّــقَ النبُــلُ متنَهَـــا والحواشــي   رقَّـــةَ الفجر في حواشي الرعانِ
زقَّهـــا كالفِــراخِ حَبّـــاً لُبـــابـــاً   وحَبــابـــاً مقطَّـــراً منقَــرانِ
حاشَها مِنْ سُــراه نَسْــرٌ قَنــوصٌ   للصَّقايـــا ظهيــرُه مِخْلبـــانِ
كانقضاضِ الشَّــهابِ يُنهي مــداهُ   ما ونى منه في السُّرى جانحـــانِ
واعتلى بي عــن المباءاتِ عــشٌّ   في العرانين..في الذرى في العنانِ
وفـــراخُ النســـور أعـــلى وكُونـــاً   من فـــراخِ البُغاثِ في الغيطـــانِ

****

---

*بغـــداد ١٩٤١م
** بغـــداد ١٩٤٢م.

لا تكونوا علينا*

أرسل لي العلاّمة الكبير الشيخ حسن صادق هذه الأبيات والمخاطَب بها أنا وأخي صدر الدين.

إنْ بعدتُم عنّا وشطّ مَزارٌ ... فالقلوبُ التي علمتُمْ دواني
صحبتُكُم وكلُّ ظنّي لا تفقدُ منكُمْ تلكَ الصّدور الخواني
عاكسَتْ إذ تمجُّ منّا ضلوعاً ... عَبَراتٌ تعبُّها الوَجنتانِ
لا تكونوا معَ الزّمانِ علينا ... وتكونانِ فوق هذا الزّمانِ
إنْ يكنْ في الوجود أخوانُ صِدْقٍ ... يَعلمُ اللهُ أنتُما الأخوانِ

****

نهلة القدس**

أجبتُ العلاّمة الكبير الشيخ حسن صادق على أبياته المتقدِّمة، بهذه القصيدة.

لي فؤادٌ على التباعُدِ داني ... في ضُلوعٍ على الوِدادِ حَواني
طوَّحَتْهُ معَ الصّباحِ المندّى ... بَجْدَةُ الحُبِّ في رضاً وحنانِ
فأطلّتْ على فؤادي رَشاشاً ... من حياةٍ ومَجّةً من أماني
همسةُ الحبِّ حوّلتْ في كِياني ... نَشوةً قدْ مَزَجْتُ فيها كَياني
فارتقَتْ بي وما هبطْتُ لحانٍ ... أركبُ الريحَ في النجومِ الرّواني
سابحاً في الفضاءِ هفَّ جناحا ... هُ هفيفاً وما ونى الجانحانِ
والجناحانِ من لذائذِ أحلا ... مٍ تُريهِ الخيالَ رأيَ العَيانِ
ودّ لو شاهدَ الخيالَ عَياناً ... وتمسُّ الظُّنونَ منه اليَدانِ

---

* النبطية ربيع الثاني ١٣٦١هـ ـ نيسان ١٩٤٢م.

** في ٢ جمادى الأولى ١٣٦١هـ / ١٨ / ٥/ ١٩٤٢م.

فرأى وَهْوَ سابحٌ في السَّواري ... عَبَقَ الشّاعرَيْنِ: أُنسٍ وجانِ
جمعَتْهُ على اختلاف المناحي ... وَحدةُ الفنِّ واتّحادُ الأماني
مَجْمَعٌ ضَمّهُ بِوارف دوْحٍ ... أرَجِيِّ الظّلال فينانَ داني
نَدوةٌ زانَها انتشارُ الدَّراري ... بينَ حصبائها فُرادى مَثاني
تحتَ أقدامها المَجَرَّةُ تجري ... فوقَ أمواجِها طُغى النيرانِ
وتدورُ الكؤوسُ فوقَ أكُفٍّ ... من نبالٍ بمِعْصَمٍ من جُمانٍ
تتهادى بها قِيانٌ وغِلما ... نٌ هما من نبْتِ تلك المَغاني
مُترَعاتٌ خلا مَراشِفَ فيها ... بالمُخبّاةِ دهرَها في الدِّنانِ
بالمُصفَّاةِ خمرةً بالمُصفِّي ... كدْرةَ العيشِ من هُمومِ الزمانِ
لعبَتْ بالرؤوسِ حتى تهاوَتْ ... دانياتٍ على الصدورِ حواني
وعجيبٌ لثقلِها .. باللسانِ ... وعجيبٌ لِلُطفها في الجَنانِ
وأتاني فتىً يميلُ انتشاءً ... أريحيٌّ بكأسِه فسقاني
نهلَةُ القدسِ عبَّها من فؤادي ... نابضٌ بالحياةِ جَمُّ اللَّبانِ
ألهمتْني من الفنونِ ضروباً ... بعضُها الشِّعرُ والهوى والأغاني
وأرَتْني الأثيرَ لوناً هو المر ... جانُ لكنَّ حبَّهُ من جُمانِ
نثرَتْهُ على الغُروبِ فكانَ الـ ... أُفْقُ والنَّجمُ فَوقَها الفرقدانِ

****

أوقفتْني على الصّحيحِ من الوُ ... دِّ بما فيه روعةٌ بالمعاني
فدرى النازحون منّا بأنَّ الرَّ ... بْعَ خصْبٌ وآهلٌ بالمنانِ

****

كن هادي الزورق*

أرسل إلي الأستاذ عبد الرضا صادق ـ وكان أستاذا في البصرة لإحدى مدارسها الثانوية ـ الأبيات التالية:

في الضفـة الزهراء عند الغروب   يظـل طـرفي عالقـا بالشـفق
حتـى إذا غص السـنا واختنـق   وطـاف بالدنيـا جـلال الغسـق
أطبـقَ جفنَيْـهِ عـلى دمعــةٍ   محمومـةٍ هوجـاءَ ثُـمَّ احتـرَقْ

****

وفي الصَّبـاحِ الطَّلْـق بينَ الزُهورْ   يمتـدُّ في السَّـفْحِ وفـي المنحنى
وفـي حواشـي الثَّمَـرِ المُجتنـى   والسُّـنبلِ الوهَّـاجِ تحـت السَّنـا
حتـى إذا لـفَّ الصَّبـاحُ الفنـا..   مـال عـلى آلامـه وانحنـى

****

وفي الضُّحى عند اشـتعال الهجيـرْ   يرنـو إلى الحَصاد تحت الظِّـلالْ
والصِّبيـةُ الأغـرارُ بيـنَ التِّـلالْ   والعابـرُ المكـدودُ فـوقَ الرمالْ
حتَّـى إذا مـات الضُّحى غلَّفَـتْ   عينيـه آلامُ الليـالي الطِّـوالْ

****

ماذا جنـى الشَّـاعـرُ مِنْ وجدِه...   من شـوقه الواري ومـن حُبِّـهِ
ينسـابُ فـي هيكلـه حـائـراً   والنَّـارُ والأشـواق فـي قلبِـهِ
(أبا علـيٍّ) والفجر طاغي العُبـابْ   والليـلُ غـشَّى نجمَـهُ بالضَّبـاب

كُـنْ هـاديَ الـزَّورقِ للسَّاحـلِ...

****

---

* البصرة ، عبد الرضا صادق.

جهاد بغير ثواب*

فأجبتــه بالأبيــات التاليــة:

علــى شُـرفــةِ الطِّفـلِ الباسـمِ   وقفـتُ معَ الشَّمس أجلـو الصبّاحْ
أُطـــلُّ علــى الأُفُــق الحالـمِ   وأطلـــق للنّفــسِ فيـــه السَّراحْ
لَتَبْعُـدَ بــي عــنْ مـدى العَـالَمِ   فأسـبَحُ حــرّاً طليـقَ الجَنـاحْ
فــأرقــى إلــى حيـثُ لا منتهى   فــأسلكُ والرِّيــحُ فــي مَـدرجٍ..
ولكــنْ صحـــوتُ إذا بالشُّــعاعِ   يُصعِّـــدُ أحـــلاميَ الفــائـرة
وهـــا ... أنـا حيـثُ أنـا نائـمٌ .. ومـا تـلك غيـــر رؤى عابــرة

****

رجعـــتُ مكـانـــيَ رأْدَ الضُّحى   أفتِّـــشُ عـــن حلمــيَ الضَّــائعِ
فـــدُرْتَ بـــه دورانَ الــرَّحــى   ولكـــنَّ طحنـــيَ فـــي مــائـعِ
ذبلــتُ وعــوديَ رَطـبُ اللِّحــا...   كــذلك شـــأنُ الفتــى البــارعِ
بَغــى مسرحــاً فــي مَجـالي القَمَرْ   وودَّ لــه مضــربــاً فــي السَّحاب
فأغفيْــتُ يأســـاً علــى خَيبــةٍ ...   إذا هــاتــفٌ بــي شَـجيُّ النَّغَـمْ
يــوقّــعُ لحــنَ الجــدودِ الشَّـهيْ   علــى مسمعٍ قــدْ تمنّــى الصَّمَـمْ

****

وجــاء الأصيــلُ وما فــي الأصيلْ   ســوى ســحنةِ العــاشق السَّاهِـــمِ
فَشِـمْتُ بــه الشَّمسَ نجماً ضئيــلْ   يُطــالعنــي بالسَّـــنا الغــائــمِ
تُعصفِــرُ وجهـــاً كوجــهِ القتيــلْ   تلطَّـــخَ بالشَّـــفقِ الجـاهِـــمِ
وقفـــتُ لمنظــرِهـــا واجمـــاً   أطـــالــعُ فيـــه أســـى الشّاعــرِ
صحــوتُ ولكــنْ رأيـــتُ السَّـنا   تضــاءلَ حتــى احتــواهُ الشَّـــفَقْ
فــأيقنْــتُ أنِّـي كشــمسِ النَّهــارِ   تشـــعُّ وتُطفَـــأُ وراءَ الأُفُـــقْ

****

---

* بغـداد: ٤ جمادى الأولى ١٣٦١هـ / ١٩٤٢/٥/٢٠م.

تعـــالَ.. تعـــالَ فهـــذا الفـؤادُ تتـــاثـــرَ حبّـــاً فمـــا يَنتظِـمْ
بمـــا قـــد تَحكُمَـــه مـــن عِنـادْ كـــذاك تحكَّـــمَ فيـــه الألـــمْ
ثـــوابٌ ولكـــنْ ثـــوابُ الجهـادْ أضاعـــوا كمـــا قـــدْ أضاعوا القِيَـمْ
تعـــالَ .. فـــإنَّـكَ مـــن مَعشـرِ أذاقَهمـــوا عبقـــرٌ مـــن جنـــاهْ
ومَـــنْ ذاقَ مِـــنْ عبقـــرِ مجتنـــاه فقِسمتُـــه الدَّهـــرَ مُـــرُّ العَـذابْ
نصيبُـــك مـــن لـــؤمِ هـــذي الحيـــاة جهـــادٌ .. ولكـــنْ بغيـــر ثـــوابْ..

****

طُفْ يا ردى*

طُفْ يا ردى عَرضَ الفضا الرَّحيبِ مـــن مشـــرق الشـــمس إلى المَغيبِ
فمـــا عليـــكَ اليـــومَ مـــن تثريـــبِ أبعدَمـــا أوديـــتَ بـــ(الخَصيـبِ)
مـــن أرضِنـــا في الزَّمـــن الجَديبِ تخشـــى رقيبـــاً! ليس مـــن رقيـــبِ
فخطيبُنـــا بعالِـــمٍ رَحيـــبِ هـــو التـــقى والعلـــمُ فـــي الخُطوبِ
ذو منهـــجٍ مخطَّـــطٍ مصيـــبِ لكـــلِّ معنـــىً مُتْـــرَفٍ عَجيـــبِ
وهـــو إلـــى الفنـــون ذو دروبِ لاحبَـــةٍ بيِّنَـــةِ السُّـــروبِ
تنفـــحُ أطـــرافَ الدُّنـــى بالطِّيـــبِ
أعظِـمْ بـــهِ مـــن لَســنٍ خطيـــبِ وشـــاعـــرٍ مبـــرِّزٍ مـــوهـــوبِ
وعـــالِـــمٍ مـــؤلِّـــفٍ نَقيـــبِ ومتَّـــقٍ لربِّـــه مُنيـــبِ
ومـــرشـــدٍ يثـــوبُ للمُثيـــبِ فـــي عـــالَـــمٍ معربـــدٍ صخُـوبِ
يقـــود مـــن مُثُـلٍ إلى ملحـــوبِ مـــن الهـــدى قـــودَكَ للجنيـــبِ
فَهْـــوَ لـــدى التـــرهيب والترغيبِ نفـــحُ الصَّبـــا ولفحـــةُ اللَّهيـــبِ
يُريـــك ثَـــمَّ عـــالَـــمَ الغيـــوبِ فجنَّـــةَ النَّعيـــم فـــي أســـلوبِ
وســـعرةَ الجحيـــم فـــي أســـلوبِ

* في رثاء عمنا المرحوم المقدس حجة الإسلام الشيخ عبد الحسين صادق توفاه الله في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦١هـ الموافق ٦ كانون الثاني ١٩٤٣م.

إنْ أنسَ مــا الأشخاصُ في المغيـبِ   لــم أنــسَ شــخصاً حــلَّ في القلوبِ
وخلَّــفَ الذِّكــرى على ضُروب :   فذكـــرُه بالمَثَــلِ المضـــروبِ
مــن نثـــرِه وشــعرِه النَّخيـــبِ   منســربــاً فـــي عَــالَـــمٍ رحيـبِ

يطـــوفُ بالعقـــولِ والقلـــوبِ

وذكـــرُه بعلمـــه الخصيـــبِ   أنعِـــمْ بــه وافـــي العَطــا وَهــوبِ
كالمُـــزْنِ يُعطي الخصبَ للسـهوبِ   يعُـــبُّ صــرفـــاً ليــس بالمَشـــوبِ
أعْظِـــمْ بـــه منـــارةَ الـــدُّروبِ   يُهـــدى بهـــا الحائـــرُ فـــي السُّروبِ
وذكـــرُهُ فـــي نســـله النَّجيـــبِ   فَمِـــنْ فتىً مثـــلِ النَّـــدى رطيـــبِ
إلـــى فتىً مثـــلِ الضُّحى طَـــروبِ   إلـــى فـــتىً مثـــلِ المنـــى حَبيـــبِ
أو عـــالـــمٍ أو شـــاعـــرٍ... أديـــبِ   أو لَســـنٍ مفـــوَّهٍ ذريـــبِ
والسَّـــلوةُ الكبـــرى " أبو نجيـــبِ "   وصِنـــوُه أقصـــى منـــى الطَّليـــبِ
علاَّمتـــا زمـــانِنَـــا العقيـــبِ   دامـــا عـــلاً بالعُمـــرِ الرَّحيـــبِ

****

أمنيـــــة*

أرتْـــــه المـــودَّة تحنـــانَهَـــا   وكـــــادَ يقـــارب سُـلوانَهـــا
أمَــــا والوفـــاءُ فمـــا صفحـــةُ   الْـــغديـــر تُضـاحـــك شُـطآنَهـــا
مياســـرُهـــا فـــي نسـيم الصبـــاحِ   تُبـــادل بالصَّفْـــق إيمـــانَهـــا

---

* الشيخ علي الشرقي من شعراء العراق المبرزين وكانت بيننا صداقة تخللها فتور. وحدث أن ولد للشاعر العراقي الكبير مولوداً ذكراً أوحد وهو في سن الستين من عمره فتأثرت بهذا الحادث السعيد فأرسلت هذه الأبيات إليه على صفحات جريدة العراق ـ بغداد ٢٤/١١/١٩٤٣م ـ ١٣٦٢هـ.

وما مُزنةٌ صوبَتْ في الرِّياض تحيِّي فتُنبتُ ريحانَها
وتلتفُّ بالرِّيف رقراقةً فتُخصب للأرض بستانَها
بأصفى وأندى من ابن حشيّ غذَتْه المروءاتُ ألبانَها
وما كان من دوحةٍ أطلعَتْ على عرقِها الدَّوح أفنانَها

****

تذكَّر والذِّكرُ أدرى به عواطفُ تَعرض ألوانَها
قَطافَ الحنينُ بغلوائها وراح يُبرِّد نيرانَها
وأبدى الذي قد طواه الزمان أحاديثَ تُرجعُ أزمانَها
فحوَّل نيرانَها جنَّةً ونَمنمَ بالورد أردانَها
تفيض النداوةُ في سُوحِها فتورق بالخصْبِ كثبانَها
ويطغى على الجوِّ لحنُ الغناءِ ...ونَسمع في الرَّوض ألحانَها
تُجوِّدها لَهَياتُ الحسانِ بلحنٍ يُعشِّبُ عيدانَها
وما الناس فيها سوى أعيُنٍ تُسابِقُ بالسمع آذانَها

****

وجاءتْ إليه بناتُ القريضِ تمايلُ تَعرضُ أوزانَها
تطارحه مُغرياتِ القوافي لتبعثَ مِنْ فيه "حسَّانَها"
تُقاربه وهْوَ عنها البعيدُ يَسِرُّ ويَنشرُ إعلانَها
وكان إذا اعتلَّ من علَّةٍ شفى لطفُها منه أدرانَها
وكان إذا خاف حَصْرَ المقالِ يُقايضُ بالحَصْرِ "سُحبانَها"
وكان يرى نفسَه أعزلاً إذا هيَ تستلُّ خرصانَها

وكـــان يــرى جَـذبَ هذا الزمان فـــلا روضَ تُنبـــتُ ريحـــانَها
إذا هـــي درتْ عليـــه لبـــاً شِـــهاداً تَـرَشَّـفَ حَـرَّانَهـــا

****

وأمنيـــــةٌ كـــروِى الحـــالميـــنَ ... فحُــــورٌ تُغـــازل وِلـــدانَهـــا
سَــوانحُ في الغيـب تُقصي المـدى لتُـدنـيَ فـي شـأنِـهِ شـانَهـا
تُداعــبُ منـــه فضـــولَ الخيـــالِ وتُخلـي ـ ليوغـــلَ ـ مَيدانَهـا
وتُغـريـه حتـى تـُريـه المُحـالَ بإمكـــانه دَغـــكَ إمكـانَهـــا
وتجفـــوه حتّـى يجـــفَّ المعينُ وتمعـــنَ بالهجـــرِ إمعانَهـــا
وتصفَـــرُ مـن يـأسهـا دوحـةٌ تهـــادَتْ : تُجـــرِّد أغصانَهـــا
إذا بالعقـــائـــلِ والقـــابـــلاتِ تُمجِّـــد فـــي اللّـــه إيمـــانَهـــا
يُهلهلـــنَ للبـــــدر يطفـــو سـنـاهُ وللغصـــنِ فـــي دوحـــةٍ زانَهـــا
وحَيَّيْنَـــه أمـــلاً فـــي الحيـــاةِ يَشِـــعُّ ويُعلـي بهـــا شـــانَهـــا
وجئـــنَ إلـــى الشّـــاعـــر العبقـــريِّ يُـــرتِّلـــنَ بالبِشْـــرِ قـــرآنَهـــا
تُوافـــي (عليّـــاً) جيـــادُ القريضِ لديـــه تُكفكِـــفُ أرسـانَهـــا
علـــى أربـــعٍ(١) قـــد تعـــادَتْ إليـــه بهـــا لتُكْمِـــلَ (نُقصانَهـــا)
صبـــرْتَ " علـــيٌّ " فـــأرِّخْ : أجـــلْ صبـــرْتَ فجوزيـــتَ (إحسانَها)(٢)

****

---

(١) إشارة إلى نقصان التاريخ أربع سنوات يجب أن تضاف لمجموع التاريخ كي يكون التاريخ مطابقاً.

(٢) إحسان هو اسم ولده.

ابتهال*

هذا "عليٌّ" قد وُلِدْ ... يا ربّ باركه وزِدْ
يا ربّ هَبْهُ العمرَ مدّاً خيرَ مدٍّ في رَشَدْ
أغدقْ عليه العيشَ وفراً والهناءَ بغيرِ حدْ
أنشئْهُ برّاً في الحياةِ بوالديْهِ ومَنْ ولدْ

****

يا ربّ متّعْهُ بما ... حَلَلَتْ قامَ أو قعدْ
فيهِ إلى الباغي حياةٌ ... عَنْ حرامٍ مُبتعدْ

****

يا ربّ أنتَ دُلَّهُ ... في الصّالحاتِ إلى الرَّشَدْ
أنتَ الدَّليلُ فقُدْهُ في السُّبُلِ البهيمِ يداً بيدْ
أرشِدْهُ للدَّربِ السّوِيِّ فدربُكَ الهادي جَدَدْ
إنْ قالَ لمْ يكذبْ ويُوفي وعدَهُ إذا وعدْ
وفّقْهُ للأعمالِ تَبْقى خالداتٍ في الأَبَدْ
فيها لكَ الرُّضوانُ يا ربّي وخيرٌ للبلدْ

****

يا ربّ كثّرْني عددْ ... فيهِ وزوّدْني غَدَدْ
واجعلْهُ زيْناً لي إذا ما غابَ عنّي أو شهدْ
حصّنْهُ بالخُلُقِ المتينِ بما تسامى واقتصَدْ

****

يا ربّ هَبْهُ فكرةً ... في كلِّ علمٍ تتّقِدْ
أنِطْ بهِ الأمرَ الكبيرَ... ومنكَ يا ربَّ المَدَدْ
ينحطُّ فيهِ منْ غلٍّ ... كالسّيلِ يرغو بالزَّبَدْ

****

---

* وُلِد قرة عيني المحروس بالله ولدي عليّ في ١٣٦٢/١٢/٢٥هـ الموافق ١٢/٢٣/ ١٩٤٣م.

هــذا " علــيٌّ " قــد ولــد   ألشُّــكرُ للّــه الأحَــد
عوّذتُــه باللّــه مِــن   شـرِّ الحَسـودِ مـا حَسَـد

****

عيــد علــي*

نشرت جريدة الساعة في عددها الصادر يوم الأربعاء ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٦م بمناسبة عيد ميلاد ولدي علي بقلم صاحبها أخي السيد صدر الدين ما يلي:

أخي أبا عليّ:

في الناس من هذا اليوم معنى واحد ، وفيك منه معنيان ، في هذا اليوم معنى العيد الشامل الرحب يطوف فيهم في دنيواته وجمالاته على صور من ذكريات المجد الذي هزّ الدنيا بمقبض ذي الفقار وكفّ أبي الحسن. وعلى صور من شعائر المبدأ السمح المنيع الذي عبر الدهر مطمئناً إلى سلامة عقيدته في موكب التطور المتقلّب.

وفيك مع هذه الفرحة الروحية السامية معنى (عليّ).عليُّك الأغرُّ الناعم: هذا الذي تلتقي على جفنيه سماؤك وأرضك حالمتين بأسمى المناعم. على أنّ معناك الذي يميّزك ، هوفرع من معناك الذي يدمجك في موكب هذا اليوم. أليس معناك هذا هو التفاؤل بحياة هذا الحبيب المفدى الذي أطال الله شوقك إليه ليجعله نعمة غالية تقدر أنت قيمتها ؟ هو ذاك. أحيا الله عليّاً. في مطلع هذا العيد المبارك . وأرانا فيه جميعاً رجلاً مشدود الساعد لكبريات رموز هذا اليوم الأغرّ.

أخـوك

****

---

* عيد ميلاد علي المذكور في هذه الكلمة والتي تليها كان يقام على الحساب الهجري، في ٢٥ ذي الحجة، ولكنّه أقيم في الـ٢٠ منه، تبركاً بحلول عيد الغديروقتئذ.

فرحتـان : في عيد عليّ

نشرت جريدة الساعة الصادرة فـي بغـداد بتـاريخ ٢١ ذي الحجـة ١٣٦٥ الموافق ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٦م ما يلي:

احتفل أمس الأستاذ السيد محمد رضا شرف الدين بعيد ابنه الأغر (علي) ـ أحياه الله ـ في نفر من الأهل والأصدقاء خاصة.

ولما انعقد الاجتماع طافت الهناءة تُسكر الجوّ بنشوة الحفلة التي كانت رمزاً من رموز الابتهال في العيد المبارك بحياة (عليٍّ) العزيز المدلّل الكريم على أهله جميعاً. ومن إنصاف أبي عليٍّ أن نُلَمِّحَ إلى أريحيّتِهِ التي نقلت ألوان الفواكه من دمشق إلى الحفلة وعرضت للمدعوين ألوان التفاح والعنب والموز مجلوّاً مغرياً. وكانت ساعات هنيئات على شرف الطفل الحبيب في يوم جده العظيم. ساد فيها روح الود والانطلاق وتُلي فيها من الشعر الرائق ، وقد أثرى الحفل خال الطفل المحتفى بعيد ميلاده الأستاذ عبد الرضا صادق فأنشأ قصيدة فريدة بين الفكاهة والجد ننشرها ذكرى لميلاد (عليٍّ) ولنعدَّها ليقرأها حين يكون رجلاً فلعلها توحي إليه يومئذٍ فكرةً أو تساعده على استجلاء صورةٍ. وهذه هي القصيدة:(١)

عيـــدُكَ الحافـــلُ بالتُّفّـــاحِ عيـــدٌ ليـــس يُنســـى
آهِ لـــو أكنُـــسُ هـــذا الأحمَـــرَ الأصفـــرَ كَنْســـا

****

يـــا حبيبـــي ممَّـــنِ (المـــوزُ) هنـــا يصفَـــرُّ رُعبَـــا
آهِ مـــا أجـــدرَ أن يعبُـــدَ هـــذا المـــوزُ ربَّـــا

****

خلّنـــا نعصـــفُ (بالكيـــكِ) علـــى نَخبِـــكَ عَصفـــا
واشـــهدِ القـــومَ هنـــا قُنبلـــةٌ تَنســـفُ نَسفـــا

****

---

(١) القصيدة للشاعر عبد الرضا صادق ، خال (عليٍّ) المحتفى به.

يـــا حبيبـــي أيُّنــا أكثـــرَ فـــي عيـــدكَ ربْحـــا؟
مَـــنْ تُـــرى حصَّـــته القـــشُّ؟ ومَـــنْ يحصُـــدُ قمحـــا؟

****

رُبَّ أبيـــاتٍ مِـــنَ الشِّـــعْرِ بذكـــراك تُغنّـــي
عبـــرَتْ كـــلَّ فـــؤادٍ وتغشَّـــتْ كـــلَّ أُذن

****

سَـــلْ إذا لـــم تَقْـــدِرِ الشِّعْـــرَ عَـــنِ الشِّـــعرِ أبـــاكا
أفهـــلْ يَـــرضى بـــأنْ يبْـــدلَ بـــالأرضِ السِّماكـــا؟

****

قُـــرَّةَ العينَيْـــنِ يـــا حبَّـــةَ قلبـــي يـــا علـــيُّ
ذَهـــبٌ شِـــعري...وذا شَعْـــرُك كَنْـــزٌ ذهبـــيُّ

****

يـــا حبيبـــي إن يكُـــنْ أنْ أتمنَّـــى لـــكَ شَـــيّا
أتمنَّـــى لـــكَ عُمـــرَ النَّـــسْرِ والعيـــشَ الرَّضيّـــا

****

فرحتـــي فـــي يومِـــكَ المُشْـــرقِ هـــذا فرحتـــان
أوَ تـــدري أنَّ هـــذا الْـــيومَ فـــذٌّ فـــي الزَّمـــان!

****

جَـــدُّكَ الأعظـــمُ مـــنْ (فـــمٍ) علـــى نَشَـــزٍ رفيـــعِ
بلَّـــغَ الأمـــرَ علـــى حَشْـــدٍ مـــنَ النـــاسِ جَميـــعِ

****

لســـتُ أدري لِـــمَ يحتـــاجُ علـــيٌّ للدَّليـــل؟
مَـــنْ ســـوى حَيـــدرةٍ ينـــهـــض بالعِـــبْءِ الثقيـــل؟!

****

مدرسة الحب*

يا ابنةَ الدَّوح على الدَّوح الرَّطيبْ   نَظِّمي بالأُنس عقدَ المجلسِ
واجمعي شملَ حبيبٍ لحبيبْ   واطفئي بالوصل حَرَّ الأنفسِ

****

واسمِعينا همسَ نجوى العاشقينْ   ورَسيس الحُبِّ طيَّ الأضلعِ
ورفيفَ القلب بين الطائرينْ   ونشيجَ الوَجدِ خلفَ الأدمعِ
حدِّثينا نبأَ الحبِّ المُبينْ   عن عَفاف قدْ رواه الأصمعي
غاض منَّا الصَّوتُ والدَّمعُ الخَضيبْ   وعلا الأُفْقَ سكونُ الحِندِسِ
هيبةٌ للحسنِ والوصل الرَّهيبْ   وجلالُ الحبِّ فوق الأرؤسِ

****

أسدلَ اللَّيلُ على الكون ستارْ   وغفا السَّامرُ وانفضَّ السَّمَرْ
مشهدٌ ما كان فيه مِنْ جِوارْ   ما وعاه غيرُ أُذني والسَّحَرْ
فانظر الأفق فنجمُ الأُفق غارْ   والثريَّا عقدُها فيه انتثرْ
حدِّثينا ليس في الكون رقيبْ   قد غفَتْ حتَّى عيونُ العَسَسِ
حدِّثينا ما جرى عند الكثيبْ   عن عِداتِ بَرَّةٍ في الغَلَسِ

****

كلُّنا يا هذه ذاقَ الهوى   كلُّنا قيسٌ بليلاهُ عَميدْ
كلُّنا قاسى الجوى بعد النَّوى   وتخطَّى قفرَه بيداً فبيدْ
يعرف الرَّملَ وباناتِ اللِّوى   ومواعيداً حِساناً أو وعيدْ
كلُّنا درَّ على الرَّوضِ الخَضيبْ   مدمعاً أبكى عيونَ النَّرجسِ
فاحتواه الوردُ في الأكمامِ طِيبْ   واحتلى منه بثغرِ العَسَسِ

****

ليس فينا غيرُ صَبٍّ مُدنَفِ   أتقنَ الحبَّ بدرسٍ واختبارْ
قد تلقَّى درسَه في مَألَفِ   كان للطَّير مُصلَّى ومَزارْ

---

* بغداد ، رجب ١٣٦٣ هـ / نيسان ١٩٤٤م.

كـم شــربناها طَــلاً فــي سَـرَفْ   مــن تــلاحينِ القُمــارى والهَــزارْ
والنَّشـاوى نحن: هــذا في نَحيـبْ   قلبُـــه فـــي دمعــه المُنبجِـسِ
ثُـمَّ هــذا صوتُـه الـداوي العجيبْ   لا يَنــي يشــدو طـويـلَ النَّفَـسِ

****

مـن ذوات الطَّـوقِ فـي أفنـانِهَـا   قــد تعلَّمْنَــا حنينــاً للأليــفْ
وحمــامِ الأيْــكِ فــي أوكـانِهـا   قَــدْ تدارسـنا زقيقــاً وزفيــفْ
والرِّيــاضِ الأُنــفِ فـي أحضانِهـا   كيفَ يأوي الزَّهرُ في الرَّوضِ الأنيفْ؟!
وأتينـا السَّـفح والـوادي الرغيــبْ   يَحتبــي مــن ظلِّــه فـي بُرْنُـسِ
وأقمْنَــا فيــه نحـن والحبيـبْ   نَحتسـي مـن خمـرِهِ مـا نَحتسـي

****

وانثنَيْنَــا نحـو ساحـاتِ الغــرامْ   نقتفــي السَّــربَ إلــى آرامِــهِ
فانطــلاقٌ ليـس فيــه مـن مَـلامْ   وانقيــادٌ هــو مــن إلــزامِــهِ
فرضينــا وارتضـانــا للهيـــامْ   كـلُّ مـا فـي القَفْــرِ أو آجامِــهِ
مـن خصيبٍ ظلُّــه أو مـن جديـبْ   ورطيـــبٍ قشــرُه أو يَبِــسِ
وارتضانـا الحـبُّ للحـبِّ السَّـليبْ   فانتظمْنَــا فــي رعـايـا (فينِـسِ)

****

صلح الحسن (ع)*

حدَّثونـا عَـنِ (الزَّكـيِّ) شـؤونـا   وشَّـحوهـا مُنمنمَــاتٍ فنــونــا
طــرَّزَ الافتــراءُ منهـا الحواشـي   مُتقَنــاتِ الصَّلى فعفَّـى المُتونــا
عبقــريُّ الجحـودِ يُمـلي عليــه   عبقــريُّ الحُقــودِ دسّـاً مَهينــا

****

أصحيـحٌ (أبـو محمَّـد) يُعطــي   صفقــةَ الخُسر راضيـاً مُستكينـا؟!
بــاعَ بالـدَّيْـنِ نقــده لخَـدوعٍ   رابــحٍ منـــه : دائنــاً ومَدينــا
أوحـديُّ الـدَّهــاءِ سِـلْماً وحَرْبــاً   واشــتداداً إذا اقتضــاه ولينَــا

* بغداد : ١٣٦٣/٢/٨هـ / ١٩٤٤/٢/٣م.

راضيــاً منـــــه بالولايـــةِ عهـداً   طامعــاً بَغـــدَه بمــا لــن يكونــا
ســلَّم الأمــرَ وَهْــوَ أمنــعُ مُلْكــاً   فــي العــراقَيْنِ عســكراً وحُصونــا
وجيــوشاً مــنَ الممــالــك تتــرى   تَفتــديـــه بمــالِهَـــا والبنيــنــا

****

أصحيــحٌ وفـــي التَّجاهُــلِ عِلْــمٌ   أســلمَ اللَّيــثُ غــابَــه والعــريـنـا؟
أعــوتِ الذِّئــبُ فـــي حِمـاه وأقعى   لَيْتَـــه الـــورْدُ فـــي العَـراءِ حزينـا
أصحيــحٌ (أبــو محمــد) أوفـــى   شــعبَــه أمسِ ذِلّـــةً أو هــونــا؟
عَصَــبَ السِّــلْمُ يَومَهُــمْ بسَــوادٍ   أطلســـيٍّ قضـــى عليهــم شُـجونــا
مؤثِــراً كالعُفـــاةِ عيشــاً بخَفْــضٍ   مــالنـــاً داره الرَّحيبـــةَ لينــــا

****

حدّثونـــا عـــنِ " الزَّكـــيِّ " حديثــاً   ليــس يُنمــى إلـــى الحقيقـــة دينـــا
حدّثونـــا فهـــل حديــثٌ ســـواه   ببعــثُ النُّــورَ في الحِجى أسمِعُونا؟!

****

حلَّــقَ (السِّــبطُ) والجَنــاحُ مَهيضٌ   فـــي خــوافيــه سِـــرُّ داءٍ دَفينـــا
رغــمَ وَهْــنٍ رآه ســـار حثيثـــاً   وهـــو يُخـــفي مـــن السَّــقامِ أنينـــا
وقُصـــاراه حُجَّـــةٌ لا يُبـــالـــي   بعدَهـــا الجيشَ خائنـــاً أو أمينـــا
(دعوةُ) الحـــقَّ لم تَــدَعْ لــ(عــليٍّ)   أو (الشــبلَيْـــهِ) ناصــراً أو مُعينـــا
ســار فـــي الجيــشِ والخوارجُ فيه   ذاتُ وِتْـــرٍ حَنَّـــتْ إليـــــه حنينـــا
تُظهــر الطَّـــوعَ والـــوِدادَ وتُخفـــي   خلفَـــه الغـــدرَ والخَنـــى والضُّغونــا
وقفةُ (السِّــبْطِ) لو ذكرتُم بـــ (سابــا   ط) إذ هـــم غـــادرُوه طَعينـــا
لـــوجدتُـــم لسـيِّد الجيــش عُـذراً   وصرفتُـــم إلـــى ســـواه الظُّنونــا

****

أخبروني عـــنْ (ابنِ عبّـــاس) مـــاذا   قـــد دهـــاه؟ أهــلْ عرفتُــمْ يقينــا؟
كيـــف ينســلُ فـــي الظــلام لأمــرٍ   هيَّـــأ الكَيْــدُ رحلَـــهُ والظُّعونـــا؟!
لســتُ أدري وإنْ دريــتُ فــإنّـــي   فـــي فمي المـــاءُ مانِعـــي أن أبينـــا

****

رثــاء قلــب*

يــا ذوبَ قلبــي الثــاكلِ الواجــدِ ... وسَــرْبَ دمــعِ الوالــدِ الفاقــدِ
عــداكِ مــن ســهم الــرَّدى طــائشٌ ... مــا أنــتِ فــي مرمــاه بالشّاهِــد
أنــا الــذي أقصــدَني عامــداً ... وأبلــغَ الطّعنــةَ مــنْ عامِــد
أنــا الــذي خلّفنــي مُهجــةً ... حــرّاءَ لا تلتــذُّ بالبــارد
أنــا الــذي غــادرَني جانبــاً ... يــأوي إلــى قتــادِهِ الذّائــد
أنــا الــذي أضرمنــي نــارَه ... فكنــتُ فيــه وقــدةَ الواقِــد
وأنــتِ منــه فــي ذُرى نجــوةٍ ... مــن حسـرةٍ تُـدمي حشـى الوالـد
قــريــرةَ العيــن ولــي مُقلــةٌ ... عــالقــةٌ بالطّائــفِ الشّــاردِ
تصطحــب الخاطــرَ فــي أُفْقِــه ... مضطــرباً كالشّــارب المائِــد
تــرتــاعُ للنّــومِ إذا طيفُــه ... هــوَّمَ فــوقَ جفنِــهِ السّاهِــد
يشـوكُهــا الوثيــرُ فــي مَهدهــا ... فتخلــعُ الرَّغْــدَ علــى الرّاقِــدِ

****

قــد كنــت أرجــو أن تُــريْ بسمــةً ... هــازئــةً بالــزمــن الحــاردِ
تُرشــدني للموقــف الرّاشــدِ ... حيــالَ دهــرٍ عابــثٍ حاقِــد
تُنيــرُ ليــلي بالمُنــى حالمــاً ... وفــي نهــاري بالهنــا الحاشِــدِ
أستلهم المِــراحَ مــن لُعبهــا ... فأتــركُ الدُّنيــا إلــى ناقِــد
وأنظــرُ العَســراءَ فــي مِجهَــرٍ ... مــن نظــرة المنصــرف الزّاهِــدِ
فأنفــخُ الدُّنيــا علــى شُؤمِهــا ... بالفــألِ مــنْ قريضــيَ الخالــد

****

---

* كانت قد وُلدت ابنتي (جُمانة) في ٢٦ شوال ١٣٦١هـ ؛ ١٩٤٢/١١/٦م. وتوفيت فجأة في ١٣٦٣/٢/١٠هـ الموافق ١٩٤٤/٢/٥م، بعد ولادة أخيها عليّ ، المحروس بعين عناية الله، بشهرين تقريباً فخلّفت حسرة فاقت كلّ حسرةٍ ذاقها قلبٌ معنّى ، وقد شاء الله أن تكون فاتحة الحسرات. بغداد: ١٣٦٣/٢/٢٠هـ/ ١٩٤٤/٢/١٥م

يــا ريَّ قلبــي عاطشـــاً لاغبـــاً في يومـه المُعصوصـب الرّاكـد(١)
قـــد كنــت أرجــو أن تُـــريْ وردةً فـي قفـريَ المجـدودبِ الهامـد(٢)
تُحيينـــــه جنْــبَ (عــليٍّ) كمـــا يحـيا مــواتٌ بالحَيا الجائـد(٣)
تُـوفينـــــه بالشَّــــذا عـابقـــاً وَهْــوَ النَّــدى وافــاه بالعائــد(٤)
تُزهينـــــه بمـــا جـــلا نـاظــراً يـرفــدُه بالصيِّـــب الرّافـد(٥)
وإن كبـــا الزَمـــانُ بـي عاثــراً فانتـــابَني بالكاســـر العاضِـد(٦)
أراك فـــي جنبـــي إلـــى جنبـــه كمِـــرْفقي شُـــدَّ إلـــى ساعـدي

****

يــا رَوْح قلــبِ السَّاهــم الجاهِــدِ وَهـدْيَ نفــس السَّــادِر السَّامِـدِ(٧)
مــا أنصفَـتْ يــدُ الــرَّدى عنــوةً تنتـــزعُ البُغيـــةَ مِــنْ ناشِــد
وتقطــفُ الــوردةَ مــن كُمِّهـــا وتُفسـد الــرَّوضَ عــلى الرَّائـد
أقمْــتَ مثــلَ وافــدٍ راحـــل واحسـرتـــا للـرَّاحـــل الوافِــدِ
صــدرتَ لـــم تستمهلي نهلـــةً وأيـــن أنــتَ مــن روَى الـــوارد؟!
جهلــتَ ســرّاً ليــتَ لـــي علمَــه آمنـــتُ فـــي عـلاّمـــه الواحـد

****

---

(١) اللغوب: أشد الإعياء . المعصوصب : المشتد.
(٢) الهامد : المكان لا نبات فيه.
(٣) علي: هو ابنه حفظه الله وكان عمره شهر واحد ونيف.
(٤) العائد: النفع.
(٥) الصيِّب : السحاب.
(٦) العاضد: القاطع.
(٧) السامد : المبهوت.

خذوني إليكـم*

خذوني إليكُمْ أو دعوني إلى سُقْمي   يُعلّلني همّي بمنآي لا أُمّي
خذوني فما العشرونَ عاماً تركتُها   من العُمرِ تزهو بالشّباب وبالعزم(١)
بتاركةٍ في القلب غيرَ كلومه   وفي الجسم غيرَ الدّاء والألم الجَمّ
تَقاذفُ أوزاعاً فؤادي فبعضُه   معَ الآه ملفوظاً على التُّرْب والرُّجم
وبعضٌ على سَفْحِ الحياةِ أرقتُه   معَ الجهدِ لكنّ الجهادَ منَ الحَزْمْ
وآخرُ منثورٌ على كلِّ هَضْبةٍ   ووادٍ خَصيبِ الظِّلّ ينعمُ في حُلْمِ
وحيثُ نزلتم من جنانِ " عاملٍ"   مُعلَّقةٍ في السّفح والمَرجِ والكَرْمِ
وفوقَ هنيِّ الشِّرْبِ صَفْوُ حياتِه   يَغورُ ويطفو بين شتّى ومُلتَمٍّ
يُنضّده الفجرُ النديُّ مع الصّبا   بمبتسِمِ الأزهار في موضع اللثم
وفي فجواتِ اللّيلِ منه حُباحِبٌ   تجوبُ فتبدو كالذُّبالةِ في الوَهْم
وأمّا الذي في جانبي فبقيّةٌ   أُرجّي بها البُقيا فأنمو بما تُنمي(٢)
أفيضوا عليها من وصالكمو حياً   يُساقطها بالرَّوْحِ والرَّغَدِ التَّمّ
خذوها إليكُمْ واصحبوني بظِلِّها   فغايةُ ما أرجو لها العيشَ في نُعْم
خذوني فما أسطيعُ بعدُ إقامةً   بمنتَزَحٍ في عُرفِه الغُرْمُ كالغُنْم
وتلك هي العشرونَ أكرمُ شاهدٍ   بما بذلْتُ مالي وما عرقتْ عظمي
جَنيتُ بها ماذا جنيتُ خلا العنا..   وإلاّ الضنى والحقدَ ضُمَّ إلى لُؤْمْ
خذوني إليكم أو هلُمّوا لغربةٍ   تعودُ بجمع الشّمل آهلةَ اللّمّ(٣)

****

* أرسلتُ هذه الأبيات إلى سيّدي الوالد ، في ساعة يأسٍ بعد وفاة ابنتي جمانة ـ بغداد : ١١/٤/١٣٦٣هـ ٤/٤/ ١٩٤٤م.

(١) المدة التي قضيتها في العراق إلى ذلك التاريخ.

(٢) أشير إلى ولدي علي حفظه الله.

(٣) كثيراً ما كان والدي يمنّي نفسه بالهجرة إلى العراق نهائياً.

مشهد من السماء*

حيِّ على أمِّ القُرى والشِّعابْ ... في رجَبٍ تَلْقَ المُنى والشَّبابْ
أشرفْ على الآفاقِ تَشهدْ بها ... جنائناً تفتَّحَتْ ألفَ بابْ
بُثَّتْ بها الحُورُ مثلَ الدُّمى ... ملءَ المَحاني.. كالأماني العِذابْ
وُزِّعْنَ في مَجلى الهنا كالسَّنا ... يَرشَحْنَ ثَمَّ بالرِّضا والرُّضابْ
فههنا سَربٌ وسَربٌ هنا ... هَتكْنَ عن وجوهِهنَّ الحِجابْ
زَغرَدْنَ كالأحلامِ غُبَّ الصِّبا ... شارَفْنَ تَلْعاتِ الهوى والرِّغابْ
يَطُفْن بالوُفّادِ في بسمةٍ ... أندى منَ الأسحارِ سِناً ونابْ
يَنشَطْنَ للتَّطواف مثلَ الضُّحى ... بالغِنْجِ إلاّ أنّه دونَ عابْ
براءةُ الأطفالِ لا شُبْهةٌ ... تجولُ في مراحِهِنَّ لا ارتِيابْ
يَدُرنَ بالشَّراب لكنْ سَنا ... جاماتُه ما لُوِّثَتْ في لُعابْ
منْ نبعةِ الفِردَوْسِ سلسالُهُ ... ما قطَّرتْهُ بابلٌ في عِيابْ
يَسرحنَ والولدانُ في سَرْحةٍ ... ما جَمَعَتْ إلاّ الهوى والشَّبابْ
نمَّ على وجودِها طيبُها ... وشُعلةٌ من نورِها في السَّحابْ
في ليلةٍ قدْ رفعتْ إثمَها ... إلى سِجِلٍّ خُصِّصوا للثَّوابْ
يُعطَّلُ الحسابُ فيها فلا ... تَرى بها مُعاقَبٌ أو عِقابْ
والحافظانِ استُدْعِيا للسَّما ... وثَمَّ عَبْدٌ حافلٌ بالصِّحابْ
ملائكٌ تجمَّعَتْ من مَدىً ... يُلغي على قَطْعِ مَداهُ الحِسابْ
فراقبُ الشَّمسِ لدى مَطلعٍ ... وحارسُ اللَّيلِ وموري الشِّهابْ
ومُمسِكُ الأرضِ على قرنِه ... يَحفظُها من زَلَّةِ الانقِلابْ

---

* نظمتها، في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام، وتلوتها في حفل أقامه السيد محمد هادي الصدر في الكاظمية. بغداد: ١٣ رجب ١٣٦٣هـ ـ ٥ تموز ١٩٤٤م.

وسـاجـدٌ أضـواه إيمـانُـه	وخوفُـه اللـه وقلبٌ أنـابْ
تجمَّـع الكُـلُّ فـلا خـارسٍ	يُريبُـه عـادٍ ولا مُسـترابْ

****

وليدُنـا اللَّيلـةَ تَمَّـتْ بـه	رسالـةٌ تُمـلى غـداً فـي كتـابْ
ألكـونُ فـي ليلتِنـا عُطلـةٌ	تجمَّعـتْ أنحـاؤهُ فـي رحـابْ
والجـوُّ فـي ليلتِنـا معهـدٌ	يمـوجُ مـن أملاكِـه فـي عُبـابْ
فصاعـدٌ للعـرْشِ يُلقـي خِطـابْ	ونـازلٌ لـلأرضِ يهـدي جَـوابْ
بشـائـرٌ تُـزَفُّ مـن ربِّهـا	تُلقـى عـلى (محمَّـدٍ) فـي خطـابْ
إنَّ الـذي مـن أجلـه أُجِّلَـتْ	رسـالـةٌ مـدى سـنين صعـابْ
تَـولَّـدَ اللَّيلـةَ فاهنـأْ بـه	والآنَ فاصـدَعْ بـالهُدى والصَّـوابْ

****

رأس الجسر*

كتكسُّـرِ الأمـواجِ فـو	قَ صخورِهـا آتٍ وراجـعْ
كالمـدِّ فـوق رمالِهـا	والجَـزْرُ تمتـدُّ المطامـعْ
فـخُّ الغُـزاةِ (خليجُهـا)	رَصَـدُ القراصنـةِ (الضَّفـادعْ)
مَـنْ عهـدِ (قرطاجنَّـةٍ)	مـن عهـد (موسـى) و(ابـنِ رافـعْ)
(بنـزرتُ) كـانـتْ مـن عقـا	بِ الجـوِّ أمْنـعَ للمُدافِـعْ

****

وتحـوَّلـتْ مَـرَّ الدُّهـو	رِ مـنَ الدِّفـاعِ إلـى المَغـار
جسـراً يُضفَّـرُ للجحـا	فـلِ عَبْـرَه إكليـلُ غـار
سلْهـا وسـلْ (صقلِّيَّـةً)...	حـقَّ الجـوار علـى الجـوار

* نظمتها عندما عبرت جحافل الحلفاء رأس الجسر من بنزرت إلى صقلية ثم إلى أوروبا . بغداد، ١٩٤٥م.

مَــنْ قـــدَّم الفِديـــاتِ لِلْــ أســرى ففُكَّــتْ مــن إســار؟
مــن حــولَ النصــر المبيـــــن هزيمـــةً طُليــتْ بقــار؟

****

قـــوْدُ الجحافــل فـــي الهـز ائــمِ مثلُــه فــي الإنتصــار
(أرنيـــمُ) يــا ســوءَ الطــوا لــعِ... أيْــنَ "رومِيـلُ" الطُّــواري؟
هــلْ قــادهـــا (أرنيـــمُ) أم كــانـــتْ لـــه بالانتظـــار؟
أمْ "مُنْتُغمْــري" صـــاغ منـــــــها أمرَهـــا صــوْغَ السِّــوار
صِــلُ الصَّحــاري المطــرقُ النَّـــــفَّــاثُ "سَــمَّاً" فـي الصَّحـاري

المــرأة*

أخيــالٌ أنــت يسمو فــي خيــالْ؟ أم مــنَ الـواقــع صُغنــاك مثــالْ ؟
وافترضْنــا فيــكِ إمكــانَ المُحــالْ فجمعْنـــا فيـــكِ أشتــاتَ الكمـــالْ
وارتجزنـــاك احتماســـاً فـــي قتَــالْ وارتجلنـــاكِ خطـابـــاً فـــي احتفـــالْ
أو بنيْنـــا لـــك فـــي حوْبائنـــا هيكـــلاً نتلـــو بـــه آيَ الجمـــالْ
ونصبنـــــاكِ علـــى أشـــرافه مشـــرقاتٍ بلآليـــكِ الغـــوالْ
وعبدْنـــا فيـــكِ أحـــلامَ الصِّبـــا تتـــراءى مـــن بعيـــدٍ كالظِّـــلالْ
وشهدنـــا فيـــك أطيـــافَ الرَّجـــا... تتخطَّـــانـــا مذاكيهـــا العجـــالْ(١)
وعـرفْنـــا فيــك أعـراس المنـى(٢) خاطـــراتٍ مــن هوانـــا فــي حجــالْ
وسمعنـــاك ســـؤالا فـــي الـــرُّؤى فابتكرنـــاكِ جـوابـــاً للسُّـــؤالْ
ورأينـــاك علـــى أجوائنـــا مشـــهداً يُوحـــي لنـــا أسـمى خيـالْ
ضـــمَّ فـــي أنحائـــه مـــن عبقـــرٍ عبقريـــاتٍ لهـــا بكـــرُ الجمـــالْ

* أصدرت مجلة "المعهد" التي تُصدرها المدرسة الجعفرية في صور ـ لبنان، عدداً خاصاً بالمرأة. كانت هذه القصيدة من مواضيعها. بغداد ١٨ جمادى الثانية ١٣٦٤هـ ـ ٢٩/٥/١٩٤٥م.
(١) المذاكي: جياد الخيل.
(٢) الحجال: (مفردها حجلة بفتحتين): غرفة تزيّن بها العروس.

يتخاطفن باناتِ الحجى ... أشهُباً تستنُّها بيضُ الليالْ
وبدا شيطانه فِي معشر ... من ذراريه قصار أو طوالْ
فرأينا يقظةَ أشباحُها ... كالسعالي تتنزّى في الدّغالْ
ويحارُ الفكرُ أيّاً يجتلي ... من أعاجيب المرائي أو يخالْ
بك خلْنا (بابلاً) في بُرجها ... فأرَتْنا السِّحْرَ في سعي الحبالْ
ورأينا في (طُوى) نور الهُدى ... كذُبال شعَّ ، أو شبه ذُبالْ
فاقتبسْنا لهوانا "قبسة" ... كانتِ القبسةُ ناراً في المآلْ
ورأيناك على الحقل ندىً ... زرَّر الحُبَّ ، وكالحُبِّ استحالْ
فنثرْناه على الدُّنيا منىً ... فهْوَ واليأسُ بقلْبيْنا سجالْ
ونشرْناهُ على آفاقنا ... في مجالي الشّمس، في طلْع الهلالْ
في حواشي الفجر ، في درْج الضُّحى ... في حنايا الكرم، في ضرع الدَّوالْ
وعلى الأسحار ما هبّتْ صَباً ... تتولاّه يَميناً أو شمالْ
فنما في غيْضةٍ أو روْضةٍ ... في وهادٍ أو سفوحٍ أو جبالْ
ونما في واحةٍ أضفى بها ... من ظلال البيد نخلٌ أو تلالْ
وإذا بالحُبِّ نبْتٌ يانعٌ ... غرسُ فِكْرٍ من خيالٍ وارتجالْ
منْ مديد القدِّ رخْصٌ عطفُهُ ... أينما مالَتْ به الأرواحُ مالْ
من شهيِّ المُجتلى والمُجتنى ... من زكيِّ الشَّمِّ منعاً أو نوالْ
من مُثير لمُطيفات الرُّؤى ... تتهدّى حائراتٍ في ضلالْ
وجمعْناك أزاهير الرُّبى ... وضفرناكِ أكاليلَ الجمالْ
وحصدناك من الحقل جنى ... واقتطفناكِ ثماراً في سلالْ
واعتصرنا منكِ صهباءَ الهوى ... واحتفظنا فيكِ أحقاباً طِوالْ
فسكبناك طلاً في أكؤسٍ ... من سناءٍ ... وشربنا منكِ آلْ
وتخيّلنا بكِ الريَّ وهلْ ... للحشى الحرّانِ ريٌّ من خيالْ؟

يا مرحبا*

فـــوزُ ابنتـــي يـــا مرحبـــا   اهـــــلاً بهـــا ومرحبـــا
أيـــا (علـــيٌّ) هـــذه   فـــوزٌ حبَـــتْ هيَّـــا الْعبَـــا
حبَـــتْ منَّـــا صفْـــوَ النَّـــدى   مَشَـــيْتَ يـــا طيـــبَ الصِّبَـــا
خـــذا فـــؤادي كُـــرَةً   إنْ شـــــئتُما أن تلعبـــــا

وســـــاعديَّ مضربـــــاً   إنْ شِـــــئتُما أن تَضربـــــا
ومتـــنَ ظهـــري مركبـــاً   إنْ شِـــــئتُما أن تَركبـــــا
ومـــن ضُلوعـــي مســـرباً   مـــا شـــــئتماها مَســـربا

****

أيـــا بُنـــيَّ يـــا علـــيٌّ   هـــذه تِـــرْبُ الصِّبَـــا
تِـــرْبُ الشـــبابِ والحيـــا   ةِ مـــا نـــأى أو قَرُبَـــا
شـــقيقةٌ مـــا أنجبـــا!   حبيبـــةٌ مـــا أطيبـــاً!
رقيقـــةٌ مـــا أعذبـــا!   رفيقـــةٌ مـــا أقربـــا!
فكـــنْ بهـــا وكـــنْ لهـــا   رفيقَهـــا المحبَّبـــا

****

أيـــا بُنـــيَّ وابنتـــي   ســـلِمتُما لـــي عقِبَـــا
وفقتمـــا مـــا عشـــتما   لكـــلِّ حـــقٍّ وجبـــا

****

رجـــوتُ ربِّـــي واهبـــاً   شـــكرتُه قـــد وَهبـــا
مجَّدتُـــه أنـــدى يـــداً   حمدتُـــه أوفـــى حَبَـــا

****

* وُلدت ابنتي فائزة في ٢٢ جمادى الثانية ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥/٦/٣م. ونظرت إليها بعدما حَبت ولي قربها أخيها علي يتخطّى في مشيته وهو أكبر منها بعام ونصف العام، ونظمت هذه القصيدة.

على ظهر باخرة*

مــا بيـنَ جامــحٍ صَبــوةٍ مِلحــاحِ ... يقتــادُني بالمُرغِـــمِ المُجتــاحِ
وكريــمِ عِــرْقٍ بالشّهامــة نــابضٍ ... للأصــلِ يَدفــع نـــزوتي بالـــرّاحِ
وقفَــتْ نـــوازعُ يافــعٍ وفتــوّةٌ ... يتنازعـــانِ علـــى قِيــادِ جِمــاحي
هــذا العبــابُ الغَمْـرُ ســاجٍ ضَمّـه ... رَحْــبُ الفضــاءِ بصَــدره المِنْــداحِ
قدْ وادعَ المَســرى فمــا تهتاجُــه الْـ ... أنــواءُ تنفـخُ فــي جُيــوبِ ريــاحِ
لكنْ عليــهِ حَنَــتْ صَبــاً هفّافــةٌ ... مسـحَتْ علــى أعطافِـــه بجَنــاحِ
تَفْلي أناملُهَـــا جُعـــودَ قَذالِـــه الْـ ... متـلاحقـــــاتِ بجيئـــــةٍ ورَواحِ
فغفـا علــى أحلامـــه وعليـــه مِــنْ ... ســحْرِ الطّبيعــة نَشــوةُ الإصبــاحِ
وإذا تنكّـــر غاضبـــاً فــي غــوره ... مـن مزعـجٍ فــي السّــاريات وقِــاحِ
لمـسَ النّــدى صفحاتِـــه بملطّــفٍ ... سَـمْحٍ فمـــرّ يُـــراضُ للمـــلاّحِ
سيـري بنـــا (فْـلوردا) لا تتعجّلــي ... فالبحـــرُ بَحــري والرِّيــاحُ ريــاحي
هــدأتْ بــه الأمــواجُ فهْــي مسامعٌ ... تُصغي لدَمــعٍ فــي العيــون فِصــاحِ
والرِّيــحُ مــا هبّــتْ فتلك رَسائلُ الْـ ... عُشّــاقِ هبّــتْ بالشّـــذا النّفّـــاحِ
مُدِّي علـى المســرى مَـدى أعمارنــا ... وتَخبّطـــي عشـــواً بـــلا مِصبــاحِ
قــولي لرُبّانيــكِ: حــوّلْ دفّـــةَ الْـــــمســرى لآفــاقٍ هنــاكَ فِســاحِ
وإلى الغمارِ السُّمْرِ من أعماقِه... ... إنّــي لأخشــى حَمْــأةَ الضّحضــاحِ
وجرَتْ لَيانــاً قــد يُهدهدُهـــا هــوى ... للشّـاطئيْـــنِ فتنثنـــي لبَـــراحِ
فزجرتُهـــا..وكمـــا أردْتُ تلاومَـــتْ ... وتهـــادَرتْ عُجْمـــاً بــلا إفصـــاحِ

---

* عام ١٩٣٨م. التقينا على ظهر باخرة عبر المحيط الأطلسي وتابع لقاؤنا سيرته في باخرة ثانية عبر الأبيض المتوسط إلى بيروت ، بعد استجمام أسبوع في إحدى جنائن العشاق من مدن فرنسا. وفي بيروت افترقنا، ثم التقينا فيها لحظات في عام ١٩٤٥م، كتبت بعدها هذه القصة تثبيتاً لتاريخ.. بغداد : رجب ١٣٦٤هـ/ حزيران ١٩٤٥م.

وتحوّلتْ تنسابُ فِي أبعاده … حتى توارَتْ في دُنى الأشباح
سادَ السُّكونُ فلن يعكّرَ صفوَنَا … إلاّ وشاوشُ من نَجا ورياح
قومي بنا للظُّهر نَخْلُ فنجتلي … مِن فوقه ظلَّ الدُّجى المُلتاح
فأراك في ديجوره شبحَ الرَّجا.. … إني لمحْتُ بمُقلتيْك صباحي
أتريْنَ من هذي العوالمِ ما أرى … أم أنّني في عالمِ الأرواح؟!
هذي هناءاتٌ وتلك مَفاتنٌ … طافتْ بها الأملاكُ في أقداح
برزَتْ على الشَّفقِ الملوَّنِ بالسَّنا … مُلتفَّةً من زَهوها بوشاح
وإليكِ فاستجلي عرائسَ واكبَتْ … منجاتَنا بكؤوسها والرَّاح
وهناك خلفَ الأُفقِ نُدوةُ سامرٍ … جمعَتْ أحاديثَ الهوى في ساح
وتجاوبَتْ أصداؤهَا في مَسمَعي … ضَحِكاتِ عُرْسٍ أو رنينَ نُواح
وعلى مَحار الموج سَرْحَةُ حالمٍ … خفقَتْ به أحلامُه بجناح
فرأى على الأُفْقِ البعيدِ غوانياً … كانَتْ مَجالي وحيِه اللمَّاح
أقرأتِ ؟ هذا البحرُ صفحةُ كاتبٍ … خُطَّتْ بأخبارٍ لهنَّ صحاح
أرني الهوى لم أدرِ بادرةَ الهوى … إلاّ أساطيراً على ألواح
وردي بيَ الأملَ المعسَّلَ باللّمى … فشريعتي طمْيٌّ منَ الأملاح
هذا الشّبابُ تفتّحتْ أكمامُه … فاستقبليه بطلِّك النضَّاحِ
أنا هنا في نجوةٍ ورقيبُنا … بحرٌ غفا سُكْراً فليس بصاحي
والنَّجْمُ خجلى لا تُراقب عينُها … قبلاتِ مُشتاقينَ غيرِ وقاح
أمَّا سنا القمرِ المطلّ فقلّصي … إشراقَه بجبينِكِ الوضّاحِ
ودعيه يُسرعُ للغمائمِ خطوَهُ … فالنَّقصُ يُظهِرُه الكمالُ الضَّاحي
أنا هنا في غُربةٍ ويضمُّنا … نَسَبٌ من الأنسابِ جدُّ صُراح
ومنَ القلوبِ على التباعد نسبةٌ … إسنادُها في الحبِّ جدُّ صِحاح
ضُمّي إلى نهديكِ رأسي ههنا … وطني وموعدُ ملتقى أفراحي
وهنا هنا أهلي وصفوُ عشيرتي … وهنا ملاعبُ صَبوتي ومراحي
فيضي حناناً أُنقِذْ بكِ جُذوةً … كالكأسِ شعشعَهَا مزاجُ الرَّاح
إني لأقرأ في لحاظِكِ صفحةً … للحُبِّ قد طُويَتْ على إيضاح
لمعتْ بها زُرْقُ العيونِ نقيَّةً … كسماء مَشرقِنا بيومِ صَاحِ

وحذار أن تُخفي بصدرك رغبةً — فهواي جُنَّ فلا يعي للأَّحي
أنا في الغرام جديدُ عهدٍ فاغنمي — عُنْفَ الغرام بقلبيَ الطمَّاح
وكبحتُ في نفسي غُرامَ صبابةٍ — تنزو إلى الرّغبات في إلحاحِ
فطويتُ أيّاماً أروِّضُ جامحي — حتَّى أطاع زمامُه للرّاحِ
ونجوْتُ والقلبُ المعنَّى غارقٌ — بالحُبِّ عُذريّاً نقيَّ صفاحِ

****

هاشمي الوداد*

أقبلَ الشّعبُ واستهلَّك باسمْ — بدرَ عيدٍ ما بين عيدَيْنِ قادمْ(١)
طِئْ على الرّحْب تربةً أنت منها — ديمةُ الخصبِ في السِّنين الجواهِمْ
وانزل المُلك رافداً أنت فيه — ثالثُ الرافدَيْنِ رأياً وصارمْ
واقتعدْ منه غابةً حلَّ فيها — مِنْ مُواليك ألفُ (عمرو) و (حاتمْ)
ينصبُ السَّيف في أعاديه حاكمْ — يُشبع الضيفَ من قراه مكارمْ
فاتَّخذْ منه قلبهُ لك قصراً — خالص الوُدِّ آهلا فيك دائمْ
هاشميُّ الوداد ما حرّقتْه — نَزعاتٌ من عهد جدِّك هاشمْ
أحدقتْ حولك الجماهيرُ قصراً — منْ أمانٍ وجنَّةٍ من مَراحمْ
فهْي حول الوصيِّ طافتْ ولاءً — يملأ الأفقَ قولُها: دُمتَ سالمْ
طأطأتْ رأسَها مهابةَ مجْدٍ — سلسلَ اللهُ عِزَّهُ للفواطمْ

---

* نظمتها عندما عاد وصي العرش العراقي الأمير عبد الإله من رحلته إلى أميركا وكان ذلك في ١٣ شوال ١٣٦٤هـ و ٢٠ أيلول ١٩٤٥م.

(١) كانت عودته بعد عيد الفطر وقبل الأضحى. ومن مفارقات هذا الدهر العجيب أنَّ هذا الأمير وهذا الشعب الذي أصفه بالولاء رأيتهما بأمّ عيني ساحلاً ومسحولاً . الشعب (الهاشمي الوداد) يسحل سيّداً هاشمياً بالخيل ثم يصلبه في شارع في جانب الكرخ أطلق عليه اسمه (شارع عبد الإله) على عمود كهرباء مقطعة أوصاله مشوهاً أبشع تشويه.

فلَّ عَضْـبُ الزمـان منهـا اصطبـاراً ... مُذْ هوى من عُـلاه نسرُ الهواشِمْ[1]
وبهـا البـأس طـاف حتـى أضـاءَتْ ... غـرَّةُ البـدر (فيصـلٌ) فـي الغمائـمْ
وإذا الأُنـسُ طبَّـقَ القُطـرَ بِشْـراً ... وإذا الفرخُ فـي ذُرى العـرش جـاثمْ
والعـراقُ الـوفـيُّ يـرعـاه قلبـاً ... والوصـيُّ الأميـنُ بالأمـر قـائـمْ
أمـلُ الشـعبِ باسـم (فيصـلٌ) روضٌ ... لاطفتْـه مِـنَ الحيـاة النسائـمْ
زرَّرَ الطَّـلُّ وردَه بحَبـابِ ... رشفتْهـا عنـادلٌ وبـواغِـمْ

****

محنـةُ الشـعب يـا أميـرُ تجلَّـتْ ... عنـك قطبـاً تجـولُ فيـه العزائمْ[2]
أيقظَـتْ فـي البـلاد حسّـاً ولكـنْ ... بـولاءٍ للتّـاجِ والعَـرش عـارمْ[3]
فانتخـى الشـعبُ نخـوةً فيـك يُزهـي ... عهـدَك الغـضَّ بالضِّيـا والشَّكائِـمْ
سرْ على اليُمنِ يا بـنَ طـه بشـعبٍ ... عـربيٌّ وَثْـبُ بـه للعَظائِـمْ
واسـتعدْ بالشـبابِ عهـدَ جـدودٍ ... طـوَّع الدهـرَ عزمُهُـمْ وَهْـوَ راغِمْ

****

رحلـةُ النَّسـر قـد رحلْـتَ وهـذي ... زُغْبُـكَ السُّـغْبُ ينتظـرْنَ الغنـائمْ[4]
زقَّهـا الجـوعُ في عصـورٍ تخلَّـتْ ... فاسـكُبِ الشَّـبْعَ فـي نفـوسِ الأكـارِمْ
تَلْـفَ منهـا أسـاوداً وأسـوداً ... هـي للتّـاجِ دولـةٌ ودعـائِـمْ
فالكريـمُ الكريـم فـي الشَّـبْعِ وافٍ ... واللئيـمُ اللئيم فـي الشَّبْعِ ناقِـمْ

****

غـدوةَ الريـح قـد غـدوْتَ فـراوِحْ ... بالصَّبـا الرَّوضَ واجْـلِ عنها السَّمائمْ
زَهْـوةَ الـورد قـد تـذاوتْ فوشِّـحْ ... بالنَّـدى الطَّلْقِ ثغرَ هـذي البراعِمْ

---

(١) يشير إلى مقتل الملك غازي وتنصيب ابنه الطفل فيصل ملكاً واختيار خاله الأمير عبد الإله وصيا على العرش.

(٢) يشير إلى ثورة رشيد عالي الكيلاني وخلعه الوصي.

(٣) هكذا كما يُظنُّ.

(٤) يشير إلى أكثرية الشعب المحرومة وخاصة منهم الشباب المثقف الذي لم يفسح لهم الحكام التقليديون المجال. من ذلك نمت بذرة النقمة التي تفاقمت فاستغلّها أهل الأغراض والمبادئ الوافدة فكان ما كان...

موطنُ اغترابي*

أخيَّتـــــــي ووشــــــيكٌ — يغيــبُ عنـــك عيـــاني
مـــاذا أقـــولُ لدهـــرٍ — بالاغتـــراب رمانـــــي
ووزَّع النَّفـــس حتَّــى — مآلهـــا مـــن كيـــاني
أنـــا الغريـــبُ بغـــابي — وبيـــن نبعـــي وزانـــي
وموطـــــني باغتـــرابي — .. وثَـــمَّ خمـــري وحـــاني
فهـــا هنـــا لـــيَ قلـــبٌ — ولـــي هنالـــك ثـــاني
وهـــا هنـــا لـــيَ أهـــلٌ — وثـــمَّ أهـــلي وشـــاني
وهـــا هنـــا لـــيَ مجـــدٌ — بنـــاه فـــي الدَّهـــرِ بـــاني
ولـــي هنالـــك ســـعيٌ — جعلتُـــه مـــن رِهـــاني
أطلقـــتُ فيـــه عنـــاني — ولســـتُ عنـــه بـــواني

****

أخيَّتـــــي... وفجيـــــعٌ — أنْ ينـأيـــا أخـــوانِ
لـــولا (عـــليٍّ) كـــلاه — بـــالأمن ربُّ الأمـــانِ(١)
تطامنـــتْ لـــي نفْـــسٌ — تـــرى السِّـــماكَ مكـــاني
وســـفَّ طـــامـــحُ رأسٍ — مجـالُـــه النيِّـــرانِ
لكـــنْ (عـــليٌّ) وحيـــدي — يقـــودُنـــي بالعِنـــانِ
يهيـــبُ بـــي فصـــداه — مُرجَّـــعٌ فـــي المحـــاني
فمـــا أخـــالُ حيـــاتي — بمـــا بهـــا مـــن لُبـــانِ
ومـــا أخـــالُ زمـــاني — بمـــا بـــه مـــن أمـــاني

---

* أرسلتها من بيروت إلى أخت لي في أواخر سنة ١٩٤٥م. قبيل مغادرتها إلى بغداد وكنت قد زرت أهلي في لبنان تلك السنة فحفزت هذه الزيارة فيَّ عواطف وحنيناً إلى العودة. ـ بيروت: محرم ١٣٦٥هـ / كانون الأول ١٩٤٥م.

(١) هو ولدي علي وكان حفظه الله وحيداً لا ذكر لي غيره.

تثيــر منـــي التفاتـــا إذا (علـــيٌّ) دعـــاني
سألـــتُ ربّـــي عطـــاءً فجـــاذَ حتّـــى كفـــاني
وهـــا (علـــيٌّ) أراه هنـــاي مـــلءَ الجنـــان
وبعـــدُ إنّـــي لأرجـــو أراه مـــلءَ الزّمـــان

****

أراه منـــي شبابـــاً يتيـــه بالعنفـــوان
أراه منـــي ابتكـــاراً يفـــوق بالإفتتـــان
أراه منـــي ازدهـــاراً يـــروع بالإفتتـــان
إذا تـراخـــى مشـــدّي وجـــفَّ عـــود الأغـــاني

****

أراه غصنـــاً نديّـــاً تـــزدان فيـــه المغـــاني
أراه فـــي الدســـت ليثـــاً وصـارمـــاً هنـــدواني
وأريحيّـــاً فتيّـــاً يحـــاط بالفتيـــانِ
وســـيّداً عبقريّـــاً تهـــدى إليـــه التهـــاني
مـرشـــحاً للمعـــالي موشـــحاً بالأمـــاني
مســـوّداً باعتـــدادِ عـــن خبـــرةٍ وامتحـــان
يفيـــض للعلـــم منـــه وللعـــلى رافـــدانِ
لـــه القلـــوب مهـــادٌ لـــه العيـــون رواني

****

أخيّـــتي وإخـــانـــي وصـدقـــه شاهـــدانِ
إنّـــي أراك بقلبـــي ينبـــوعَ هـــذا الحنـــان
وصفحـــةٌ مـــن سمـــوٍّ خُطّـــتْ بغيـــر بنـــانِ
قدسيّـــةٌ دفّتاهـــا مـــن الشـــغافِ المصـــانِ
مرقومـــةٌ بحـــروفِ مـــن غـــير هـــذي المبـــاني
مقـــروءةٌ بوضـــوحِ مـــن غيـــر لـــيِّ اللســـانِ

أمــــا البيــــانُ فبــــدْعٌ | يُــــزري بكــــلّ بيــــان
ســـمحٌ عرفْـــتُ لغــــاه | فـــي الســـبعِ آي المثـــاني

****

أخيّتَـــي لـــك إســـمٌ | إذا ذكـــرتُ زهـــاني
يجـــول فكـــري بأُفْـــقٍ | منـــه بعيـــدِ العنـــان
يوحـــي إلـــيَّ الغـــوالي | مـــن المعـــاني الحســـانِ
كأنهـــــنّ الغــــواني | تُـــزفُّ فـــي مهرجـــانِ

****

أُخيّتـــي مَـــنْ نمـــاك | بـــالعطف قبـــلُ نمـــاني
فـــإن ســـبقتُ فـــإني | جريـــتُ فـــي ميـــداني
وإن ســـبقت فأنـــت | كريمـــةٌ فـــي رهـــانِ

****

ثمـــالات*

أقبـــلْ علينـــا مثـــل إقـــ | بالِ الربيعْ على الحقـــولْ
واخلـــعْ علينـــا بـــرده الضُّـــا | فـــي المنمنـــمِ ذا الفضـــولْ
أنعـــم علينـــا مثـــل أنفـــاس الســـحرْ | عـــذوبـــةً ومثـــلَ أكمـــام الزهـــرْ
نضـــارةً ومثـــل غـــرّةَ القمـــرْ | إشـــراقـــةً فـــي أربـــعٍ بعـــدَ عشـــرْ
واشـــرفْ علينـــا بالمنـــى | ذاتِ الخلاخـــلِ والحجـــولْ

****

إنّـــا أنـــاسٌ قـــد عركنـــا الدهـــرَ | والدهـــرُ مَغـــارْ
وكـــلا طعميْـــه ذُقنـــا | بانكســـارٍ وانتصـــارْ
لـــم يفـــلَّ العـــزمُ منّـــا بانغـــلابْ | مثلمـــا لـــم يُزهنـــا النصـــرُ المُهـــابْ

---

* بغداد: في ١٦ رجب ١٣٦٥هـ/ ١٦/٦/١٩٤٦م.

قـد عرفنـا الكـبرَ فـي سـنٍّ ونـابْ وأشـحنا عـنْ عـريٍ فـي ثيابْ
طـاو علـى ذكـر غفـا بيـن التمنـي والخمـول

****

إنّـا أنـاسٌ إن يجرْ دهرٌ علينـا نبتسـمْ وإنْ أقامَ عائقـاً فيمـا قصدنـا نقتحمْ
سجيَّـةٌ بـالإرث عـن أوائـلِ سـخيَّـةٌ أكفُّهـا للسَّائـلِ
رحيبـةٌ ديارُهـا للنّـازلِ تعمـره مـن جودهـا بالنائـلِ
والفـرعُ إن يُنجـبْ ففـي الفـرعِ مـنَ الأصـلِ أصـول

****

إنّا أناسٌ غاضَ منّا ماء ريعـانِ الشبابْ وأقلعتْ أيّامُنـا المـلأى بآمالٍ عذابْ
وأقبـلَ الشـيبُ يتلـوه الهـرمْ مبكّـراً ولـمْ تـزلْ فينـا همـمْ
حرّاتـةٌ لمـورد اللهـو الشَّبـمْ تُـذكي النفـوسَ بالمنـى وبالألـمْ
والمـاءُ إنْ جـفَّ عـنِ الـروضِ فعقبـاهُ الذُّبـول
أقبـلْ علينـا بالكـؤوسِ نرتشـفْ نهـلاً وعـلَ
وابعـثْ بنـا سـرَّ الحيـاةِ نكتشـفْ سـرَّ الأمـلْ
فنشـهدُ الدنيـا تجلّـتْ فـي إهـابْ منضـراً زرّره الطـلُّ المُـذابْ
معتصـراً مـن الزهـورِ والسـحابْ هنيَّ عيـشٍ مـنْ طعـامٍ أو شرابْ
محتشـدَ الظـلِّ بأطـيـافٍ مـنَ النُّعمـى شـكُول

****

أقبلْ علينا بالأمـاني والنعيمِ المنتظَرْ هذي اللذاذاتُ..فهاتِ الشّعرَ أوهاتِ الوترْ
أُسمعكَ من لحنـي ومن فنـي عجَـبْ مـا يُعجـزُ الأوتـارَ أو يُعـيي القصَبْ
لحنـاً كمـا دبَّ الرحيـقُ بالعَصَـبْ يَهيـبُ بالشـيخِ لحانـاتِ الطـربْ
غريـاً... كمـا يقضـي التصـابـي والأغـانـي والشـمول

****

هـذي اللـذاذاتُ... وهـذا سـامرُ الحـيِّ انعقَـدْ
قـمْ للكـؤوسِ فصفُّهـنْ علـى الخـوانِ بـلا عَـددْ

وادعُ "ابنَ هاني وابنَ ضحّاك" الخليعْ		للشُرب أمّا للغواني فـ "الصريعْ"
وللغِنا فانتخبِ اللحْنَ البديعْ		منَ الجديد اللّذْ لا ممّا أذيعْ
وحبّ قلبي إنْ يقلّ النقلْ... هاكمو نُقولْ

****

قمْ نملأ الليلَ المنوّ		رَ مغربيّه بالقمرْ
رقصاً نؤاتيه على		جري الحُميّا والوترْ
خصرٌ عليه ساعدٌ يطوّقُ		وناهدٌ يَسندُ قلباً يَخفقُ
وعُنقٌ مالَ عليه عُنقُ		بمثلِه... فكلُّ عُضوٍ يلصقُ
في ظلّ نورٍ غضّ		طرفاً في مجالينا خَجولْ

****

وادي الأحلام*

يا واديَ الأحلامِ.. يالكَ وادي		أنعمْتَ بالأنغامِ والإنشادِ
فعلى رُباك الخضرِ صوتُ سواجعٍ		أصداؤها في السفحِ رجعُ شوادي
إنّي عهدتُكَ في الحواضرِ نفحةً		تُحيي وفي الأريافِ نغمةَ حادي
والأمسياتُ نعمنَ منك بنغْبةٍ		تَروي لدى الغدَواتِ غُلّةَ صادي
يا جنّةَ الفلّاحِ يَكدحُ يومَه		والكدحُ معْ غدِه على ميعادِ
أوما يَزال الحقلُ يرزحُ بالعنا...		وبه الصبايا بَعْثُ كلّ جهادِ
يصدرنَ بالماءِ المبرّدِ للحشى		ويعُدْنَ ما بعد الضحى بالزادِ
عهدي بضيعتنا استقلّتْ في الذرى		ولها أخيّاتٌ نِثارُ قِلادِ
هاتيك في الوادي وتلك بسفحه		يا حسنها في السّفحِ أو في الوادي
تغفو بظلّ الحَور في رأد الضحى		والجهد للحطّابِ والحصّادِ
وسفوحُها في الجانبين تفيّأتْ		بالكرم متّكِئاً على الأعضادِ

* بغداد: حزيران ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م.

بعناقـدِ فيهـا البيـاضُ مشـرَبٌ   فـي حُمـرة أو حمـرة بسـواد
أوما تـزالُ من الدُّروب على الجنى   تـؤتي الجنـى بالكاهـل المنئـاد

****

والعيـنُ عند ثنيَّـة الـوادي عشـا...   أومـا تـزالُ تعـجُّ بالـورّاد
وطريقُهـا أومـا تـزالُ شراكُـه   منصوبـةً للصائـد المصطـاد
والتيـنُ والخيماتُ فـي سرِّ الدجـى   أولـم يـزالا جنـةَ الميعـاد
مثـلَ الحبـاب يـدبُّ فيها عاشـقٌ   ويـذوبُ فـي بحـر الوصال الهادي
يـا مهـدَ أحلامي وهـل لـيَ كـرَّةٌ   لفتـوَّةٍ وغوايـةٍ وعنـاد
فأعـودُ أنشـأ مـن جديـدٍ يافعـاً   وأقـودُ فتيـانَ الحمـى بقيـاد
وأمتِّـع اللَّـذاتِ منـك بنائـلٍ   عـزَّتْ علـى الأيَّـام بيض أيادي
بمبـاذل الصبوات فـي خلواتهـا   في "الفصـحِ" و "الفطريـن" و"الميلاد"
أُمسي مـن اللَّـذاتِ أروى صـادرٍ   وأعـود أصبـح فـي فـؤادٍ صادي
لا المُسلماتُ وقـد تزمَّلْـنَ التقـى   بالنَّافـراتِ وهـنَّ إلـفُ قيـاد
لا العيسَـويَّاتُ السَّـوارحُ كالمهـا   بالمانعـاتِ الحـبَّ عـن مُرتـاد

****

الوصيـة*

ميـدي تهامـةُ بالمجـادةِ ميـدي   واستقبلِـي الصبـحَ الأغـرَّ بعيـد
وتكلَّلـي بالغـار إنَّ نهـارك الْـ   ـمشهودِ هـلَّ بموكـبٍ محشـود
رفَّـتْ عليـه بنـودُه في خنقـةٍ   لـم تَحتفـلْ مـن قبلـه ببنـود
واستعلـن الحـقُّ المُبيـن بشـاهـدٍ   مـن لبِّـه فـي الموقـف المشهـود

****

ألبيـدُ تلهـثُ بالظَّمـا والركـبُ قـدْ   جدَّ السُّرى بيـن الظمـا والبيـد

* في ذكرى يوم الغدير المبارك. بغداد في ١٩٤٧/٢/٢٤م - ١٣٦٦هـ.

والشمس تُلهبُ في الحرار(١) جهنّماً	وتمدُّها في سعرةٍ ووقود
ألصيف مدَّ على البسيطة ظلَّه	فالناس مكدودٌ إلى مشدود(٢)
ميل العمائم هزّهم عَنَقُ السُّرى	للجانبيْن برَقْلِه ووخيد(٣)
متحاملينَ على المسير يقودُهم	داعي الحنينِ لموطنٍ مولود
حجُّوا الفريضةَ واستقلُّوا ركبَهم	هيماً تهاوتْ من ظمأ لورود(٤)
آلوْا على أن لا تُراعَ نجائب الرَّ	كْبِ المغذِّ مقودةٌ لمقود
حتى يُناطَ قيادُها في مربطٍ	متحشِّدٍ بالضامراتِ القُود
في موطنٍ رُفعتْ مضاربُه على	ما قدْ غلا من مُتعةٍ أو جود

****

ويُهيبُ بالركب المجدّ مؤذّنٌ	(لغديرخُمٍّ)(٥) يا ركائبُ عودي
وإذا الفدافدُ بالحجيج تراجعتْ	حشداً تَتالعَ دهشةً بالجيد
وعلى الشّفاه تساؤلٌ نطقتْ به النّظراتُ بالتصويبِ والتصعيد
وإذا (بأحداج الركائبِ) منبرٌ	يسمو على التعظيمِ والتمجيدِ(٦)
وإذا (رسولُ اللّه) يتلو (آيةَ التبليغِ) وعْداً أُشفعتْ بوعيد
(بلِّغْ) ولايةَ حيدرٍ فرسالةٌ	من دونها بيتٌ بغيرِ عمودِ
كانتْ على الأحداجِ خاتمةُ السُّرى	فأنخْ ركابَكَ ثَمَّ غيرَ بَعيدِ
(حَدَجُ البعيرِ) وعنه نائرةُ الهُدى	شعَّتْ بيومٍ في الحياةِ جديدِ

---

(١) الحرار جمع حرَّة: وهي الأرض ذات الحجارة السوداء. وقرب المدينة حرة ذات شهرة تاريخية.

(٢) المكدود: المتعب ـ المشدود: القوي.

(٣) الرقل: نوع من السير، والوخد: السير السريع ، عنق: كذلك السير السريع.

(٤) استقلوا : ركبوا ارتفعوا ، هيما : في أشد العطش.

(٥) غديرخم : الموضع الذي خطب فيه النبي في حجة الوداع ونص على ولاية عهده لابن عمه علي (عليه السلام).

(٦) صنع للنبي منبر من أحداج البعير خطب عليه في ذلك الموضع المنقطع.

وتشعَّبتْ منه مسالكُ ضُلِّلتْ أعلامُها وتشابَهتْ بحدودِ
عينُ البصيرِ تميزُها وعدتْكَ من عينِ البصيرِ غشاوةُ الحُسُودِ
فاسلكْ لها عشواءَ فوق منوَّرٍ طلقٍ تحرَّرَ من عمى التقليدِ

****

هذا رسولُ اللهِ في ملكوتهِ مزمَّلٌ من نورهِ ببرودِ
جمعَ القرونَ: جمالَها وجلالَها صفّاً فصفّاً قادةً لجنودِ
وتخبَّتْ أممٌ تمايزَ بعضُها عن بعضهِ من سيِّدٍ ومسودِ
فاستعرضتْ (أذواءَ حِميَرَ) هزَّها خُيلاؤها بالتَّاجِ والإقليدِ
وأتتْ (كُليباً) في حِماه مجندلاً و (مهلهلاً) في العِثْيَرِ المعقودِ
ووراءه من (تغلبَ ابنةِ وائلٍ) طلّابُ أحقادٍ بغيرِ حدودِ
واستعرضتْ (ماءَ السماءِ) وما (أبو قابوسَ) منه سوى الندى المنضودِ
ضُربتْ (سُرادقُه) وحلَّ بصدرِها ملكٌ وندمانٌ ولُمَّةُ غيدِ
ويهزُّ شعرٌ لـ(المُنخّلِ) مدْحةٌ أو شعر (أعشى وائلٍ) و (لبيدِ)
وعلى(الخورنقِ) و(السديرِ) مهابةُ الـ ملكِ المطاعِ وخفَّةُ العربيدِ
واستعرضتْ(غسّانَ) في جنّاتِها: (رغدانُ) يُزهيها وبذلُ الجودِ
وأمامَها (حسّانُ) في نعمائهِ مرحٌ يُقارضُ فنَّها بقصيدِ
واستعرضتْ من قبلُ (أفلاطونَها) بين الشرائعِ أُشرعتْ لورودِ
واستعرضتْ(أرسطو) بين فلاسفِ الْـ فكرِ القديمِ مؤهَّلاً بجديدِ
واستعرضتْ من بعدُ كلَّ مؤهَّلٍ في عُدَّةٍ من نفسهِ وعديدِ
الأقربين مودَّةً وصحابةً ألطالعين على الدُّنى بسعودِ
ألراجحين موازناً ألأرفعين أماكناً ألمتلعين بجيدِ
ألطيِّبين موالداً ألطاهرين محامداً ألمنعمين بجودِ
عرفتْهمو أمُّ القرى أو يثربٌ صيداً جحاجحةً وآيةَ صيدِ
هذي المفاخرُ من شهودِ (محمَّدٍ) من بين ألفِ مفاخرٍ وشهودِ
شهدتْ (عليّاً) وهْوَ دون نبيِّهِ ويمينُه في كفِّه الممدودِ

ووعتْــه يتلــو (نصَّـــه) بوضوحِـه ... مـن غيــر تَقييـــدٍ ولا تعقيـــد:
"مَـنْ كنتُ مـولاه فـذا مولـىً لـه ... واشــهدْ إلهـي أنـت خيـرُ شـهيـدِ
هـــذا وليُّكمـــو وشـاهـــدُ غيبـتي ... وخليفتـــي فوجـــوده كوجـــودي
وسُـلالتي مـــا أنْ عدمــتُ سُلالـةً ... والطِّيـبُ دلَّ عليـه نشـرُ العـود
وتركتُـــه عــدل الكتــاب لديكمــو ... بـولائِـــه وبعهـــدِه المعهـــود
بعمومـه وخصوصـه وبناســخ الْـ ... أحكــامِ والإطـــلاقِ والتقييـــد
حبـلُ الإلـه همـا ففـي يـد قُدْسِـــه ... طَـرفٌ وآخـرُ منكمــو بالجيـــد
فاستمسكوا بهمـــا ولاتَ ضـلالـــةً ... مــا ضـلَّ ممسكُ حبلِـه الممــدودِ"
ويُذيعُـــه فــي الغائبيــنَ شــهودُه ... مــن عـــادلٍ ثَبْــتٍ ومــن مَــردود
وإذا الخلائـــقُ كلُّهـــا: ذاتُ هُـــدىً ... راوٍ لآخـــرَ ســامـــعٍ ومعيـــد
وأبٌ يُــــردِّدُه بـــأُذنِ وليـــده ... ووليـــدُه يَحكيـــه للمولـــودِ
ومـؤرِّخٌ يَـرويــه أمـــراً واقعـــاً ... ســيَّانِ بيـن مُشـايـعٍ وجَحــود

****

عقــدَ (الولايـــةَ) للوصـيِّ (محمَّـدٌ) ... دونَ (القريــب) ودونَ كـــلِّ بعيـدِ
لفضائـلٍ هــي منـه فـي أملـودِه ... منـــذُ الطفولـــةِ نبعـــةُ الأملـود
نهضَـــتْ بـــه كمثقَّـفٍ لا ينثنـــي ... إلاَّ لمجـــدٍ أو لبـــذلِ الجـــودِ
حتـى اسـتوَتْ فوقَ الكمالِ بحالـقٍ ... يَعيا المحلِّـقُ فيـه عــن تَصعيـد

****

عرفــوا بـه (الصِّنْوَ) الـذي أمجـادُه ... طـــارَتْ لآفـــاقٍ بغيــر حـــدود
عرفـــوا بـــه منــذُ الطفولـــةِ سـيِّداً ... ذا مِـــرَّةٍ يَســـمو علـى التعقيـــدِ
سـهلاً تمنطــقَ فـــوق صلـبِ إرادةٍ ... صمَّـــاءَ قـد قُـــدَّتْ مــن الجُلمـودِ
عرفوا بـه معنـى الرجولـةِ من فتـىً ... يَمضي بعـزمٍ فـي الزحـوفِ عنيـدِ
ليقَــرَّ أمــرُ (محمَّـدٍ) بنصابـه الْـــــــــمطروحِ بيــنَ أســاودٍ وأســود

****

عرفوا بـه نُكْر الوقيعـةِ فـي رضـا   باريــه تحـتَ العِثْيـــرِ المعفـورِ
عرفــوا بـه الحصنَ الذي فيه غنــا   ءُ (خنـادقٍ) عـن (يـثربٍ) وسُـدورِ
فسنـانُـــه وجَنـانُـــه ولسانُـــه   أجـدى حِمــىً مــن عُـدَّةٍ وعديـدِ

****

عرفـوا بـه الفرجَ القريب بزحمـة الغَـــمَّاءِ بيــن لظــىً وبيــن حديـدِ
عرفـوه نصــراً إنِ تَطايــرَ هـاربــاً   جيــشٌ وكــــرَّ بفلّـــه المكـدورِ
عرفــوا بـــه الفـخَّ المبيـنَ إذا انحنـى   ســيفٌ بكـفِّ الفــارسِ المعـدودِ
وتهلّلــتْ أو هلهلَـتْ أخـتُ الـوغــى   لشــروقــه مــن أخــدعٍ ووريـــدِ

****

عرفــوا بـه عـدلَ الحكومـة مـا التقى   عنـــدَ القضـــا مستـضعفٌ بشـديدِ
وثَقيـــل وطـأتِــه علـى متجبِّـــرٍ   بـركَـــتْ كـلاكـلُه علــى مخضـودِ
عرفـــوا بــه لجيَّ علـــمٍ جَـــزْرُهُ   مــــدٌّ يَفيـضُ بسائـــغٍ وبَـــرودِ
شـربَتْـــه حبَّــاتُ القلـوبِ فآمنــتْ   أنَّ الـرَّواءَ بكـأسِــــــه المـــورودِ
ورأتْـــه واحــدَ دهـــره وبنهجـــه   (نهـجُ البلاغــة) آيـــةُ التـوحيـدِ
وإذا بـــه ملقــى سـبيلِ فضـائـــلٍ   شــتّى حُمـاداهـــا التقـــتْ بحميـدِ

****

إنْ ينكـروك (أبـا الحسـين) فطالمـــا   عرفـوا عُـلاكَ وهـم حصــىً بصعيدِ
وأُميَّـــةٌ... فمتـى أميَّـــةُ سالمَـــتْ   وتطامنَــتْ لأخيــكَ والتوحيـــدِ؟!
إلاّ مخـافــة صــارمٍ أخنــى علــى   ســاداتهـــا مــن (عُتبـةٍ) و (وليـدِ)
لهـمو المعــاذرُ فالدمــــاءُ طريّـــةٌ   وقلوبُهـم قـــد غُلِّفَــتْ بحقُــودِ
أمّـا همــو فجدودُهــم عثـرَتْ بهـم   تعسـاً لهـــا مــن عاثـرات جُـدودِ
ونجوْتَ أنــت ومــلءُ بُرديْـك العُلا   بالخـــالديْن: الـذكـــرِ والتمجيـدِ

****

الثورة الكبرى*

عبْر الصَحارى المرملات مغارُ ... للجاهليّة قوَضي يا دارُ
زحْفٌ من الدَهماء أنكر عقلة ... يعشو به نحوَ المهالكِ ثارُ
بعواطف رعناء ثار عنانها ... ولها " الجزيرة " رحبُها مضمارُ
لا وازعٌ منها يُروّضُ عارماً ... أو مُنكرٌ فيكفُّها استنكارُ
ولربما هام امرؤٌ بإغارة ... لا ثارَ حافزُه بل استيثارُ
فيشنُّ حرباً العُفاةُ وَقودُها ... وله السلامةُ والغنى والغارُ

****

بينا " ربيعةُ " في أمانٍ حولها ... أخواتُها ممَنْ نماه " نزارُ "
وإذا " قضاعةُ " في صباحٍ غادرٍ ... يقتادُ فضلَ زمامها غدّارُ
ويُقامُ عرضٌ للمكاره رائعٌ ... فيه نصالٌ أرهفتْ وشِفارُ
وإذا الدِّماءُ مُراقةٌ ولأجلها ... سَيسيلُ في غدِها دمٌ مَوّارُ
وإذا الحمى قد صيح في حُجراتِه ... هتْكاً... فلا حرمٌ عليه ستارُ
وإذا الدِّيارُ مُباحةٌ ذا مالُها ... لا الدّارُ مانعةٌ ولا الدَّيّارُ
وإذا الغنائمُ إذ تُقصّي عدُّها: ... إبلٌ وشاءٌ أعجفٌ وخُوارُ
وسبيّةٌ سيقتْ وبعضُ خلاخلٍ ... نُهبتْ وقرطٌ فضّةٌ وسِوارُ
وتوافهٌ أخرى... أغُنْمٌ أم ترى ... غُرْمٌ ؟ وفخرٌ هذه أم عارُ ؟
هذي الغنائمُ قد تُساقُ لشهوةٍ ... حمراء جارَ مُثيرُها الأمّارُ
ولطالما سيقتْ لمسغبةٍ دعتْ ... أنصارَها فأجابها الأنصارُ

****

والثار للعربيّ أعنفُ حافزٍ ... ودمٌ سوى دمه الزكيّ جُبارُ
هذي حياةُ الجاهليّةِ شرعةٌ ... سُنّتْ ونفّذها دمٌ فوّارُ
ثارٌ لطالبه وغارةُ مُعتدٍ ... جانٍ وكرٌّ عاصفٌ وفرارُ

---

* في ذكرى الميلاد النبوي ـ بغداد: ١٢/٣/١٣٦٦هـ ـ ٦/٢/١٩٤٧م.

مـا للسَّلامــةِ مـن ضَمـانِ ثـوْرِي يـا نـاقُ لا يُمهلْـك بعـدُ سِـفارُ
لا تلبثـي سـاعـاً فـرُبَّ تلبُّـثٍ أنجـى وإن جـرفَ الحمـى تيَّـارُ
وتوقَّلـي نشْـزاً يقيـكِ غِمـارَهُ إمّـا تـدافـعَ للشُّـرورِ غِمـارُ
إنـي لألمـحُ مـن بعيـدٍ بارقـاً يُـومي فينجفـلُ الدُّجـى الجـرَّارُ
وإذا بأوديـةِ الحجـازِ مَشاعـلٌ تهـدي وبطحـاءُ الحجـازِ منـارُ
وإذا بأقطـارِ العروبـةِ هالـةٌ وشِـعابُ مكّـةَ كلُّهـا أقمـارُ

****

أرأيـتَ كيـفَ النُّـورُ يُغـري بـالدُّجى فلذاتـه فتعقُّـه الأسـحارُ
تُفـري مناحـرهُ بـوارقُ أرهفـتْ خلـفَ الحِجـابِ شِفارَهـا الأنـوارُ
لتُقـرِّبَ الصُّبْـحَ الوشـيكَ طلوعُـهُ فيعـمُّ كـلَّ الكائنـاتِ نهـارُ

****

والوعـي إن نزعـتْ أنامـلُ نـورهِ غُلـفَ القلـوبِ فعمَّهـا استبصـارُ
ثـارتْ فمـا تُبقـي عمـىً لجهالـةٍ مـا عاقهـا حُصْـنٌ ولا أسـوارُ
وإذا بـآبـاءِ الجهالـةِ صُـرَّعٌ والصَّارعـونَ بنوهمـو الأحـرارُ

****

والثَّـورةُ الكبـرى ولادُ (محمَّـدٍ) وضـعٌ هَشـيمٌ وَهْـوَ فيـه نـارُ
حمـمٌ تقاذفهـا فزلـزل " قيصـرٌ" ومكيـنُ مُلْـكٍ تحتَـهُ وقـرارُ
وتهالكـتْ للتُّـرْبِ عـزَّةُ قاهـرٍ جَنِـفٍ ولكـنْ بـزَّهُ قهَّـارُ

****

كـانـتْ لكسـرى سَـطوةٌ جبَّـارةٌ يـزهـو بهـا فـي دَسْـتِه جبَّـارُ
فـأذلَّ جبهتَـهُ وفـلَّ شباتَـهُ عَضْـبٌ إذا حُـمَّ الوغـى بتَّـارُ
عـدلٌ إذا انتصـبَ القضـاءُ وراحـمٌ إنْ لـجَّ يومـاً بالضَّعيـفِ عِثـارُ

****

"إيـوانُ كسـرى" شـامـخٌ لسُـمـوِّهِ ينحـطُّ عنـهُ الكوكـبُ السَّيَّارُ
وإذا بهـذا المشـمخرِّ ومجـدِهِ لـلـولادةِ فـي مكَّـةٍ ينهـارُ
هـي ثـورةُ الإعجـازِ فـي دنيـا هـوىً عصفـتْ بهـا مـن قُطرِها إعصارُ

هي قبْـــةُ الحـــقِّ المشــعُ بواحَــةٍ ظلمـــاءَ فيهـــا للخنـــى أوكـــارُ
ونذيــرُ كَــونٍ صيــحَ فــي أرجائِــه: قـــد جـــاءَهُ هدَّامُـــه العمَّـــارُ

****

عملَـتْ معاولُـــهُ فســـوَّىْ سَـمْكَها بالتُّــرْبِ وانداحَــتْ لــه الأمصـارُ
وخــلال عشْــرٍ مــن ســنيِّ حياتِـــهِ قصُـرَتْ بطــول صَلاحِهـا الأعمـارُ
بسـطَ السـلامُ جناحَـــهُ وتناجيـا نجـوى حميـمٍ أجـدلٌ وهـــزارُ
وتكفَّـأتْ أحواضُــــه بجَنــى الهُـدى فتدافعَــتْ أمـــمٌ لهـــا تَشْـتـارُ
واسـتوطنَتْ رغَـداً فمـــا مــن جَـائعٍ أو خـائـفٍ ولـــه القِــرى والجَــارُ
وجــرَتْ عــلى آثــارهِ هذي الدُّنـى فيمـــا حَـوتْـــه وتلكـــمُ الآثــــارُ
مـا في المدينـةِ مـن نِظـامٍ صـالحٍ أخـذتْ بـــه إلاَّ ومنـــه مُعـــارُ

****

واسط في التاريخ*

صـرحٌ علـــى "الغـرَّافِ" أم أمجـادُ و "الحــيُّ" هـــذا الريـــفُ أم بغـــدادُ
أم " واسـطٌ " عــادتْ وذي أعلامُهـــا رفَّـــتْ وهـــذا مـــا بنـــى الأجـــدادُ

****

مرَّتْ بـ" واسـط " للزمـان مواكـبٌ طـــوراً مـــآتمُ تـــارةً.. أعيـــادُ
صهلَـتْ بسـاحتها الخيـولُ فمصبـحٌ مُمـسٍ وروائــدُه هُـــدىً وجهـــادُ
ويعــودُ يســتاقُ الملــوكَ غنائمــاً وعليـــه مـــن أســلافهم أبـــرادُ
كـم رايــةً للنصـر هــزَّ قوامَهـــا جَلـدٌ لــه عنــد الزحــوف عنــادُ
زبـرَ الحديـدَ عليـه جـأشٌ مُرابـطٌ ولــه العزائـمُ فــي الوغــى أجنــادُ

* بنى أحد شيوخ العشائر - الشيخ بلاسم الياسين - في مدينته، مدينة " الحي " منطقة الغرَّاف - واسط - مدرسة ثانوية كانت المدينة بأمسّ الحاجة إليها وكانت مبادرة لم يألفها شيوخ العشائر في ذلك الوقت. وقد لقيت المبادرة استحساناً وتكريماً عُبِّرَ عنه بأكثر من احتفال. وقد ألقيتُ هذه القصيدة في أحد الاحتفالات - بغداد: ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

يقتـاد ألفـاً مثـل " عنـترةٍ " لـه ... ألـف كشـدّاد أبٌ شـدّاذ
ومـن الحرائـر لا "زبيبـةُ" أمُّـه ... أمُّ الفـوارس زينـبٌ وسـعاذ

****

ومن الغزاة حصونُها كم شاهدتْ ... للخيـل كوكبـةً لهـا إمـداذ
رُدَّت على الأعقاب أو سالتْ على ... بطحائهـا بحـراً لـه إزبـاذ
ورأتْ من " الزنجيَّ " ما تعيا به ... وصفـاً يراعـةُ كـاتبٍ ومـداذ
نزلـتْ بـه بعـدَ " المـزار" مصائبٌ ... مـا لـم تـذقْ أمثـالَهنَّ بـلاذ
فمُروِّعـاً خفراتِهـا ومجنـدلاً ... سـرواتِها ومخرِّبـاً مـا شـادوا

****

ونمـتْ وأمـرع بعـد ذاك مَراحُهـا ... حتـى أتاهـا المنجـلُ الحصّـاذ
وقسا الزمانُ بها إذا هي بالعرا.. ... لا مـاءَ يَـروي غلّـةً لا زاذ
وغياضُهـا جفّـتْ نضارتُهـا فـلا ... طـيرٌ يناغيهـا ولا إنشـاذ
وجنائنٌ في الضفّتيْن تصاوحتْ ... لا الغيـدُ تُزهيهـا ولا الأوراذ
فكأنّهـا لا الخصـبُ نبـتُ تُرابهـا ... لا مرتـعٌ فيهـا ولا مرتـاذ
وكأنّهـا فـي الجـانبين بلاقـعٌ ... مـا كرّمـتْ أضيافهـا أجـواذ
وكأنّمـا غاباتُهـا مـا أنبتـتْ ... أُسْداً نمتْهـا فـي الوغـى آسـاذ
وكأنّمـا فـي الشـاطئين قصورُهـا ... لـم ينعكـسْ ظـلٌّ لهـا مَـذّاذ
لا الجامعُ المعمورُ جلجل بالصلا... ... خمسـاً وصـات بأفقـه إرشـاذ
لا القبّةُ الخضراءُ حاكى لونُها الْـ ... آمـالَ أوردَهـا الربيـعَ جـواذ
لا معهـدُ التجويـد فيهـا عـامرٌ ... لا المقرئـون لهـم بـه تجـواذ
لا الجسـرُ يربـطُ جانبيهـا رابضـاً ... فـوقَ السـفين كـأنّهنَّ جيـاذ
تختـالُ فـوق المـوج وفـق صعـوده ... ونزولـه صفـا لهـنَّ قيـاذ
أزمـانُ فـاض علـى مراتـع عزّهـا ... ألنعمتـان: الأمـنُ والإسـعاذ
غرسـتْ نـزارٌ بالحفـاظ قناتهـا ... وتحوّطتْهـا بـالحديد إيـاذ

****

هـاتيك واسـطُ فـي تليـد فخارهـا ... وطريفهـا هــذا السـنا الوقّـادُ
قد أسّس الحجّاجُ أولاهـا علـى الْـ ... أشـلاء يبنـي ملكـه اسـتبدادُ
منْ مبلغ الحجّاج أنّ العلم فـي الـدّ ... نيـا لــه السـلطانُ لا الجـلاّدُ
قد أبدل " الهيمان " سجنك بـالهدى ... صرحـاً مـعَ الذكْـر الجميـل يُشـادُ
هـذي الحضـارةُ هكـذا تُبنـى وذي ... طُـرُقُ النّـدى والبـذل يـا مجـوادُ
هـذي المفـاخرُ والمحـامدُ هـذه ... دنيـا الخلـود وهـذه الأمجـادُ
هذي التـي لا عيـب يلحـقُ شـاعراً ... فـي عدّهـا إن هـزّه تعـدادُ
فأنا لها فـي الشـاعرين " فـرزدقٌ " ... وإذا عييـتُ فـإنّني "حمّـادُ"

****

مفـارق*

في ذمّتي للّيـل سجـدةُ شـاكـرِ ... إن مسّ طيفُ النّوم طـرْف محاجري
ولـه علـيّ أداءُ ألـف فريضـةٍ ... إن مـرّ طيفكمـو مـرور العابـرِ
أُحيي ليـاليّ الطّـوال كـأنّني ... ظـلٌّ غشـاه اللّيـلُ بيـن مقابـرِ
طـافتْ بـه الأفكـارُ بيـن مكشّـرٍ ... عن نـابـه أو جـازرٍ أو خـازرِ
ونُجيلُ طـرْفـاً في الظّـلام مفتّشـاً ... عـن كُـوّةٍ تُـومي لَـهُ ببشـائرِ
فيـرى بـه ليـلاً يَجـرُّ لياليـاً ... حيرانـةً تُهـدى برُشْـد الحائـرِ
تعشـو بهـا عيـنُ العقـاب الكاسرِ ... وتجوبُهـا عيـنُ البُغـاث الصّافـرِ
فيلـوذُ بالدّمـعِ العصـيِّ ومـا رأتْ ... عينـايَ جدْبـاً لا يُهـزُّ لمـاطـرِ
ويمـرُّ يعرضُ فـي نُهـاي رؤىً لها ... فعـلُ العجائبِ من عصاةِ السّاحرِ
فأراكمـو خلل الدّمـوع تراقصـتْ ... أشباحُكُـم مثْـل المنى فـي الخاطـرِ
وأحـنُّ من وجـدي وأبسطُ ساعدي ... وأضمُّـه حـول الخيـال الزّائـرِ
وأغيـب فـي دنيـاي لا أدري بمـا ... فـي غيرهـا من راقـدٍ أو سـاهـرِ

******

* دمشق : صفر ١٣٦٧هـ / كانون الثاني ١٩٤٨م.

لكمـو الفـؤادُ وجيبُـه وحنينُـه | في غائبٍ وهنـاوه في حاضـر
لَفَّتْ عليكم أضلعي لكنَّما | لُفّتْ على بُركانِ شوقٍ ثائـر
فلقد جمعْتُ بأضلُعي ضدَّيكمو: | بَرْدُ الوصالِ وحرُّ هجْرِ الهَاجر
وعجبْتُ للضدّينِ بل عجبي له | قلباً يُمازجُ فاتراً في فائـر
ويظلُّ يَخفقُ بالحياةِ ويا لـه | من خافقٍ من جاهدٍ من صابر

****

لحنـي*

أدرْ كأسي وخُذْ عودي | وجُسَّ عليه أوتاري
فكأسي نارُ تمُّوزِ | ولحني عِطْرُ أيّارِ
عصرتُهما ربيعَ العُمْرِ | من عشبي وأزهاري
ورُحتُ مضمِّخاً بهما | سَمائي أو سَما جاري
ولمْ أبخلْ على الأُلاَّ | فِ آمالي وأوطاري
أذيعُ الشَّدْوَ في البادي | على الغادي على السَّاري
وأطلِقُ فيه من نفسي | طِلاّعاً بأقمارِ
فنفسي كلُّها لَحْنٌ | ولحني قلبيَ الواري
وأمّا كأسيَ المَلاّ | نُ في سِرِّي وإجهاري
ففيه عينيَ الحيْرى | وفيه لُبِّيَ الدَّاري
وفيه جسميَ الكاسي | وفيه روحيَ العاري
هما الإثنانِ قد مُزِجا | فكانا صَفْوَ أفكاري

****

جنيتُهما شبابَ العُمْرِ مِنْ يأسٍ وآمالِ
وأفرغْتُ الشَّقا بهما على سَعدي وإقبالي

---

* بغداد: سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧/٢/٢٧م.

وصغتهمـــــا مثـــــالاً لـــي | فكـــانَ مِثــــالي الحـــالي
بمـــا فـــي يومـــيَ الآتـــي | ومـــا فـــي يومـــي الخـــالي
بمـــا فيـــه مـــن الأحـــلا | مِ تبـــدو صـــوغ تمثـــال
بمـــا فيـــه مـــن الآلا | مِ تنـــزو نـــزْو أغـــوال
بمـــا فيـــه مـــنَ التجديـــــد مـــا فيـــه مـن البـــالي
تحلّـــى مـــنْ حُـــلى نفســـي | مِـــنْ بَخـــسٍ ومـــن غـــالي
فحـــلّى جيـــديَ العـــاري | وعـــرّى جيـــديَ الحـــالي
وجرّدنـــي لأُكســـى مِـــنْ | تجـــرُّدِهِ بسِـــرْبـــال
ومـــا أنفـــكُّ حتىاليـــو | مَ.... حتّـــى بعـــدَ أجيـــال
أُبـــاركُ غـــيَّ إرشـــادي | أُبَـــاركُ رُشْـــدَ إضـــلالي

****

رسالة في الحب*

يا حبيبي.. في الهوى هلْ كنتَ منّي | ســـرَّ فنِّـــي ؟
جفَّ من حرِّ الشّقا مُذْ غبتَ عنّي | نبـــعُ لحنـــي
قـــد كُنْـــتَ مـــن عـــودي وتَـــرْ | قـــد كنـــتَ مـــن دنّـــي سُـــكُرْ
أيـــنَ لحنـــي ؟ أيـــن عـــودي ؟ أيـــن دنّـــي ؟

****

كُنتَ وحيي فـــي الهـــوى كنـــتُ نبيّـــا | ذا رســـــالةْ
أنشـــرُ الرُشْـــدَ الـــذي أسمَوْهُ غيّـــا | أو جهـــــالةْ
نســـكُنا جهْـــرُ الوصـــال | وتُقانـــــا .. لا أبـــــالي
والتّســــاقي ســــرّهُ.. بعــــدَ الثُمالـــــةْ

****

---

* دمشق : ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

همْتَ في غيِّ الهوى والرُّشدُ غيٌّ	والتبـــــــــاسْ
لا اجتهادٌ في الهوى يُبديه رأيٌ	أو قيــــــــاسْ
إنــــهُ شـــرعُ القلـــــوب	فحبيـــبٌ لحبيـــب
واتّعـــــادٌ ... فالتقـــــاءٌ	فانغمــــــاسْ

****

يا حبيبي عُدْ لقلبي عد ليومي	مثــلَ أمســـي
أنتَ شعري أنت سِحري أنت وهمي	أنـــت حَدْســـي
أذكُـــرْ العهـــدَ القريبـــا	ســتجد منّـــي حبيبـــا
مثلمـــا قـــد كنـــتُ... إنَّ الـــ	ـهَجـــــر ينســـــي

****

ما لقينا في الهوى أو ما سنلقى	فاحتســـــبْهُ
ذاك خُلْقٌ حاز فيه الشرقُ سبْقاً	فاجتنبْـــــهُ
واتّجـــهْ فـــي الحـــبِّ غرْبـــا	إن تكـــن فـــي الغيـــد صبّـــا
فربيـــــعُ العمـــــر نهْـــــبٌ... فانتهبْـــــهُ

****

لك كالأسحار أو أقصر عُمـــرا	مـــنْ شـــبابكْ
فاعتصرْ زهرتـهُ وامزجْـهُ خمـرا	فـــي شـــرابكْ
واســـتبقْ صفـــوَ الشّـــبابِ	بالأغـــاني والتّصـــابي
فخريـــــفُ العمـــــر يخطـــــو خلـــــف بـــــابكْ

****

لي ماض من حياتي ما توارى	ذكريـــــاتُ
وأحاديث طـوالٌ أو قصـارٌ	صفحـــــاتُ
قـــدْ وعتْهـــا الرّبـــواتُ	والليـــالي المُقمـــراتُ
وعـــن الحقـــل روتْهـــا الزّهـــراتُ

****

فاسأل النَّهرَ الذي في ضفَّتيْه قد أقمْنا
ورسمْنا للهوى في صفحتيه ما رسمْنا
هل روتْنا نبعتاهُ؟ أو رأتْنا صفحتاهْ ؟
ما رضينا في وصال أو نقمْنا

****

مثلما الرَّوضُ لنا قد شادَ وكرا للغرامْ
قد نصبْنا فيه ذكرى أيَّ ذكرى للسَّلامْ
من ذؤاباتِ الضَّحايا كنَّ نهباً للمنايا
بين شلوٍ لا يُرجَّى أو حُطامْ

****

واسألِ البدرَ وليلاً تحتهُ كالظِّلالْ
قد غشاه منه أنَّى لُحتَهُ في ذُبالِ
نقتفي منه خُطاهْ وهو يحبو في عَماهْ
ما رآنا.. وهو منًّا في منالْ

****

واسألِ الذِّئب الذي في مُقلتيْه مشعلانْ
هل رأى يَثوي بإحدى جانبيه عاشقانِ؟؟
وعلى الأفق بعيدا نهضَ الفجرُ وئيدا
والرؤى في مقلتيه بسمتانْ

****

هل رآنا في ثنايا الرَّبوات في الصَّباحِ
ومن الشمس أشارتْ مؤذناتٌ بالرَّواحِ
أنملٌ منها أقمْنا حارساً يُدنيه منَّا
نارُ وجدٍ تتلظَّى في البطاحِ

****

يا لوجدي ما جرى عندَ الوَداعِ؟؟ يــــــا لَحُبِّــــــي

مـنْ لروحـي وهْـي تخبو بالشّعاعِ مــــنْ لقلبــــي؟؟

أيقـــالُ الليــلُ كـــافرْ؟؟ ومــــنَ الليــــل منائِــــرْ

كــــم تجلّـــــى فـــــي هُداهــــا نــــورُ ربِّــــي

****

ما وعـى منـي ومنهـا الدّمعـاتْ غـــيرُ دنّـــي

ما روى عني وعنها الحشـرجاتِ غـــيرُ فنّـــي

مـــا نمـــتْ هـــذي الأزاهـــرْ مـــا زكـــتْ هـــذي المجــامرْ

قبـــــل أن تدنـــــو إليهــــا نــــارُ حزنــــــي...

****

هدنة ١٥ أيار ١٩٤٨*

هُـزّ النفوس علـى القنـاةِ لـواءا ظمـآنةً تَـردُ الحيـاضَ دِمـاءا

أصحـرْ بهـا مـا البيدُ إلاّ موطـنٌ يلـدُ الأُبـاةَ مولّـدين إبـاءا

لا تُنبـتُ الصّحـراءُ إلاّ الجلْـدة السَّــمراء أُنـضُ الجلـدة البرصـاءا

ألدّمنــةُ الخضـراءُ كـانتْ مرتعـاً لسـواك إنـفُ الدّمنـةَ الخضـراءا

أفـرغْ عليك مـن التـراثِ خُشونـةً كانـتْ لجـدّكَ فـي الفتـوحِ رِداءا

فكســتْه مجـدا إذ كسـتْك مناعم العيـشِ المرفّـهِ حليـةً ورخـاءا

ألفـتْ مقيـلَ الهـونِ ظـلاً آسـنا فـإذا جفتْـهُ تهالكـتْ إعيـاءا

---

* نظمتُها يوم عرض برنادوت هدنة فقبلناها.. دمشق : ١٩٤٨ ونشرت في جريدة البلاد السعودية في مكة.

وكفاك مـن نُعمـى المذلّـة مُتْعـةٌ أنْ كـان ذُلاًّ يـورثُ النّعمـاءا
أغرتْك بالسّلْمِ الرّخـيِّ فـأغضبتْ نكراؤهـا تأريخـك الوضّـاءا
جـرَتْ عليـك مخازيـاً لـو أنّهـا جُـرّتْ علـى الصّمـاء كـنّ هبـاءا
أو أنّهـا جُـرّتْ علـى مَـنْ لا تـرى فـي الخـزي خزيـا..ذابـت استحيـاءا
بعثـتْ فِعالُـك فـي اللّيالي ريبـةً فيمـا ادّعيْتَ مـن العُـلى آبـاءا
فتلاومـتْ أيامُهَـا أنْ أطلقـتْ فـي ليلِـك الدّاجـي رؤىً بيضـاءا

****

أأبـوّةٌ تكفيـك لا تـرمي إلـى أهدافهـا فيمـا رمـتْ أحمـاءا؟
هـل تكتـفي منـك الأبـوّةُ بادّعـا ءاتٍ مـلأتَ بهـا الفضـاء هـراءا؟
عفواً.. فمـا أنـا قـد عقـقْتُ وإنّمـا أنكـرْتُ للّيـثِ الهِزَبْـرِ عُـواءا

****

أدويلـةٌ؟ بُعـداً لقـد أكبرتُهـا أعِصـابـةٌ أولتْكمـو استخـذاءا؟
زعمـوا لهـا أفّاقـةً قـد قاءَهـا مـن تيههـا لبـلادنـا مَـنْ قـاءا
تُزجـي لهـا دُولُ العروبـة عسـكراً مَجْـراً يُضيّـقُ حولهـا البيـداءا
وتصافقـتْ بعـد اللّتيـا والتـي فـي كـفّ خاسـرةٍ عُـلىً وإبـاءا
وأقـرَّ برنـادوت مـاذا سمّـه مـا شـئتَ إنّـي أجهـلُ الأسمـاءا

****

هـيَ هُدنـةٌ منّـا ولكـنْ منهمـو (خـرْقٌ) يوالـي حربـهُ استيـلاءا
عفـواً فمـا أنـا قـدْ عققْـتُ وإنّمـا أكبـرْتُ أن تلـدَ الليـوثُ الشّـاءا

****

ثورة العرب الأولى*

أسمعت كيف استيقظ العربُ ... في التسع من شعبان يا رجبُ؟!(١)
وقفوا بجدٍّ حيث لا لعبُ ... غضباتهم في القلب تضطربُ
في الحرب والأرواح تنتهبُ ... وقداتها إن أعوز الحطبُ
في السلم والأيّامُ في دعةٍ ... أملاكها ونعيمُها الصّببُ
في الدّهرِ من لفحاتهمْ سِمةٌ ... أنا ومن نفحاتهم أربُ

****

بدأ (الحسين) نهوضه فرمى ... برصاصة دوّتْ لها الهضبُ
هي قبسةٌ من نور تالدِنا ... ذكرتْ بها أمجادها العربُ
ذكرتْ بها البطحاءُ مكّتَها ... ينداحُ عنها جيشُها اللَّجِبُ
فمشرّقٌ ومغرّبٌ وكلا الـ ... ـزّحفين فتحٌ قاهرٌ يثِبُ
متخطّيًا هُضُبًا فلا هُضُبُ ... متحدّيًا تعبًا فلا تعبُ
ينقادُ في يده ولا سببُ ... نصرٌ هو العِلّاتُ والسّببُ
فمدينةٌ "مفتوحةٌ" سلمًا ... من جارةٍ أخنى بها حربُ
ومتوَّجٍ يقتادُه رهَبُ ... من آخرٍ أودى به عطبُ

****

ذكرتْ بها العرباءُ وحدتها ... أأظلّها مَدَرٌ أو الطُّنُبُ
فاستجمعتْ ومشتْ لها رهجٌ ... وتدافعتْ كُتَلاً لها رَهَبُ
تبني وتنشئ من كرامتها ... ما صدّعَ الخذلانُ والشّغبُ

---

* نظمتها يوم أطلق الحسين بن علي شريف مكة الرصاصة الأولى من قصره في مكة مؤذنًا بالثورة على الاستعباد والفساد في العهود العثمانية المظلمة _ جدة: ٤ شعبان ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩/٦/٢م.

(١) يسمي العرب شهر رجب " الأصمّ ".

هي آيةُ النَهضاتِ أكرمُها ... لو سادتِ الأولى لها العقبُ
وتوحدتْ في دولةٍ دُوَلٌ ... قامتْ يُكلّلُ رأسها الذّنبُ
نهضتْ بساقٍ كلُّهُ خلَلٌ ... تهتزُّها منْ تحتها نُوبُ
وتميدُ كالنّشوى ولا عَجبٌ ... خُيلاؤها! فيه هو العَجبُ

****

هي آيةُ النَهضاتِ لو صدقتْ ... أقوالُ من عهدوا ومن نُكبوا
ووفى بها من قولهِ كَذبٌ ... وأحقُّها من فعلهِ ريَبُ
لو بان في وَضَحِ النَهارِ لنا ... ما حاكَهُ التّمويهُ والكَذبُ
وتبيَّنتْ من جدِّهِ لُعَبُ ... هي للمآربِ عندهُ السَّببُ
لرأى العُروبةَ كيفَ تُنْتَدبُ ... ورأى العواقبَ كيفَ تنقلبُ

****

إلى أخي*

أهاجتْ لكَ الذكرى لمعسولةٍ حوّا ... أم اخترتَ مُرَّ الهجرِ فارتحْتَ للنجوى؟
حنانك بعضَ الجهدِ يا حبُّ فالهوى ... يهبُّ كما تهواه لا مثلما تهوى
أفانينُ هذي الريحِ نكباءُ بعضُها ... وبعضٌ يُوافيكَ الجنوبُ بها رخوا
فديتُك لا تُعنى بأوّلِ عارضٍ ... فما اللّذةُ الكبرى سوى الهنيةِ القُصوى
لئنْ كانَ هجراً جالباً لكَ داءهُ ... فذاكَ دواءٌ في النهايةِ لا أدوا
فرُبَّ حبيبٍ مظهرٌ لكَ صدَّهُ ... يُعاكسُ قلباً في غلائلهِ يُضوى

---

* أرسلتها إلى أخي صدر الدين قبل أن يتناهى إليَّ خبر إخراجه من العراق منزوع الجنسية. وكان أخي صدر الدين في بغداد قد أصدر جريدة الساعة التي عارضت سياسة نوري السعيد وصالح جبر في معاهدة " بورتسموث" سنة ١٩٤٨م. فكان من ذلك أن نزعت منه الجنسية العراقية وأخرج من العراق. ونشرتها في مجلة الأديب اللبنانية ـ جدة ١٦ رمضان ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩/٧/٦م.

لينهلَ منكَ الوصلَ تُصفيهِ مشرباً ... وتُعطي مقاداً بعدَ ذلكَ لا يُلوى
فلا هوَ عن حُبِّكَ تُجديهِ سلوةٌ ... ولا أنتَ بالسالي لأيّامهِ القُنوا..
وليسَ بناديهِ وإنْ كانَ زاخراً ... بكلِّ أخي حُبٍّ تمرَّسَ بالبلوى
كمثلِكَ للنارَيْن: نارِ صبابةٍ ... ونارٍ بها تكوي العذولَ ولا تُكوى
ومثلِكَ لليومَيْن: يومِ شدائدٍ ... ويومٍ بهِ يُستمطرُ المنُّ والسلوى
ومثلِ يَراعٍ في بنانِكَ مُشْرَعٍ ... لجيلٍ لوى الخطِّيَّ ساعدُه الأقوى
ينثُّ دماً في حالةٍ وبأختِها ... يَنْشُرُ ورداً عن شمائلِه يُروى

****

لكَ الفكرُ رفّافاً على كلِّ زاهرٍ ... صباحاً يُشيعُ النورَ أو يَنشُرُ الشذوى
تنقّلَ في الأجواءِ للنجمِ واهباً ... تألُّقَهُ والطيرُ في روضِها شدوى
يطوفُ ليجني أو يطوفُ ليجتني ... فيَروي غليلاً في مَجانيهِ أو يُروى

****

لكَ الذوقُ كاليعسوبِ عندَ خليَّةٍ ... يغطُّ غريباً شَمَّ مَن فيهِ ما يَجوى
تخيَّرَ للأسماعِ أشهى تلفظاً ... وأغربَ جرساً من محجَّلةٍ نشوى
فللعينِ ما ترتاحُ فيهِ مسارحاً ... مدى العينِ ما تجلو بمنظرِه العشوا...
وللعقلِ ما يَسمو بذي العقلِ صاعداً ... إلى الأُفُقِ الأعلى إلى ساحةِ النجوى
أفاتكَ أنَّ الصبرَ أهدى محجَّةً ... إلى الهدفِ الأسمى إلى قلبِ مَنْ تهوى!

****

تِـرْبُ الطُّفُولَةِ *

تِرْبُ الطفولــــةِ مـــا بــه يتجـهَّمُ؟ والعيــشُ بعــدَ صـدودِهِ لَمُذَمَّـــمُ
ما الحــبُّ عنــدَ فتــاكَ إلاّ ســاعةً فيــها تَمــيَّزُ مُــدَّعٍ ومتيَّــمُ
يُصفيــكَ أو تُصفيــه وُدّاً خالصـــاً سِــيَّانِ يقســو يومُــه أو يرحَـــمُ
تِرْبَ الشَّبابِ ألم نَعِشْ فــي مَــدرجٍ رَحْبٍ وساعُ الأرضِ فيــــه مُلملَـمُ
مــن فوقــه ألــقٌ عليــه... يُخيِّــمُ من تَحتِ أَخْمَصِهِ النســـورُ تُحـوِّمُ
أومَــا درجْنَــا فــي أَظِلَّــةِ عِــزِّه متســابقينَ لنــا الْمَعَــالي سُــلَّمُ
أومــا تَســاهمْنا الحيــاةَ بظلـــــه متعاً لـــــها متــعُ الفــرادسِ تــوأمُ
كنَّــا بــه طفلَيْـــنِ يَرْعَانَـــا أبٌ يحنـــو وأمٌّ بالحنـــانِ تُـــترجمُ
ضمّــا علينـــا: ذا جنــاحَ رعايــةٍ تَبنــي وهــذي بالسَّــداد تُقــــوِّمُ
ما كنتُ أوفى منك عطفاً مـــن أبٍ أو قســمةً مــن أُمِّنَـــا إذ تَقســــمُ
وإذا الزمــانُ قســا بقلبــك يافعـــاً فلقــد أتــاك بعُــذرِه يَســـترحِمُ
أولاكَ فـي صِغَــرٍ أبــاً بــأبٍ وذي أُمَّانِ: أمِّي - بلهَ أُمـــُّكَ - تَـرأمُ
وشقائقاً مـــعَ إخــوةٍ لــكَ منــهمو أسمى العواطفِ مـــا بـــدا أو يُكتَـمُ

****

وترعرعَتْ منِّـــي ومنــك طُفولـــةٌ ريحُ الصَّبَـــا مـــن عَرفِــها يتنسَّــمُ
وجرى الشبابُ دماً بعرقَيْنـــا معـــاً ونمَــتْ أحاسيسٌ لنـــا وتفـــهُّمُ
تجـري حواليـنـا الحيــاةُ فســـافرٌ ضــاحٍ وذاك محجَّـــبٌ مُتكتِّـــمُ
ومنَ الحقائقِ مُشرقٌ مثل الضحـــى أو مظلِـمٌ مثــلُ الديــاجي مُبـــهَمُ
وتداولَتْنَـــا فـــي المعــاهدِ أنمُــلٌ جسَّتْ بنـــا الوتــرَ الــذي يــترنَّمُ
أوحَتْ لـــه النَّغَـــمَ الرفيــعَ إذا بـــه يُوحي لها النَّغَـــمَ الرفيــعَ ويُلــهِمُ

---

* جدة ١٩٤٨ م. ارسلتها إلى السيد محمد صادق الصدر، بعد انقطاع بالمراسلة، وكنت في ضيق.

نَفْــسٌ تَعــــهَّدها مـــــربٌ أوّلٌ   كالطلِّ يُنمي الـــورد وهـــو مكمَّمُ
يُلقي لـــــها معنــى الحيــاة بِلَثْمِـهِ   وطريقُ ما يُعلي الحياةَ هـــوَ الفَمُ
ما الرفقُ ما التَّحنــــانُ إلا بعضُــها   وجميعُـــها: إنَّ الحيــــاةَ تَعَلّــمُ
زَخَـــرتْ بكـــلِّ فُتُــوَّة ورُجولـــةٍ   معـــتزةٍ بمواهـــبٍ تتقـــدَّمُ
ونُهىً تزاحـــم فيــه كـــلُّ مــهذَّب   في الـــرأي إذ يُصغــي وإذْ يتكلّمُ
أكلالـــةٌ هـــاتيك أم هـــي ثــــروةٌ   إرثٌ تعـــهَّدَها ولـــيٌّ مُنعِـــمُ

بيتــي *

قد شِدتُ بيتي نئيّاً عـــن مغارسِــهِ   في ساحةٍ ضاقَ بالبـــانينَ أرحبُــها
أعليتُ منه بطــول البـــاعِ مرتَفِعــاً   رفَتْ عليه مـــن الأمجـادِ أنجبُــها
هذا ولســـتُ بـــذي وَفـــرٍ فأبذلُــهُ   كيما يَذِلُّ لبســـطِ الكـفِّ أصعبُــها
لم ادَّخِرْ غيرَ ماءِ الوجـــهِ أحجبُــهُ   والباقياتُ مـــن الأعمـــال أكسـبُها

شكوى كريم * *

أسمعتَ يوماً... لا شـــكوتَ لحاجــةٍ   شـــكوىً يُردِّدُهــــا فـــمٌ يَتلجلـــجُ
ولـــربَّ شـــكوىً للكريـــمِ تـــردَّدتْ   بلَهاتِــهِ أتُقيـــمُ أم هـــي تَخـــرجُ!
يَخشى الكريـــمُ بـــأن يذيـــعَ مكتَّمــاً   فيعـــود إمّـــا مُخْـــرِجٌ أو مُحـــرَجُ

---

* جدة، ١٨ رمضان ١٣٦٨هـ/٨ تموز ١٩٤٩.

* * جدة، ١٨/٣/١٩٤٩م.

كـــراء*

أزادك حُبّاً في الحيـــاةِ بـــأن تـــرى يُكـــاريكَ بالمجّـــانِ شـــرٌ مُكـــاري
وما هو كافي البطنِ ســـائغَ لُقمـــةٍ وما هو كاسي الجســـم فضـــلَ إزارِ
وفي العشِّ أفراخٌ يُزقزقُها الطَّـــوى وترفضُ أن تُصغي لقـــولِ: نَطـــارِ
تَطـــايَرُ لـــهفاً للزّفيـــفِ تحسُّـــه رجـــاءَ جَنـــاحٍ تســـتضيفُ ومنقـــارِ

شفاعة الشيب

أأصبو وهـــل للأربعيـــنَ صبـــاوةٌ يجدُّ بها ذو الشـــيب حينـــاً ويَمـــزحُ؟
لقد كان لي عنـــد الثلاثيـــنَ نَـــزوةٌ فقـــرَّتْ ولكـــنَّ الفـــؤادَ مُجنَّـــحُ
وأمثالُها من قبـــلِ ذلـــكَ صُغْنَنَـــي على خيرِ ما تهوى الحِسانُ وتَطمـــحُ
لقد كانتِ الغيـــداءُ تَحســـبُ مُبكِـــراً منَ الشَّيبِ في رأسي أمـــانيَّ تَلمـــحُ
فهل عند ســـنِّ الأربعيـــنَ بشـــافعٍ لديها مَشيبٌ مـــاجَ يرســـو ويَطفـــحُ؟

عيـــش**

وحبّب لي عيشـــاً بظـــلِّ مبغّـــضٍ منَ العيشِ أفراخٌ لأكـــبرهم ســـتُّ
أُداري بهم مَنْ لو يُقاس بمَوطئـــي لكانَ له منـــهُ التعـــاظمُ والدَّسْـــتُ
ولولاهمُ ما كـــان دنّـــسَ صُحبَتـــي زمانٌ له حِقْدٌ علـــيَّ وبـــي كَبْـــتُ
يُقاضي حلالـــي أجْـــرَةُ بحرامـــهِ وما الحِلُّ في التقوى يُقابلُه سُـــحْتُ
ويطلبُ منِّي النعـــتَ فيمـــا يُحبُّـــه وما لي بما يرضاه قولٌ ولا نعـــتُ
وإنِّـــي لآسٍ أن أمـــوتَ بحَســـرةٍ وليسَ لقومي فيه نَجْـــرٌ ولا نَحْـــتُ

---

* جدة، ١٨/٣/١٩٥٠م.

** جدة، ١٩٥٠م.

أبو العلاء *

يقـولُ أبـو العـلاءِ وكـلُّ قـولِ ... يقـولُ أبـو العـلاءِ لـه دَوِيُّ
فلـو أنِّـي غـدوتُ أبـا عـلاءِ ... ومُلكي فـي «المعـرَّة» أوْحـدِيُّ
وقولي في الفَلاسـفِ «أستقصٌّ» ... ووزني فـي القوافـي «بُحـتريُّ»
لكنـتُ إذا خلطْـتُ ببـاقليٍّ ... يُقـال أذاكَ سـحرٌ «بـابليُّ»
وكنـتُ إذا خبطْـتُ بليـلِ غـيٍّ ... يُقـال: هُديـتَ ذا دربٌ سَـويُّ
فإنَّ أبا العَلا... في النَّـاسِ جِنْسٌ ... وكم لأبـي العَـلا... فيـهمْ سَـمِيُّ

تبيـع **

فمـا أنـا بـالتبيعِ لأيِّ صـوتٍ ... ولكنِّـي التبيـعُ لأيِّ سـوطِ
ومـا أنـا بالسـميعِ لقـولِ حـقٍّ ... ولكنِّـي السـميعُ لأيِّ خلـطِ
فعن فتلِ السـياطِ أخـذتُ درسـي ... وفي حبل السياطِ أعـدتُ ربطـي
ومن صرعى السياطِ علمـتُ أنـي ... على وقع السِّـياط أجيـد نحطـي
مقـادرُ قـد تولاَّهـا مُـربٌ ... تولاَّنـا بخلـطٍ أو بخبـطِ
يعلِّمُنـا فنـون القـولِ لكـنْ ... يدرِّبُنـا علـى العمـلِ المحـطِّ
ليكسبَ غنمـه مـن غيـر جـهدٍ ... ونُسلمُ أمرَنـا مـن غيـرِ شـرطِ

---

* جدة، ٢٠/٣/١٩٥٣م.

** جدة، ٢٠/٣/١٩٥٠م.

أنا الكلُّ *

وزرَّرْتُ أبرادي على النَّـــاسِ كُلِّـهم فكلُّ ابنِ أُنثى بيـــن بُـــردِيَ قـــابعُ
وما أنـــــا إلاَّ مَـــنْ علمــتَ فجــامعٌ فرائــدَ أشـتاتِ الكِــرام ودافـــعُ
ونفسي بها فـــي كــلِّ ذلــك قَبســةٌ تُضــــاءُ فإمَّـــا خــافتٌ أو ســـاطعُ

في المسعى * *

مـــا بيــنَ «مَــروةَ» و«الصَّفـــا» تَسـعى مِــنَ الدنيـا عَــــجَائِبْ
حُشِدَتْ غرائبُ هـــنَّ فيـــه الْـــ بكـرُ مــن بيـــن الغَرائِـــبْ
تُلفـي الحجيـجَ علـى الحجيـــ ـــجِ مواكبـاً تقفـــو مَواكـــبْ
عُرِضَـــــتْ بـــه الألــــوا نُ والأهــواءُ فـي شـتَّى مذاهـــبْ
فالحــــابلُ الصيَّـــــادُ قـــــد نَصَــبَ الحبـائلَ غيـرَ خــــائبْ
والنَّـــابلُ الرامـــــي رَمَـــى فأصـــابَ والنُّعمـــى لصـــائبْ
صيـــدُ الغـــزالِ مُحَـــرَّمٌ أمحلَّـــلٌ صيـــدُ الكواعـــبْ؟!
والمـــالُ مضمـــونٌ لصـــا حبــه هنــــالك أم لنـــاهبْ
ولشـدَّ مـــا تُلفـــي «المطــوِّ فِ» صاحيـــاً بالسُّــكرِ دائـــبْ
ألمدمـــنُ السِّـــكّيرُ لا يُلْــــ ـفَى بصحـوٍ غـــيرَ شـــاربْ

---

* جدة، ٢١/٣/١٩٥٠م.

* * شاهدت مناظر في المسعى، ولم أملك ردًا لتسجيلها في أبيات هذه القصيدة – جدة، ٢٢/٣/١٩٥٠م. القصيدة منظومة قبل أكثرمن نصف قرن، وكانت فرائض الحج ومستلزماته وإداء مراحله ، وما يستعمل فيها من وسائل نقل ، وما يجري خلال السفر أو خلال إداء المناسك كانت تتعرض للكثيرمن المتاعب والتصرفات المعيبة التي تتنافى مع قدسيّة هذه الفريضة .

يدعو ليُغفرَ ذَنبُ مَنْ   مِنْ ذنبِهِ لله هاربْ
يدعو بصوتٍ ما أرا   ه مقرِّباً لله جانبْ
أو يرفعُ الصَّوتَ الذي   قد معَّكتْه دِما... المعائبْ

****

وأشدُّ ما يؤذي الفتى   من مؤمنٍ أو من مجانِبْ
سعيُ الكلاب معَ الوفو   دِ فآيبٌ منها وذاهبْ
وأذىً تَفاوحَ ريحُه   نَتِناً فعبَّق كلَّ جانبْ

****

وأذيَّةُ الحُجَّاجِ في   بطنان مكَّةَ جِدُّ واجبْ
يستسلمونَ «لخازنٍ»   ما «مالكٌ» أدهى مصائبْ
فيَلزُّهم جمعاً لجمـ   ـعٍ كالسَّوائم في الزَّرائبْ
ويسوقُهم سوقَ القطيـ   ـعِ وما بهم عن ذاك ناكبْ
لا يعلمونَ مصيرَهم   للسَّلخِ أم للسَّرحِ آيبْ

****

أمَّا وسائلُ نقلِهم   فالعيرُ أوطأُ منه غاربْ
شُدُّوا به لمقلقَلٍ   خشبٌ يئزُّ بصوتِ ناعبْ
يجتاحُهم منه مَسيـ   ـرٌ في مخدَّدَةِ الجوانبْ
طالَ الطريقُ ليثربٍ   لكأنَّه فيهم سباسبْ
دبَّت عليه بهم هجيـ   ـنٌ قيل عنها في النجائبْ
لا يبلغونَ القصدَ إلاَّ   بينَ مسحوبٍ وساحبْ

مـــا للمنـــابعِ فـــي كنـــو ... زِ الأرضِ تُجبـــى والمواهــــب

مـــا للمُكـــوس وللرسُـــو ... مِ الباهظـــــاتِ وللضرائـــب

تُجبـــى لتعمــــــير المـــرا ... فـــق أم لتصميـــمِ الخرائـــب

تُجبـــى لتُصـــرفَ فـــي المنـــا ... فـــعِ أم لتُصـــرفَ فـــي المـــآرب

أعلـــى السُّـــيوفِ مرصّعـــا ... تٍ بـــالكرائمِ والنخـــائب

رُقمـــتْ علـــى التِّـــبرِ المُـــذا ... بِ كمـــا يُنمنَـــمُ خـــطُّ كـــاتب

****

أعلَـــى الخنـــاجر أم علـــى الـــ ... ـسّـاعاتِ تُغـــري كـــلَّ طـــالبْ؟

وُهبَـــتْ لغـــــادٍ أو لضـــا ... حٍ مِـــنْ أباعـــدَ أو أقـــاربْ

وُهِبَـــتْ فـــآبَ موهَّـــبٌ ... فـــي سِـــرِّه يَـــهزا.. بواهـــب

قـــد حـــارَ فـــي تفســـيرِ هـــــ ... ـذا الصَّرفَ في الوجه المُناســب

مـــا اعتـــاد فـــي أوطانِـــه ... صَرفـــاً يُقـــرُّ بغـــير واجـــب

****

أعلـــى النِّســـاءِ الكاعبـــات ... مـــنَ الأعـــاجمِ والأعـــاربْ؟

يَـــأتي بـــها «النَّخّـــاسُ» مِـــنْ ... أقصـــى المشـــارقِ والمغـــاربْ

تُـــهدَى لـــها الماســـاتُ والـــ ... ـحاجـات شـتّى فـــي حقـــائِبْ

لِيَنَـــالَ منـــها ليلـــةً ... أو بعضَـــها ربُّ العجـــائبْ

****

أعلـى الحريـر مـــنَ المـلا بـس والوشـيرِ مـنَ المراكـب؟
أعلـى المـريِّ مـــنَ المطـا عـمِ والـهنيِّ مـنَ المشـــاربْ
والشَّـــعبُ يَحكُمُـــه الطَّـــوى والأرضُ تعمرهـــا النواعـــبْ

في البيت الحرام*

ألحمـــــــدُ لله ربِّــــــي قـد طُفــتُ بـــالبيتِ سـبعا
رتَّلـــتُ فيـــه دُعـــاءً قـــد كـــانَ منِّـــيَ دمعـــا
أســـتغفرُ الله فيـــهِ ممـــا سَـــعيتُ... وأســـعى
وثُبـــتُ للرُّكـــنِ أجثـــو وبـــي أمـــانيَّ صرعـــى
ثـــابتْ إليـــها حيـــاةٌ فأنـــهضَتْ لـــيَ جذعـــا
فلـــذتُ بـــالبيتِ مَســـكاً بـــالرَّاحتَيْنِ ونزعـــا
فقـــد أتيـــتُ كريمـــاً يُولـــي الوفـــودَ ويَرعـــى

****

و «الأسـودُ الصلْـدُ» ضـــاقَتْ عزيمتـــي فيـــه ذَرعـــا
فمـــا ادَّخـــرْتُ اندفاعـــاً إليـــه خَفضـــاً ورفعـــا
وكـــم جَنيـــتُ لديـــه لكمـــاً ودعّـــاً ودفعـــا
حتَّـــى أنلـــتُ شِـــفاهي وَتـــرَ التثـــامٍ وشَـــفعا
وجئـــتُ «مـــيزابَ» ربِّـــي أدعـــوه عينـــاً وســـمعا
كيمـــا يـــدرُّ علينـــا مـــنَ المراحـــمِ ضَرعـــا

* جدة، ١٩٥٠م.

وَعُدتُ أرفعُ كفّي   لبابه القُدسِ رفعا
ذُعرتُ أطلبُ أمناً   وجعتُ أطلبُ شَبعا
وفي المقامِ المعلّى   أطلتُ لله رَكعا
لم يدرِ إيمانُ قلبي   عند القواعد صدعا

****

وبئرُ زمزمَ منها   شربتُ عبّاً وجَرعا
قد طهّرَ الله فيها   حَشايَ رَشفاً وكَرعا

المسعى

وللصفّا عدتُ أسعى   مِنها لمروةَ سبعا
مُهرولاً ووئيداً   أنفي ذنوبيَ جَمعا
أدعو بصوتٍ أجشٍّ   فيه المَراحمُ تُدعى
تنازعَتْني دواعٍ   وما مِنَ الأمنِ أدعى
والمَروتانِ ظِلالٌ   طابتْ مَطافاً ومَسعى
للخائفينَ أمانٌ   تقمّصوا منه دِرعا
هناك شتّى البرايا   نَوعٌ يُخالفُ نَوعا
هناك شتّى لغاتٍ   تَعي التراجمَ رَجعا
أمُّ اللغاتِ طريقٌ   للّهِ ضَرّاً ونفعا
فذا يَغصُّ لَهاةً   بالنطق وزناً وسجعا
وذا يُردِّدُ مَا لا   يَدريه نَقْلاً ووضعا
وآخرُ فيك يسمو   إلى السَّماواتِ رفعا
يَطيرُ فيك بحرفٍ   أسمى مِن اللَّحنِ وقعا

عرفـــات

الله أكـــــــبرُ حَشْــــــــرٌ يفـــورُ بــــــالخلق نبعـــــا
يمـــورُ كـــــالريحِ عـــــات يُمــيرُ فــــي الحقـــلِ زَرعـــا
ألرحْـــبُ فـــــي عرفــــات قـــد ضـــاق بـــالخَلق وَســعا
والخَلْـــقُ فــــي عرفــــات كالــــهيم تَطلـــــبُ نَجعـــا
والنجــعُ فـــــي عرفــــات رُحمــــى تُــــهدهدُ رَوعـــا
والـــرَّوعُ فـــــي عرفــــات شَـــجوٌ تَســـاقطَ دمعـــا
يدعـــو الإلـــــهَ بصـــوت صـــداه يُشـــجيكَ رَجعـــا
لبَّيْـــكَ ربِّــــي انطباعـــاً لبَّيْـــكَ رَبِّـــيَ طَبعـــا
لبَّيْـــكَ مـــا طِقْـــتُ قـــولاً لبَّيْـــكَ مـــا طِقْـــتُ صُنعـــا
مِنـــكَ المَنـــاعِمُ ربِّـــي تَســـيلُ ســـحّاً ودفعـــا
ألحمـــدُ والشُّـــكرُ كُـــلٌّ لبـــابكَ القُـــدسِ يَســـعى
ألمجـــدُ والمُلـــكُ شـــيءٌ ببـــابكَ القُـــدسِ أقعـــى
جبَّـــارُ أنـــت بكـــون أقمتَـــه منـــك بدعـــا
أرهَبْتَـــه لـــم تُســـلِّطْ عليـــه ســـيفاً ونَطعـــا

****

رَحمـــنُ أنـــت بخَلـــق أوردتـــه الخـــير شـــرعا
لـــم تُعـــطِ شـــرّاً ولكـــن كـــم فـــي الخرائـــب أفعـــى

****

في مزدلفة *

هيَّـا الإفاضـةُ مـن ذُرى عرفـات ... قـد ثـوَّب الداعـي لمُزدلفـات
ألشمسُ قـد أذِنَـتْ فـذاك أصيلُـها ... بالوَرسِ عَصْفَـرَ هـذه الفَلـوات
هذي فجاجُ الأرضِ سـالتْ بـالورى ... مثلَ الدَّبى، قد سدَّ سِـتَّ جـهات
من راكبيـنَ حـدَتْ بـهم رُكبانُـهم ... للمشـعرينَ بـأروعِ الأصـوات
أو مـن مشـاةٍ هـاجروا لمَثوبـةٍ ... فهُمُو لدى الغُفْـرانِ خـيرُ مشـاةِ
أوْممتطيـنَ مـنَ الحديـدِ مراكبـاً ... هي فـي المراكـبِ آيـةُ الآيـاتِ
هيَ في السُّرى عندَ الشدائد والرَّخـا ... كالسَّـهْمِ يُدنـي أبعـدَ الغايـات
هيَ بالمَقـادةِ طـوعَ سـائقِها فمـا ... جمحَتْ لغـير طـوارئِ العِـلاَّت
هيَ مظهرُ العلمِ الحديثِ ومُخبرُ الـ ... ـفكـرِ المولِّـدِ أروعَ الخطـرات
هـيَ ثـروةُ البلَـدِ البعيـد وهـهنا ... في أرضِنَا هـي مَدفَـنُ الـثَّروات
فيـها تَسـابقَ كـلُّ مُحـدَثٍ نِعمـةٍ ... لا يَقتني منـها سـوى الرَّفـهات
يَرمي طـرازاً قـد مضَـتْ أيامُـه ... مسـتبدِلاً فيـه طـرازاً آتـي
هـيَ علَّـةُ العِـلاَّتِ فـي حيواتِنَـا ... قـد نَسـتحيل بـها إلـى أمـواتِ

****

حشرٌ يُريـك وسـائلَ النَّقـلِ التـي ... كانَتْ تَسـير عَلـى هَزيـجِ حُـداةِ
من راقلٍ يرغو ليهدج فـي السُّـرى ... أو صـاهلٍ يغـدو مـعَ النسـماتِ
أو نـاهقٍ وقـرَتْ عليـه حمولُـه ... بـالزَّجْرِ يَنقُـلُ أثقـلَ الخطَـواتِ

---

* جدة، ١٩٥٠م.

وهوادجٌ مــــن فوقــها قــد أشــرفتْ غيدُ الصّحــارى ظِـئرُ كـلِّ لِبـاةْ
لَعساءُ ســاجيةُ اللّحــاظِ فــإن رنَــتْ وتلفّتَـــتْ فرزينـــةُ اللّفتـــاتِ

****

شــتّى مراكِبنــا القديمــةِ واكبَـــتْ شتّى مراكــبِ عصرنَــا الفرهَــاتِ
هيَ جنَّـــةُ الغرُفــاتِ فــي الفلــواتِ أو غرفةُ الجنّـــاتِ فــي الرَّبــواتِ
ضُربَتْ بها الأســتارُ مــن فَجواتِــهَا نظرَتْ عيونـــي أجــرأُ النَّظَــراتِ
سِحْرٌ به ما شئتَ من أســرارِ (هـــا روتِ) التي أضحتْ منَ الحُرمــاتِ
لولا تمنُّعِهــا بِحُرمَةِ يَومِهَـــا الْـــ ممتــدِّ حتّــى مَطــرحِ الجمــراتِ
لشهدتُ موقعَ حُسنِها مــن كـلِّ مَــنْ لبَّـــى بموقِفِــهِ علــى عَرفَـــاتِ

****

حـــلَّ الظَّـــلامُ أرحْ بمزدلفـــاتِ هذا حصى الجَمَراتِ: خـــذ وَهـاتِ
وإلى «منى» قبلَ الصَّبـــاحِ فبكِّــروا وهنـــاكَ يــومٌ حـــافلُ البركـــاتِ
«رَمْيٌ»و«تضحيةٌ» و«حِلٌ» بعدَهـــا و«العيدُ» يجمـــعُ هـــذه «القُرُبـاتِ»
أليالِيَ التشــريقِ هــل مــن عَــودةٍ؟ يـــا طيبَــها بيضـــاءَ مِــنْ لَيَــلاتِ
أثلاثـــةٌ أيامُـــــها أم ســـــاعةٌ جمعَــتْ أطايبَــها مــدى سَــنواتِ
حِقَــبٌ تولَّــتْ لــم تُحقّــقْ رغبــةً وسُــويعةٌ كــمْ حقَّقــتْ رغبـــاتِ

****

في تهنئـة *

إليـكَ تـــهاني أخٍ ذاكـــرٍ ... وفـاءً وبعـضُ الوفـاءِ الذِّكَــرْ
بنُعمـى حيـاتِكَ فيمـا مضَـى ... و«سُعدى» حياتِكَ فيمـا حضَـرْ(١)
إليكَ التـهاني فقـد واكبَـتْ ... أمانيكَ شـمسُ العُلـى يـا قمَـرْ
فمجـدُك أو مجدُهـا لـهما ... بـ (أحمدَ) بيـنَ الـورَى مسـتقرّ
فما قـد أشـادَ ومـا قـد يُشـيد ... على الدَّهـرِ مَجْـداً بعيـدَ الأثَـرْ
يعـودُ لبيـتٍ بنـى أُسَّـهُ ... علـى الخُلـدِ بـانٍ بعيـدُ النظـرْ
أقـامَ لـه مـن قلـوبِ العبـادِ ... عِمـاداً يَقيـهِ صُـروفَ القَـدَرْ
فألسِـنَةٌ منـهمو للدُّعـاءِ ... وأيْديـهُمُو للوغـى والظَّفَـرْ

للنبـوغ آيـة * *

لئـنْ شَـعَرتَ بـاكراً ... فالشِّـعرُ أنـتَ بكـرُهُ
وللنبـوغِ آيـةٌ ... مـا حُـدَّ يومـاً عمـرُهُ
صغـيرُه الكبـيرُ لا ... شـيخٌ حناهُ كِـبَرُهُ
علومُـهُ تُعـدُّ لا ... عُمْـرٌ يَسـرُّ كَـرُّهُ
قـد يفضـلُ التِّسـعينَ عـا ... مـاً ربعُـهُ أو عُشْـرُهُ

---

* نظمتها تهنئةً للسفير أسعد الأسعد في عرسه على كريمة الرئيس أحمد الأسعد، الزعيم العاملي اللبناني المعروف.وكان أسعد قائماً بأعمال سفارة لبنان في الحجاز، وكانت بيننا صداقة وزمالة... جدة، ٢٦/١/١٩٥٠م.

(١) سُعدى: اسم العروس.

* * كتبتها إلى ابن أخي جعفر، عندما بلغني أنه ينظم الشعر، وكان عمره ١٤ سنة. جدة، ٦/٤/١٩٥٠م – ١٨ جمادى الأولى، ١٣٦٩هـ.

جـدّاك: هــــذا نـــثرُه الْـــ ـــعـــالي وهـــذا شـــعرُهْ(١)
ذا جـــامعٌ أجـــدى العلــــو م قلبُـــــهُ وصـــــدرُهْ
فرافـــــعٌ لـــــها الصـــــرو ح جــــهدُه وصـــــبرُهْ
فنـــاهلٌ منــــها الفُــــرا ت عبـــــدُه وحـــــرُّهْ
وذلـــكَ المُلقـــــي القَريــــ ض مُعجـــــزاتٍ فكـــــرُهْ
مـــا الشِّـــعرُ إلا شـــعرُهُ لله . . . . درّ . . . درُّهْ
والشِّـــعرُ أدنـــى فضلِـــهِ طغـــى علينـــا بحـــرُهُ

****

أبـــوكَ والأفــــلاكُ مــــنْ أقدارهِــــنَّ قــــــدرُهْ
أعمـــامُكَ البـــانون... هــــذا كوخُــــه أو قصــــرُهُ
لكـــلٍّ جُـــهدٍ فـــي الحيـــا ةِ حلــــوُه أو مــــرُّهُ
ولـيـــس عيبـــاً نَـــزرُه لكـــنَّ فضـــلاً كَــثْرُهُ

****

أخوالُـــكَ الأعـــلامُ كـــلٌّ للمعـــــالي سَــــفْرُهُ
تَخـــالفَ الطريـــقُ لــــــ كـــنْ قـــد دعـــاهم سِـــفْرُهُ
وغايـــةُ المســـيرِ وتْـــــ رٌمـــا عداهـــم وَتْـــرُهُ

****

ذا دوحُـــكَ الريَّـــانُ أنــــ ـــتَ لُبُّـــه وقِشْـــرُهُ
إنّـــا لَننظـــرُ فـــي غـــدٍ آتٍ غـــدا لَـــكَ فجـــرُهُ

(١) جداه هما: السيد عبد الحسين شرف الدين جده لأبيه والشيخ عبد الحسين صادق جده لأمه.

سموت وأسف *

أنا يا محمَّدُ فـي الرجـالِ حُسامُ ذو مقطعَيْـنِ وفـارسٌ مِقْـدامُ
فيراعـةٌ تُملـي البيـانَ لئالئـاً في سِـمْطِها مـا عابَهُنَّ نِظـامُ
وقريحـةٌ تجلـو عرائـسَ فِكـرةٍ مـا زفَّهـا لمُتَـوَّجٍ إلـهامُ
ولكَمْ جلَتْ منّي الحـوادثُ صَيقـلاً ومَرَتْنِـيَ الآمـالُ والآلامُ
خُضتُ الشـدائدَ يافعـاً فتمـائمي في عُدَّتـي والتسـعةُ الأعـوامُ(١)
شـاهدتُ أيّـامي بـها فعرفتُـها وتعـرَّفَتْ بعزائمـي الأيّـامُ
ومضيتُ منفرداً على أنّـي لِقـا... جيشٍ وأهلي فـي الـذُّرى أعـلامُ
وتقلّبَتْ بـي فـي الحيـاةِ نـوازعٌ شـتّى ولكـنْ شـدَّهُنَّ زمـامُ
فمُـهاجمٌ ومدافِـعٌ ومحـايدٌ مـا فـاتَني فيـهَا وفـاً... وذِمـامُ
ومحـرِّرٌ لجريـدةٍ أو منشـئٌ لمجلّـةٍ... فموظّـفٌ قـوّامُ
أدّيتُ واجبَها اثنتي عَشْـرٍ مضَـتْ أيامُـها لا عـادَتِ الأيّـامُ
وأصَبْتُ فيها كـلَّ مـا اسـتهدفْتُه إلاّ اللواتـي صيدهُـنَّ حَـرامُ
ومشتْ إليَّ مـن المطـامعِ شَـرَّةٌ يسـتامني فـي نيلِـهَا مُسـتامُ
فأبَيْتُـها فِعْـلَ الأكـارمِ رِفْعَـةً هـي للأُبـاةِ مَهانـةٌ ورَغـامُ
وسَمَوْتُ أقبضُ بـاليدَيْنِ كرامتـي وأسـفُّ حَشْـوَ بُـرودِهِ آثـامُ

---

* نظمتها عندما ألغى السويدي، وزير خارجية العـراق، وظيفتي فـي الخارجية، لحقدٍ له علـى أخـي صدر الدين، وأرسلت هذه الأبيات إلى السيد محمد سرور الصبّان، وزير الماليـة السـعودية، ورجـل الأعمال فيها، وهو متذوّق للأدب، واستعنته على تيسير عملٍ حرٍّ لي في الحجاز - جدة ١٩٥٠م.

(١) أشير إلى السنّ التي كنت فيها، سنة ١٩٢٠م، سنة الثورة العاملية على الإفرنسيين، التي شرّدتنا بعدها وتعذبنا مع سيّدنا الوالد، رحمه الله.

السويدي *

إنَّ السُّـــويْديَّ الـــــذي ... تاريخُـــه يـــا مَـــنْ كَتَـــبْ:

قـــد رأَســـوه مـــــرَّةً ... فكـم علـــى عِـــرْضٍ وثَـــبْ

واســـتوزروه مـــــرَّةً ... فكـــم لمـــالٍ قـــدْ نَـــهَبْ

فـــإن أتـــى ثانيـــــةً ... وزارةً فـــلا عجَـــبْ

أعمالُـــه نيَّاتُـــه السَّـــــــ ... ـــودا لـــه منـــها نَسَـــبْ

طِباعُـــه تَجـــري بـــهِ ... فـــي دَمِّـــه وفـــي العَصَـــبْ

لـــؤمٌ وبُخـــلٌ ثُـــمَّ تَنْـــــ ... ـــكيـــلٌ وحِقْـــدٌ وغَضَـــبْ

مونيكـــا * *

تَراقصَ السؤالْ

وهمٌ أم خيالْ؟

رأيتُها بناظري مثلَ السَّناءِ السَّافرِ

مثلَ السَّنا ملءَ الدُّنى

ملءَ خيالِ الشاعر

في رفَّـــةِ الشفاء...

---

* هو توفيق السويدي، وزير خارجية العراق، وكان قد ألغى وظيفتي في الخارجية لحقد له علـى أخي صدر الدين. – جدة، ١٩٥٠م.

* * جاءت من سويسرا إلى الصحراء، لتقول لبنات عـــزَّة: فـــي جنيـــف فتيـــاتٌ عُذريّـــات.، جـدة، ١٩٥٠/٢/١٥م – ربيع الأول ١٣٧٠هـ .

في سرِّنا، في جهرنا، في كلِّنا

في قدرةِ الإله

فهل رأيتَ ما أرى؟

فوقَ الثَّرى أو في الذُّرى...

في قِمَّةِ الجِبَالْ!!

***

قيدَ يدي...

أنالُها؟!!

أُمددْ يداً للفرقدِ

لا تعجبوا!!

إنَّ السَّنا لا يُحجبُ

هذا الصَّدى ليس سُدى

إن النَّدى ثَغرُ الزُّهورِ الشُّنَّبِ

أما درى؟

ليثُ الشَّرى إنْ زأرا

في صوتِه البعيدْ لجلجةُ الرّعديدْ

هيهاتِ منِّي الفرقدُ

قيدَ يدي!!

***

مددتُها للفَرقدِ!!

هذي اللَّيالي لا أرى في ضَفَّتَيْها قمرا

نهارُها ظَلامْ

وغيمُها رُكامْ

ورحبُها زَحامْ

أكنتِ كالشَّمسِ بها تَداحُ في جلبابها؟!

أكنتِ فيها الحورْ؟

ومنفجَ العطورْ

أكُنتِ فيها الطِّيبْ

والمَندلَ الرَّطيبْ

والوصلَ والحبيبْ

عَهدي بها الصَّحراءْ قد جفَّ منها الماءْ

مَنْ شقَّ فيها النيلْ؟

وأنبتَ النَّخيلَ؟ والسَّروَ والحِنَّاءْ

ماذا أرى؟

صحراءَ ذي...

أم من جنيفِ مَنظرا؟

جميلة *

عينان كالأملِ ... يخبو ويَشتعلْ
دنَتَا... كمتَّصلِ ... نأتا... فما تَصِلْ
دعتا... كمُبتهلِ ... ... ألهُذبُ تَبْتَهلُ
يا خُطوةَ الثَّملِ ... خفِّي... هنا الثَّمَلْ
يا صَحوةَ الفَشَلِ ... إغفي... هنا الأملُ

****

شفتانِ من شُعَلِ ... تَتوهَّجانِ ظمَا
شوقاً إلى القُبَلِ ... محمرَّتانِ دمَا
لا تدنُ تَشْتَعِلِ ... أو فادنُ مُقتحِمَا
علاًّ بلا نَهَلِ ... كالطَّيرِ إن دُهِمَا
يا نِغْمَ مُهْتَبِلِ ... مَنْ ثغرها عَنَما

****

صديانِ فانْتَهِلِ ... ألثَّرُّ مِبْسَمُها
ضَربٌ منَ العَسَلِ ... ما شارَ علقمُها
أخلِ المكانَ فلِي ... سرٌّ يُكلِّمُها
نَوعٌ منَ القُبَلِ ... ما ذاقَه فَمُها
نَهْجٌ منَ الغَزَلِ ... أقوى... يُحطِّمُها

---

* في حفلة ما... تُليتْ قصيدة مونيكا باللغة الإفرنسية مباشرة، مترجمة عن نسختها العربية. وأقبلت غادة فرنسية، منبتها الجزائر تقول لي: أليس بي ما يعجبك؟ قلت: أجل. لكنْ أنتِ شيءٌ آخر... وسأقول...

جدة، في ١٩٥١/١/٧م.

وجـوه من قفا *

عندما ألغيت وظيفتي، في أواسط سنة ١٩٥٠م أرسل سيدي الوالد - رحمه الله -برسالة إلى ملك الأردن يطلب منه التوسط برفع هذه الظلامة عني لدى ابـن أخيه عبد الاله. وكان الملك عبدالله يستجمُ في بيت جالا وكنت أنـا وأخـي صدر الدين وابن عمي السيد مرتضى هناك . وتمكنا من مقابلته بيسـر، وضـرب لنـا موعداً في عمَّان وأنزلنا في ضيافته. وعند موافاتنا الموعد في عمَّان ماطل رجـال القصر بإنجاز المقابلة فأعرضت عنها. وتلاقيت في صالة الفندق (فيلادلفيـا) عنـد سفري بالسيد فرحات شبيلات أحد رجال الدولة الأردنية وكان أستاذاً في ثانويـات العراق قبل ذلك، وكان لنا به معرفة فاستفسر عن وجودنا فأعلمناه الخـبر فطلـب البقاء على أن يكون وسيط الإنجاز. فقلت خذ هذه الأبيات وكن وسـيط وصولـها الأمين إلى الملك.

وقفـتُ ببـابكَ يـا بـنَ الحُسـينِ ثلاثـاً ويومـاً مُلئـنَ أسـى
وليـس يَضـيرُ بيـاب الملـوكِ وقـوفٌ... ولكـنْ يُميـتُ الإبـا...
وأنـتَ مـنَ القـومِ سنُّوا الإبـا وأنتَ مـنَ القـومِ أحيـوا الرجـا
ولكـنْ علـى بـابكَ المُرتجـى شُـخوصٌ وجوهُـهمُ كالقَفـا
تجافتْـهمُ مَكرمـاتُ الكِـرامِ فَـهُمْ فـي مَجـالي الكِـرامِ هَبَـا

******

* عمان ، ١٩٥٠/٩/١٠م.

أمّـــا الريـــاءُ فلـــن يكـــو ن وســيط غـــايي أو طِلابـــي
مـا ارتبـتُ فـــي نفســي لأو ردَهـــا مـــوارِدَ إرتيـــابِ
مـا حيلتـــي والنـــاسُ يُغـــ ـريـهاالوميضُ مــنَ الســرابِ
صــوتُ العنـادلِ ليـسَ يُطــ ـربُــها... وتَطــربُ للغُــرابِ
ألنفــسُ مـــا أســـكنْتَها مــن عــامرٍ أو مــنْ خــرابِ
ألنفــس أقـــربُ فطـــرةٍ للقَـــول عُسّــــل بالرَّغــابِ
فحــذارِ إنَّ الصِّــلَّ يُخـــ ـفـي ســمَّه ليــنُ الإهــابِ

أذواء ولا يزن *

عُـذراً إذا مــا جمجــمَ اللّسِــنُ مــا القــولُ إلاّ الشـجوُ والشـجَنُ
والقــولُ فيـكَ علـــى تَيَسُّــرِهِ صَعــبٌ يعقّــدُ ســهلَهُ الحَــزَنُ
طالَ السِّــرارُ وأنــتَ عــن كَثَــبِ في الغيــب أنكـرَكَ الأُلــى جَبنـوا

****

يــا عِصمــةَ اللاّجيــنَ مــا فِتَــنٌ لُجيَّـــةٌ مــن فوقِــهَا فتَـــنُ
طُـويَ الشِّــراعُ بــها فـلا أمــلٌ ترنــو لــه فــي يأســها السُّــفُنُ
مــلَّ الــوَرى جَــوْراً بتفرقَـــةٍ هـــذا لـــه غُنْــمٌ وذا غَبَـــنُ

---

* في حفلة ذكرى وليّ الأمر، عجّل الله فرجه، التي أقامها في الصحن الكاظمي الشريف، الســيد محمــد مهدي الصدر، في ١٥ شعبان ١٣٧١هـ - ١٩٥٢/٥/٩م.

ألنــــاسُ: أذواءٌ ولا يَـــــزَنُ ومُملَّكـــونَ بـــــها ولا يَمَـــنُ
فموكَّـــلٌ ذو بِطنَـــةٍ نَـــهِمٍ بـــالعيشِ... إلاَّ أنـــه فَطِـــنُ
تَنـداحُ ذمَّتُــه فمـــا وَســـعَتْ كوسـاعِهَا الأريـافُ والمــدُنُ
وتَضيـقُ حتَّـى مـــا غُلالتُــه أجيابُـــها اتَّسـعَتْ ولا الـرُّدُنُ
قـالوا لنــا ذا خـــيرُ مؤتَمَـــنٍ وبـه مصـيرُ العيـشِ مُرتَــهَنُ
قلنــا أجـلْ سـيَفيضُ موســمُنَا بالخيرِ... مــا ضَــرْعٌ ومـا لَبَـنُ؟

****

ومُداهِـــنٌ ذو ظَـــاهِرٍ مَـــرِنٍ فيــه تحفُّــزَ بـاطنٌ خَشِـــنُ
فـي الخـيرِ لا أهـلٌ ولا وطـــنُ للشَّـرِ فيـــه الكِـــنُّ والسَّـكَنُ
قـالوا لنـــا ذا كيِّـــسٌ فَطِـــنٌ فـي مثلِـــه يُســتصلَحُ الزمـــنُ
قلنـا أجـلْ وإليـــه مرجعُنَـــا مـا سـرُّهُ خـافٍ ولا العَلَـــنُ!!

****

ومصعّـرُ الخدَّيْـنِ ذو صَلَـــفٍ قِيَـمُ الكــرامِ بوزنِـــه عَـــهَنُ
ينتاشُـهَا غيبـاً فـإن حضـرَتْ أقعـى يُحـرِّكُ ذيلَـه الوَهَـــنُ
قـالوا لنـــا ذا أصيَـــدٌ علَـــمٌ لا العَـــيُّ يُعجِـــزُه ولا الجُبُـــنُ
قلنـا أجـــلْ ومنشَــمٌ عَطِــرٌ (ضـاعَتْ) بــه الأفـلاكُ والقُنَــنُ!!

****

ومنفَّـجُ الحُضنَيْـنِ ذو سَـمَنٍ ألضعـفُ فـي أبــرادِه السَّـمَنُ
لـم تـدوِ فـي الآفـاقِ صَيحَتُـــه إلاَّ وفـــي أصدائِـــها الإحَـــنُ
مـن دعـوةِ الإصلاحِ مَغرسُـــهَا لكـنْ مواســـمُ قطفِـــهَا مِحَـــنُ
مـن علمِـهِ ذاك الـذي زعمـوا ألجـهلُ والتَّضليــلُ والفِتَـــنُ

****

ومسبَّقٌ ذو نَزوةٍ زَمِنٌ   لا مهرُه نهدٌ ولا أرِنُ
جلَّى وما في دَهرِنَا عَجَبٌ   كم سابقٍ بمؤخَّرٍ قمِنُ
ومفوَّهٌ ذو الصَّمتِ مُمتَحَنٌ   من ناطقٍ بالغيِّ يُحتجَنُ
قلنا: وهذا الناطقُ اللَّسِنُ   وسواه منّا الأخرسُ اللَّكِنُ

****

ومكفكفٌ ذو الطُّولِ مقتعِدٌ   ما الجبنُ أزراهُ بلِ الغَبَنُ
خسرتْ لدى الفُهَّامِ صفقتُهُ   ما الوزنُ خاسَ بلِ الذي يَزِنُ
ورووا لنا عن عجزه قِصصاً...   ما لا وعَتْ عينٌ ولا أُذُنُ

****

والنَّفسُ ذاتُ النفعِ شارهةٌ   ما حدَّ من أطماعِها زَمَنُ
شُدَّتْ لأخرى عفَّةً قَرَناً   كيما يَروضُ شِماسَها القَرنُ
وتسلَّحَتْ بأحدَّ ما ابتدعا   ه المُغريانِ المالُ والدَّدَنُ
وأتتْ بِبَدْعٍ من تفلسُفِها   داءٌ له في صَحوِنَا وَسَنُ
بمغرِّرٍ من فِعلِهِ خَدرِ   تعيا بِعُمقِ سُباتِهِ الحِقَنُ
بمركبٍ من نفعِها خَطِرِ   ألحقدُ فيه الجذعُ والغصنُ
مدَّتْ بها (الرَّعناءُ) ضِلَّتَها   فانسابَ من كفِّ الهُدى الرَّسَنُ

****

شـغلَ البريَّـةَ عـن هِدايتِـها (فِتِـنٌ وفتَّـانٌ ومفتتـن)[1]
دأبَـتْ ثلاثتُـها ومـا حفِلَـتْ بـالرُّوحِ منـذ اكتنّـها البَـدنُ
وتوطَّنَـتْ فـي الأرضِ عائثـةً مـا فـي السَّما لشرورِهَا وَكَـنُ
علمَـتْ بـأنَّ الأرضَ صالحـةٌ لفسـادِهَا تجنـي وتَخـتزِنُ

****

ولـها الثلاثـةُ مـن ثلاثتِـهَا ألنَّفـسُ والشَّـهَواتُ والأفَـنُ
زعمَـتْ حقـائقَ كلُّـها دَرَنُ قـد أنبتَـتْ خضراءَهـا الدِّمَـنُ
دلَّـتْ عليـها رغـمَ منظرِهَـا ريـحٌ لـها فـي نَشـرِهِ نَتَـنُ
قالَتْ لنا: ما الديـنُ مـا السَّـنَنُ؟ رجعُ الصَّدى: ما الدِّينُ مـا السَّنَنُ؟
قالتْ لنا ما الشـعبُ مـا الوطـنُ؟ رجعُ الصَّدى: ما الشعبُ ما الوطـنُ
قـالتْ لكـمُ فـي الأرضِ مُتَّسَـعٌ وطـنٌ لشـتَّى الخَلْـقِ يَحتضِـنُ
وشـعوبُها شـعبٌ لكُـمْ شَـرَعٌ لا أبيـضٌ فيـه ولا دَكِـنُ
مـا الـبِرُّ أن يَعـرى بـها بَشَـرٌ طـاوٍ ويُكسـى آخَـرٌ بَطِـنُ

****

يا نِعْمَ ما زعموا يا بِئْسَ ما فعلـوا ألودُّ إن وَجِلُـوا والحِقْـدُ إن أمِنـوا
يا بُعْـدَ مـا قـالوه فـي عَـلَنٍ مـن بـاطلٍ بـالحقِّ يدَّهِـنُ
ما غـابَ عنـهم عُـرْفُ مُجتمَـعٍ مـا غـابَ عنـهم شُـرْعَةٌ سَـنَنُ
لكنَّـهمُ نُكْـراً بـه هَدمـوا وَطنـاً فـلا شَمْـلٌ ولا سَـكَنُ
وإذا بنـا فـي كـلِّ مجتمـعٍ فوضـى تَعيـثُ بجمعِنَـا الإحَـنُ
وإذا بنـا لا الآمنـونَ سُـرىً حطُّـوا الركـائبَ ثَـمَّ أوْ ظَعَنـوا

---

(١) هذا الشطر مقتبس من قصيدة للمغفور له الشيخ عبد الحسين صادق.

وإذا بنــــا عُصَـــبٌ مُشـــرَّدةٌ مــا كــفَّ مــن غلوائِــها رَسَـــنُ
تَــهيامُ ســـادرةٍ بـــلا رَشَـــدِ تَعِبَــتْ بــردٍ صوابِـــها الفِطَـــنُ
لا تســتبينُ طريقَـــهَا عمـــهاً ضربَــتْ نِطاقــاً حولَــهَا الدجَـــنُ
ولَكَمْ تساوى فـــي مَجاهِلِـــهَا الـــ ـــمتناقضـــانِ: القُبْـــحُ والحَسَـــنُ
ولَكَمْ تَباعدَ فـــي مخارِمِـــهَا الـــ ـــمتقاربـــانِ: العَيْـــنُ والأُذُنُ
ما أرخصَتْ فـــي الغـــشِّ سِـــلعتَهَا إلاَّ ليغلــــو الغَبْـــنُ والثَّمَـــنُ
مـــا درَّ ضَـــرْعٌ فـــي ضَلالَتِـــهَا إلاَّ ومنـــــها الحَلْـــبُ واللَّبَـــنُ
مـــا زلَّ فـــي شَـــرَكٍ لنـــا قَـــدَمٌ إلاَّ ومنـــــها حَبلُـــــهُ المَـــرِنُ
ما زعزعَـــتْ فـــي مؤمـــنٍ ثِقَـــةً إلاَّ وقـــــرَّ مكانَـــــها وَثَـــــنُ

****

يـــا هـــاديَ الضُـــلاّلِ فـــي حَلَـــكٍ لا النجـــمُ يَهديـــهَا ولا السُّـــنَنُ
عَمِيَ الطريقُ وليـــسَ مـــن قَبَـــسٍ تُومـــي الســـفوحُ بـــه ولا القُنَـــنُ
حقّـــاً يُقـــالُ أنحـــنُ فـــي دَلَـــجٍ مـــن ليلَـــةٍ طـــالَتْ بـــها المِحَـــنُ؟
هل أنتَ والفجـــرُ الوشـــيكُ غـــداً يُبديـــكَ فينـــا طـــالِعٌ حَسَـــنُ؟
طـــالَ الغيـــابُ وكلُّنـــا أمَـــلٌ فـــي أوبـــةٍ بـــالعدل تَقـــتَرِنُ
أعوامُنَـــا عَجْفـــاءُ لا ضـــأنٌ متكفِّـــئٌ سِـــمَناً ولا بُـــدُنُ
طـــالَ انحبـــاسُ الغيـــثِ لا كـــلأٌ فـــاهطِلْ رويَّ الأرضِ يـــا مُـــزُنُ

العَوْدُ أحْمَدُ *

إنْ كانَ بُعْدُكَ أمسِ أرشَدْ ... فالعودُ هذا اليومَ أحمَدْ
ما كنتَ تصدرُ في الذي ... تأتيه إلاّ عن مُسدَّدْ
ألمَجلسِ الأعيانِ مَغدى ... عنكَ في الجوِّ الملبَّدْ؟
ما كانَ للأعيانِ في الـ ... ـيومِ العَصيبِ سواكَ مقصَدْ

****

ألذكرياتُ منَ السّنيـ ... ـنَ تجاوبَتْ أصداءَ سُؤدَدْ
ما كانَ منها عن قريـ ... ـبٍ منذُ خمسٍ أو فأبعَدْ
شهدتْكَ نُبلاً أوحديـ ... ـداً نابضاً في قَلبِ أوحَدْ
شهدتْكَ عزماً عبقر ... يّاً ناهضاً بالعبءِ مُفرَدْ
شهدتْكَ أنجدَ مَنْ يُلبْـ ... ـبي صرخةَ الوطنِ المُهدَّدْ
في «نهضةٍ» أو «مِحنةٍ» ... أو «وثبةٍ» أو ما تَجدَّدْ(1)
شهدتْكَ تَرجوكَ البلا ... دُ أحاضراً أم كُنتَ مُبعَدْ
شهدتْكَ فوقَ الدَّستِ أو ... في البيتِ نوراً ليسَ يَخمُدْ
شهدتْكَ في جَزْرِ الحُكو ... مَةِ مثلما قد كنتَ في المَدْ
ألسَّيفُ يُنضى في الشّدا ... ئدِ إذ يُرجّى وَهْوَ مُغمَدْ

---

* تولّى السيد محمد الصدر رئاسة مجلس الأعيان، منذ سنة ١٩٢٩-١٩٣٠م البرلمانية حتى سنة ١٩٤٣، حيث اقتضت السياسة استبعاده فانتخب جميل المدفعي، ثم باش أعيان ونوري السعيد وصالح جبر. وفي سنة ١٩٥٣م عاد مجلس الأعيان فانتخب الصدر رئيساً له. بغداد، ١٩٥٣/٢/١٦م - جمادى الثانية ١٣٧٢هـ.

(١) النهضة: بعد الاحتلال أعقبتها ثورة ١٩٢٠م وكان السيد محمد الصدر من أبرز رجالها. والثورة: إشارة إلى حركة رشيد عالي الكيلاني التي لم يُكتبْ لها النجاح وكان السيد الصدر فيها من الأعمدة التي حفظت العراق من الانهيار. والوثبة: إشارة إلى الانتفاضة الشعبية على معاهدة «بورتسموث» وكان السيد الصدر رئيس الحكومة العراقية التي ألغت المعاهدة كلياً.

ألذكريـــاتُ السُّـــمْرُ تَـــر وي والأمـــاني الخُضــرُ تَشــهَدْ
إســمعْ لـــها ودَعِ المفنِّـــــــــــدَ... كلُّنـــا أمســـى مُفنِّـــدْ
ألذكريـــاتُ تقـــول فاسْـــمعْ واتـــركِ التَّـــاريخَ يَجحَـــدْ
قـــالَتْ ومُرْســـلُهَا صحيـــحٌ غـــيرُ مـــردود... كمُســـنَدْ
قـــالَتْ: شـــهدتُ «محمَّـــداً» فـــي مَشْـــهدٍ... وبـــألفِ مَشـــهَدْ
لا الشَّـــاطئانِ ولا الـــرُّوا فـــدُ منـــه للأوطـــانِ أرفَـــدْ
قـــالتْ وكـــانتْ عـــن قريـــب في البـــلادِ النَّـــارُ تُوقَـــدْ(١)
رقصَـــتْ بـــها النَّزَعـــاتُ جِنَّـــاً في ملائكـــــةٍ تَجسَّــــدْ
ولـــها زفـــيرٌ قـــد تصعَّـــدُ ولـــها شـــهيقٌ قـــد تـــردَّدْ
يلتـــفُّ بـــالحَيوات فهْـــــو لكـــلِّ ذي نَفَـــسٍ بمرْصَـــدْ
وإذا (محمَّـــدُ) وَسْـــطها يُومـــي فيُخْمِدُهَـــا مُحمَّـــدْ
بســطَ السَّـــلامةَ فالمـــهدِّ د طـــالبٌ عفـــوَ المُـــهدَّدْ
والـــرَّوْعُ زالَ فـــلا المُسَـــــهِّدُ فـــي حمـــاه ولا المُســـهَّدْ
والأمـــنُ رفَّ جوانحـــاً فاعتـــادَ موطنَـــهُ المشـــرَّدْ
يَمضـــي لِمـــا فيـــه الصَّـــلا حُ... فمـــا تلكَّـــأ أو تـــردَّدْ
بسياســـةٍ هـــيَ مـــنْ هبـــا تِ الفـــردِ واهبـــها لمُفـــرَدْ
فيـــها مـــنَ الخُلُـــق المتيـــــنِ صراحـــةُ الحـــقِّ المجـــرَّدْ
لا تلتـــــوي كـــــالأفعوا نِ وليـــس تنبـــو كالمُـــهنَّدْ
إرثٌ تسلســـلَ مـــــن ذُرى عَليـــا عَليِّـــك يـــا مُحمَّـــدْ

(١) يشير إلى الحوادث التي تلابست فيها الأمور، يوم الثورة على معاهدة «بورتسموث»، وأقالت صـــالح جبر من الحكومة، وجاء السيد محمد الصدر رئيساً للوزراء، فألغى المعاهدة، وقرّت الأمور في نصابها.

أمـالي الذكريات *

ألذكريـــــــــاتُ تمـــــــــاوجتْ عــبرَ الــرؤى مــــاءً وجَلمــدْ
ترنـــــو لشــــاطِئِها الأميـــــــــــن فــإنْ رسَــتْ فيــه تَعقَّــدْ
قـــالَتْ لنــا الذكــرى... وللتَّــــــاريخِ حَــرفٌ قــــد تــهوَّدْ
كـــانَتْ لـــــه مَثَــلٌ بــــأَبْجَدْ يَحْتَـــلُّ منــــها أيَّ مقْعَـــدْ
فـــانحطَّ حتـــى لا يُســــــــجِّــلَ حادثـــاً إلاَّ «يُـنَـــقَّدْ»
قـــالَتْ وبعـــضُ مقالــــهَا حـــرفٌ ولكـــنْ فـــي مُجلَّـدْ
رَمـــزٌ يُـــهوِّمُ فـــي مجسَّـــدْ هـــو مُطلـــقٌ حـــاكَى مُقيَّـدْ

****

قـــالَتْ علـــى الشــطَيْنِ كـــوخٌ فوقَـــه صــرحٌ مُمــــرَّدْ
قـــالَتْ وفـــي الأريـــاف زرْعٌ فــي المواســم ليـسَ يُحصَــدْ
قـــالَتْ وفــي الغابـــاتِ ذِئْـــبٌ قُربَـــه حَمَــلٌ تمــرَّدْ
قـــالَتْ وفــي الصَّحــراءِ ضَــــبٌّ ليــس ذا ذَنَـــبٍ مُعقَّــدْ

****

ألذكريـــــــاتُ تـــــــردَّدَتْ فـــي خـــاطرِ المَجـــدِ المخلَّــدْ
طيبـــاً ليُنْشَـــرَ فـــي البـــلادِ ونغمـــةً وُضِعَـــتْ لتُنْشَـــدْ
ألطِّيـــبُ مـــن فَـــنَرِ المَعـــارِكِ للأنـــوفِ الشُّـــمِّ يَصعَـــدْ
واللَّحــنُ صَلصلـــةٌ لصمـــصامٍ وحَمْحَمـــةٌ لأجـــرَدْ

---

* بغداد – كانون الثاني ١٩٥٣م.

قــالَتْ: علــى الأُفُــق البَعيــــــ ـــــدِ تحجَّبــتْ أخــواتُ فرقَـــــدْ
في برجِــــهَا المســحور ذي الْــــ ـــعَمَــدِ المعــــوَّجِ والمعســـجَدْ
فيـــه مَحــــــاريبُ الجَمـــــا لِ بــها العَــذارى الحُــورُ تُعبَـــدْ
كــم غَـــادةٍ كـــانَتْ بمرمَـــى الطَّـــرْفِ يجلوهـــا وأغيَـــدْ
تُـــهدى علــــــى أقدامِـــــهَا كــم جَبهــةٍ رُفِعَـــتْ لأصيَـــدْ
وَقِـــحٌ تَقَحَّـــــمَ قُدسَـــــها أمجانَـــةٌ والبيـــتُ مَعبَــــدْ؟!

****

قـــالَتْ... وحجَّبَـــها - فمـــا تبـدو - مِـنَ الآفـــاقِ مُـــربَدّ
حـــالَ الصفـــاءَ بـــها إلـــى كَــدَرٍ مِـــنَ الأكـــدارِ أنكَـــدْ
أسَـــرابُ أغربَـــــةٍ تُطـــا لـــعُ أم سَـــحابٌ قـــد تلبَّـــدْ
هَنَـــــةٌ... تُتابِعُـــــها هَنَــــا تٌ... فـــي قِطـــارٍ لا يُحـــدَّدْ
جـــاءَتْ مـــنَ المجـــهولِ تَقْـــــ ـــلِبُ أبيـضَ الأعـراسِ أســوَدْ
أرغـــى بـــها المَخمـــورُ - حــا ديــها - وأزبَـــدَ ثُـــمَّ عَربَـــدْ
زَجَـــلاً تجـــاوبَ أبعـــدا ه يَجْـــهُمُ الصَّـــوتَ المُـــرِدَّدْ

****

قـــالَتْ وأقبـــلَ مُدلِـــجٌ... كــم مهمَـــهٍ عـــانى وفَدفَـــدْ
مكــدودُ ســـيرِ خـــائرِ الـــ ـــعزمـــاتِ والآمـــالِ مُجـــهَدْ
أقصـــى أمانيـــــهِ الجِسَـــا م: بـــأنْ يُـــراحَ بـــأيِّ مَرقَـــدْ
فأنـــاخَ ركـــــبٌ - لـــم يُعـــ ـــرِّسْ مســـئداً والطَّـرْفُ مُسـهَدْ

سـألَ المَـــراحَ فنـــالَ منْــــــــ ــــــهُ الظِّـــلَّ والمـــــاءَ المـبرَّزْ
وإذا بــــــه ملَـــــكُ الجنَـــــــا نِ... فــلا يُــذاد بألــفِ مِـــذوَدْ
ومضـــــى يُغلِّـــــظُ أخدعيْـــــــ ــــــهِ الخَصْـــبُ والوَعـــيُ المبلَّــدْ
وثـــــوى يُرهِّـــــلُ أوسعَيْـــــــ ــــــهِ الفقــرُ والمـــــالُ المبـــدَّدْ

تاريـخ آلــك *

أيّــامُ تــاجكَ مـــا بــها غَسَـــقُ فيــها السَّــنا والشــعرُ والعَبَـــقُ
موصولةُ الأطـــراف قـــد نَظمَــتْ أفراحَـــــها الآفـــاقُ والطـــرقُ
نـــهضَ العـــراقُ لــها بمؤتلــــفٍ قلبـــاً فـــــلا شِـــيَعٌ ولا فِـــرَقُ
نَظَّـــرْ لـــها عيـــداً إنِ اختلفــــوا فـــي غيرِهَـــا فَبِـــهَا قَـــدِ اتَّفقـــوا
«ألفِصحُ» و «الفِطـــرانِ» يجمعُـــها يـــومٌ عَـــــنِ التتويــــجِ يَنبثـــقُ
أضحى العـــــراقُ: الشـــاطئانِ بـــه لكَ شيعةٌ ما الحِقْـــــدُ مـــا الحَنَـــقُ؟
كلٌّ يـــــرى فيـــه (الغديـــرَ) هـــوىً ألأرضُ تلــــكَ الأرضُ والأُفُـــقُ
هـــــذا النبـــــيُّ وذاك حيـــــدرَةٌ ألنــــورُ ذاك النــــورُ والألَـــقُ
والمســلمونَ هنـــا قَـــدِ احتشَـــدوا لا المـــالُ يجمعُـــهُمْ ولا المَلَـــقُ
أعطـــوكَ بيعتَـــهُمْ تَشُــــدُّ بِـــهَا كـــفٌّ علـــى الإخــلاصِ تَنطبِـــقُ

****

* نظمتها يوم تسلُّم الملك فيصل مهمات الملك في ١٩٥٣/٥/٢م.

سِبْطَ النبيِّ وكلُّنا مُهَجٌ ... تهفو إليكَ وكلُّنا حَدَقُ
حَفَّتْ بعرشِكَ كلُّ ماسكةٍ ... قلباً لها بِكَ في الدُّنى رَمَقُ
تَخشى عليكَ فكلُّها كَبِدٌ ... حَرَّى إليكَ وكلُّهَا فَرَقُ
ألحبُّ لا ينمو بجانحةٍ ... إن ماتَ فيها الخوفُ والقلقُ
لكَ وُدُّنا تسمو به حِقَبٌ ... يسمو به الإيمانُ والخُلُقُ
لكَ بيعةٌ في العُنْقِ لازبةٌ ... تُفدى لها يومَ الوغى العُنُقُ
يا نبتةَ الأملاكِ هل مَلِكٌ ... يُنْمى كما يَنْمي الضُّحى الفَلَقُ؟
يا بنَ الحُسَيْنِ بجانبيك زكَتْ ... أعراقُهُ والغُصنُ والوَرَقُ
فيكَ التقى «فرعاه» أمجدُهُمْ ... مِنْ عندِهِ الأمجادُ تتَّسِقُ
إن قلتَ «عاليةٌ» سمعتَ صدى ... نَخَواتِ هاشمَ رجعُها علَقُ
«أعقيلةَ الطَّفِّ» التي شهدَتْ ... عيناكَ ما رهَقوا وما زَهقوا
ألآنَ بَرْدُ مضجعَيْكَ منىً ... بُلِّغْتَها، والتاجُ يأتلقُ

****

يا بنَ الفواطمِ خَيْرُ مَنْ صقلَتْ ... يا بنَ الهواشمِ خيرُ مَنْ مَشَقُوا
تاريخُ آلِكَ كلُّه شَفَقٌ ... لم يَخْلُ مَنْ محمرِّهِ أُفُقُ
نُطَفٌ لها في الأرضِ مُنبَثَقٌ ... يَجري بها نحوَ السَّما نَفَقُ
هي في السَّديمِ نيازكٌ عُجُبٌ ... هذي لها ألَقٌ وذي حُرَقُ
كلتاهُمَا للكونِ نَبعتُهُ ... يَجري حياةً دَفْقُها النَّسَقُ

أرأيتَ والدّك الكميَّ بها والجدَّ فيصلَ والألى سَبقوا؟

أحيا وأحيوا من معالِمِنَا ما كادَ - لولا اللهُ - يَنمحقُ

كانوا بِدارةِ مَجدِنَا قُطُباً يلتفُّ حولَهُمُ ويفترقُ

كسبوا بمبدئِهِمْ وإن خَسروا أقوالَ «كذّابينَ» ما صدقوا

نَصْرُ المبادئِ لا يُؤَخِّرُه كَسبُ المعاركِ والدَّمُ الدَّفِقُ

نصر «المبادئِ» كيفَ تَنطبِقُ وِفْقَ «المناهجِ» كيفَ تَنطلِقُ

****

يا مَنْ رأى الجبناءَ تُرعشُهُمْ ريحٌ على الأبوابِ تَصطفقُ

لا هجرُهم ذاك الذي هجروا لا عِشقُهم هذا الذي عَشِقوا

لا يومُهم هذا الذي أمنوا لا أمسُهم ذاك الذي فَرِقوا

ألروعُ قد خُلِقَتْ لها قَدَمٌ لا الشوكُ يُرديها ولا الزَّلَقُ

****

مَلِكَ القلوبِ تَلجلَجَتْ بفمي كَلِمٌ لها بغَلاصمي شَرَقُ

أأقولُ قولَ مداهنينَ لهم مِنْ غِشِّهم نُطْقٌ إذا نَطقوا

إنَّ العراقَ فرادسٌ بِدَعٌ مِنْ عَبقرٍ بنَّاؤه الحَذِقُ

فيه حياةٌ كلُّها مُتَعٌ فيه نَعيمٌ سَيْبُهُ غَدِقُ

فيه الملائكُ حاكمونَ لَهُمْ في العَدْلِ قولٌ فاصلٌ ذَلِقُ

والريفُ فيه مَنْدَلٌ رَطِبٌ ناغاه ثَمَّ الطَّلُّ والوَدَقُ

والمنشـــآتُ علـــى شـــواطئِهِ خفّاقــةٌ علَمـــاً لـــها السَّـــبَقُ
شـــتّى صنائِعُـــها وأجمعُـــها فـــي وصفِـهنَّ الأبيـضُ اليَقَـــقُ

****

هــذا العــراقُ كمــا نــراه ثَــرىً أنــهارُهُ تجـــري... ويحـــترقُ
مُلكتَـــهُ شـــعباً ببَلقعـــةٍ: تكســوه مــن أســماله خِــرَقُ
لاقَــتْ بــه النزعــاتُ مَرتَعَـــهَا ... وهنا تلاقـــى الجَـهلُ والـنزَقُ

****

ريٍّ العـــراقَ: وكلُّـــه ظمـــأٌ هــذي الشــرائعُ كلُّـــها زَلَـــقُ
أوردْهُ منـــك شـــريعةً مَـــدَدَاً أنــتَ الفُــراتُ ومنــك يندفِـــقُ

دوّامـــة*

تلك الأمـــاني مـــا بكـرتُ لنيْلِـــهَا إلاَّ لأشــربَها طَـــلاً مســـكوبا
فتشْتُ عنـــها فـــي الربيـــع فنلتُـــهَا ورداً تَســاقَط فــي يــديَّ خَضيبــا
واجتَزتُه للصيـــفِ أبغيـــها جنـــىً رَطباً، فنلتُ بها الفضـــا المشـــبوبا
أفأرتَجيهَا فـــي الخريـــفِ مَناحـــةً أفأرتَجيـــهَا فـــي الشــتاءِ نَحيبـــا؟!
وطفقتُ أسألُ: صاحبيَّ عن التـــي فتَّشْــتُ عنـــها مَشــرقاً ومَغيبــــا
وإذا بـــها دَوَّامـــةٌ فـــي هـــامتي قــد أفقدَتنـــي ســامعاً ومُجيبـــــا

---

* بغداد، ٢/٣/١٩٥٤م – ٢٦ جمادى الثانية/١٣٧٣هـ.

الراحة الكبرى *

دنيـا الفتـى يَومـان والـ ... يـومُ الطويـلُ هـو الألـمْ
وَلكـمْ تطلَّـبَ يومُـه الثَّـ ... ـاني فجـادَ بـه الحُلـمْ
مـا رفَّ غـيرُ شِـراعِهِ ... فـي ذلـك البحـرِ الخِضَـمْ
قـد جـاوزَ المرسَـى الأميـ ... نَ فمـا هنـالك مُعْتَصَـمْ
ألرَّاحـةُ الكـبرى لـه ... يـومٌ يطـولُ بـه العَـدَمْ

طوالع * *

أكَمَـا يُقَـالُ طوالـعٌ ... أكَمَـا يُقَـالُ جُـدُودُ؟
وُجِـدَ البرايـا والنجـو ... مُ... فَقـائدٌ ومَقـودُ!
لـم يُعـطِ ثـروةَ طـائلٍ ... جُـهدٌ... ولا مَجـهودُ!
لـم يَكسـبِ النَّصـرَ المـؤزَّ ... رَ قـائدٌ... وجنـودُ!!
ما العلمُ مـا العَـلاَّم! مـا التـ ... ـقليـدُ؟ مـا التجديـدُ!
أحْلُـلْ حَيـازيمَ السُّـرى... ... فـالواصلُ القعـدودُ
واكفُـفْ أعنَّـةَ سـابقٍ ... فالسَّـابقُ المجـدودُ
واقعـدْ إذا اشـتجرَ القنـا ... فالغـالبُ الرِّعديـدُ!!

---

* بغداد، ٦/٣/١٩٥٤م.

* * بغداد، ٦/٣/١٩٥٤م.

آخر الليل *

جـــهلَتْ مخارمَـــــها اللصـــــو ص وقــارِبَ الليـــلُ الصبـــاحْ
واســــتيقظ المســـلوبُ يُــــــر سـلُ خلـف ســـالبه الصيـــاحْ
والديدبـــــانُ مــــــع الظــــلا ل بقَبســــــة الفجْرَيْـــــنِ لاحْ
وعلَــتْ هنـــا... وهنـــاك صـــا فــــرةٌ... ويشــتبك الســـلاحْ
ســــتجفّف الشـــمسُ الوشيـــــ ــــك طلوعُـــها وجــهَ البطـــاحْ

مقدّم **

رأيتَـــــه... وربَّمــــا تكونُــــــه وربَّمـــا يكـــون مـــن أرى أنـــــا
عوناً تراه في الطريـــق كــلَّ يــو مٍ هــــهنا وهــــــهنا وهـــــهنا
مكتـــنزاً زُرَّتْ عليـــه بـــــردةٌ لَو بيع كــانَتْ منــه أغلــى ثمنـــا
سمعته محدثـّـــاً مــــا عــرف الــــ إعــرابَ فــي حديثــه ولا البِنَــا
يفتــحُ شــدقي نــاهقٍ فصوتـــــه قد يُســمع العيــنَ ويُعمــي الأُذنــا
وليتـــه مـــا اجــترَّ مـــا رويتُـــه أمـــس لـــه... لكـــان ذاك أهونـــا
رأيــتُ هـــذا عينَـــه مقدَّمـــاً تُهدى له الألقاب طـــوراً والكنـــى

---

* نظمتها أثناء الانتفاضات الشعبية التي هبت متتالية في العراق. بغداد، ١٩٥٤/٣/٧م.

** بغداد ١٩٥٤/٣/٨م.

مؤخر *

رأيتُــه... وربَّمــا قـــد كنتُـــه   وربَّمــا تكــونُ أنــتَ مَــنْ أرى
وصف امرئٍ يمشي علـى أقدامـه   والمشيُ حينــاً قــد يكــونُ للــورا
رأيتُــه زهــرَ الربــى معطَّـــراً   رأيتــه قطــرَ النـــدى مقطَّـــرا
ســمَتْ بــه أعراقُــه أن يفخَــرا   شــامخةً مــا تــاه مــا تكــبَّرا
يمشـــي وئيــداً مطرقـــاً كأنَّــــه   عذراء من فــرط الحيــا... تعثَّرا
مــــهذَّباً زُرَّت عليـــه بُـــردةٌ   ما عرفتْ (صنعاءَ) أو (مجســترا)
مــزوَّداً بكــلِّ مــا يُعلـي الفتــى   مؤدبـــاً مثقَّفـــاً منـــوَّرا
رأيــتُ هــذا عينَـــه بنـــاظري   في ذلك النـــادي... فتــىً مؤخَّــرا

فتاة برتريكو **

ليـــتَ أرضـــي (برتُريكـــو)   ليـــت فِتيــــاني (لوليتـــا)
تُســمع الظـــالمَ صوتـــاً   يمـــلأُ العـــالمَ صيتـــا
حينمـــا أوقـــرَ ســـمعاً   حينمـــا أولـــى سُـــكوتا
حيـــن لا موضـــعَ فيـــه   ترفـــعُ الصـــوتَ الخفيتـــا
أُنظـــروا هــــذي لوليتـــا   لبـــوةٌ تطلـــبُ قوتـــا
قوتُـــها الحريَّـــةُ الحمـــ   ـــراءُ... تخـــذي الجبَروتـــا

---

* بغداد ٩/٣/١٩٥٤م.

* * بُرتُريكو جزيرة في المحيط الأطلسي، ولوليتا فتاة من شعبها، حملت الأنباء أن هذه الفتـاة أطلقت خمس رصاصاتٍ من مسدسها في قاعة الاجتماع، في الكونغرس الأميركي وهو منعقد، ليسـمع العـالم صوت شعبها المطالب بحرِّيَّته. بغداد، ١٩/٣/١٩٥٤م.

لغـــــةُ الغابــــــةِ ظِفــــــرٌ ناشـــــبٌ يَصنـــــع مَوتــــا
ليـسَ فيـــها مـــن مـــلاك وَهْـــيَ ليســــتْ مَلكوتــــا
بابـــــها شـــــرٌّ بشـــــرٍّ مـــن هنـــا الغابـــةُ تؤتـــى

****

إنَّ فـي المجلـس - وهــو الـــ ـــغـــابُ - ثعبانــاً وذئبــا
إنَّ فـــي المجلـــسِ أوثـــا نـــاً مـــن الفـــولاذ نُصبـــا
ليـس فـــي المجلـــس إنســا نٌ يـــرى فـــي الله ربَّـــا
إنَّ فـــي المجلـــس ميـــدا نـــاً لرفـــع الصـــوت رَحبـــا
إنَّ فـــي قاعتـــه الكبــــــ ـــرى حســاباً ليـــس عُتبـــى
ســوف أُعلـــي فيـــه صوتـــاً ســوفَ أُجـــري فيـــه كســـبا
ســـأحيلُ الغـــابَ نـــاراً يُســـعر الذوبـــانَ حربَـــا
ســـترى المجلـــس والقـــا عـــةَ فيـــه صيـــحَ نـــهبا
هكـــذا قـــالتْ لوليتـــا ... وانتخَـــتْ تشـــحذُ قلبـــا

****

وعـــلا صـــوتُ لوليتـــا: أنـــت يـــا هـــذا عُنيتـــا
إصـغ يـا مجلـسُ... يـا مــن بلوليتـــا قـــد بُليتـــا
هـــات حريـــةَ شـــعبي شـــئتَ هـــذا أم أبَيْتـــا
أنـــا إن مـــتُّ فـــداءً بُرتريكـــو لـــن تموتـــا
أنـــا لا أطلـــبُ صيتـــاً إنَّمـــا أســـمع صوتـــا
أنـــا لا أطلـــبُ صَيـــداً إنمَّـــا أصـــرع حوتـــا

عشـــتَ يـــا شـــعبيَ حـــرّاً عشـــتَ حـــرّاً مـــا حَيِيتـــا
ودوتْ خمـــــــــسٌ وأدَّتْ واجبـــــاً عنـــــها لوليتـــــا
برُتريكـــــــــو علَّمينـــــــا كيـــف أنشـــأتِ لوليتـــــا؟!

من حداء القافلة *

أيها السادر:

ألا فانتبِـــــهْ أيُّـــها الســـــادرُ فركـــبُ الحيـــاةِ هـــو الســـائرُ
حـــذارِ فكـــــمْ حـــائرٌ خـــائرُ تخلَّـــف فاجتاحـــه العـــــابرُ
وكـــم مِـــن مـــهيبٍ بـــه للـــوراءِ فأخرسَـــه الزمـــنُ الســـاخرُ
حـــداءُ الركـــائبِ هـــذا الزئـــيرُ مشـــى خلفَـــه يومُنـــا الـــهادرُ
أظلَّـــةُ أزمانِنَـــا العـــــاثراتِ تلاشَـــتْ فـــلا زمـــنٌ عـــاثرُ
وحاضرُنـــــا أبـــــداً ســـــاهرٌ لمســـتقبلٍ أبـــــداً نـــــاظرُ
ألا فانتبِـــــه أيُّـــها الســـــادرُ فيومُـــك فينـــا لـــه آخـــرُ

أيها الراقد:

ألا فانتبِـــهْ أيُّـــها الراقـــدُ نذيـــرُك هـــذا الســـنا الصـــاعدُ
فلســـتَ بمـــوري زنـــاد الظـــلامِ وقـــادحُ زَنـــدِ الدجـــى خـــامدُ
لقد حـــرَّك الـــبردُ هـــذي الثلـــوجَ يُســـاقطُها البـــارقُ الراعـــدُ
ولســـتَ بمقتبِـــس وقـــدةً قـــدِ انطفـــأ الوقـــدُ والواقـــدُ

---

* بغداد، ١٩٥٤/٣/١٠م.

عشـــوتَ فنـــاظرُك الــــهامدُ ... لنـــورِ الضحــــى أبــــداً فـــاقدُ
تَخبَّــطْ فمـــا أنــت بالمســـــتفيق ... ورأسُــك فـــي خمـــره حاشـــدُ
ومـــا أنــــت معتــبرًا هــزّةً ... تَزلــزلَ مــن هولــها المــاردُ(١)
ومـــا أنـــت متَّعظـــاً بـــالتي ... أقـــرَّ بمنزلـــها الجـــاحدُ(٢)
جـــوارُك فـــانظرْ لـــــه قائمـــاً ... يُشـدُّ بــــه الزنـــدُ والســـاعدُ
تمطَّــــى وســــدَّدها ضربـــــةً ... تَداعــى لــها وضعُـــه الفاســـدُ
ألا فانتبِـــهْ أيَّـــــها الراقـــــدُ ... فوعـــيُ الشـعوبِ هــو الصـــاعدُ

موطن الرمال*

قالوا: الصحـــارى أرضُـــها رمـــلُ ... لا نبــتَ فيــها... كلُّــها محـــلُ
إن أخصبَــتْ فـــالكمء موســــمُها ... أو أشــجرَتْ فـــالمورفُ الأثـــلُ
لا مـــاءَ يجـــري فـــي مرابعـــها... ... ألمـــاءُ فيــــها آســـنٌ ضحـــلُ
إنْ أمطـــرَتْ خزنَـــتْ فرافدُهـــــا: ... ألبـــئرُ والصَّـــــهريجُ والحبـــلُ
أو أمســكتْ عبَّـــتْ رواكدهـــــا: ... ألشـــاءُ والإنســـانُ والإبـــلُ
مُلئَـــتْ بَواديـــها بناطقـــــةٍ ... لـــم تـــدرِ مـــاذا يَخـــزنُ الرمـــلُ؟
شُـــغفَتْ براويـــةٍ وقافيـــــةٍ ... وبمطلـــعٍ بقصيــــده يَغلـــــو
متحكِّـــمٌ فـــي ســـــيرِها مَـــهلٌ ... وتخلُّـــفٌ بالـــهادفِ المــــهلُ

---

(١) إشارة إلى الملك فاروق الذي أطاحت به ثورة تموز المصرية ١٩٥٢م، بقيادة جمال عبد الناصر.
(٢) إشارة إلى الرئيس السوري أديب الشيشكلي الذي أودى به طغيانُه في شباط ١٩٥٤م.
* ١٢/٣/١٩٥٤م.

لـو أنَّـها عمِلـتْ ومـا نطقَـتْ: لقضـى عليـها الفقـرُ والجـهلُ
لكنَّـها(نطقَـتْ) ومـا عملَـتْ فسما بـها حيـثُ الغِنـى (عَقْـلُ)
والعقـل - مـا مـلأتْ حياضُـهُمُ (آبارهـا) ... والمـرُّ قـد يحلـو

مشاريع *

مشـاريعُك النبـعُ لا تنضـبُ وحيلتُـك الثعلـبُ القُلَّـبُ
تحيـكُ وتـدأبُ لا تنصـبُ لأنَّـك مـن نَملـةٍ أدأبُ
ونـدأبُ ننفـضُ مـا حُكتَـه ونـدأبُ فـوقَ الـذي تـدأبُ
أتحسـبُ أنَّـكَ لا تُغلـبُ سـننظر فـي الغـد مـن يغلـبُ
شـرعتَ لمشـرقِنا شُـرعةً لنـا غرمـها ولـك المكسـبُ
وضعـتَ لإنجاحِـها خطَّـةً ولوَّنتـها مثلمـا ترغـبُ
وقلَّبتَـها حَسْـبَ أزمانِـها كمـا يشـتهي السـوق أو يطلـبُ
وقدَّمتَـها شـكلَ أسـطورة كـأوَّل أحبولـةٍ تنصـبُ(1)
ترنّـح سـكراً لـها (وائـلٌ) وغنَّـتْ لفرحتـها تغلـبُ
فدولتُنـا: هضبـاتُ الحجـازِ لسـدٌّ تعـالى بـه مـأربُ
لنجـدٍ وسـوريَّةٍ والعـراقِ لحـوض الخليـج... ومـا يعقـبُ
ونصحـو تُبخِّـر أحلامَنـا سـياطٌ بواقعنـا... تلـهبُ
وقلّصتَـها بعـدُ فـي دولـةٍ (هـلال الخصيـب) بـها يغـربُ
وألصقـتَ (كـبرى) بسـوريَّةٍ فأخطـأت فيمـا لـه تحسـبُ

---

* نظمتها بمناسبة حلف بغداد في ١٩٥٤/٣/١٣م.

(١) وعد الإنكليز الشريف حسين بتوحيد بلاد العرب تحت تاجه.

فلنيَخـــدعَ الحــــرَّ عــــن وِردِهِ   ســــرابٌ ولا بــــارقٌ خلَّـــبُ
فشــعبٌ بســـوريّةِ ألمعـــيٌّ   شـديد المـراس فمـــا يغلــبُ
بعيـدٌ... قريـبٌ... كـذا خُلقـــهُ   ولكـــنْ لمكرمـــةٍ أقـــربُ
يريـدُ الحيـاةَ كمـــا يرغـــبُ   فينشـــئها... لا التـــي توهـــبُ
وأخفقْــت لكـــنْ لتقتادنَـــا   جديـــداً لإخفاقـــةٍ تَعقُـــبُ
وجئـتَ (بحلـفٍ) تشـــدُّ بـــه   أقـــاليم دنيـــاك أو تســـحبُ
فـذاك لـــه غربُنـــا مَشـــرقٌ   وهـــذا لــــه شــــرقنا مغـــربُ
مشـاريعُك الفيـــضُ لا تنتـــهي   ولا أنــت مــن عرضــها تتعـــبُ
ولا نحــنُ مــن بعدِهـــا نقـــربُ   ولا هـــي عالمنـــا الأرحـــبُ
وتـــدأبُ تنصــــبُ أحبولـــــةً   ونــدأب نُحبـط مـــا تنصـــبُ

عيد الجامعة *

حققتِ ماذا من رجـــا يـــا جامعـــةْ   عشرٌ من الأعوام مرَّتْ ضائعـــةْ؟!
أسوى اجتماعاتٍ تفضُّ عنِ اجتمـــا   عـــاتٍ تُعيَّـــن بعــد ذلـــك تابعـــةْ
إنّي أجلُّ إذا احتبى في الدَّسْتِ نـــا   طقُها، وصـــرَّح بـــالأمور الناصعـــةْ
وأجلُّ أكثر منـــه (لجنـــةَ) ســـائسٍ   ومسوسها: نحن القطيـــع الضائعـــةْ
كم حققَتْ أملاً وكـــم هـــي خيَّبـــتْ   أملاً فما هي بعـــد ذلـــك صانعـــةْ؟
ولكم أُسِفَّةُ قـــول مـــن لا يرعـــوي   عن جهله: هذي المرايـــا خادعـــةْ

* نظمتها بمناسبة مرور عشر سنوات علـــى الجامعـــة العربيـــة. ونشـــرت فـــي جريـــدة الشـــعب، ٢٥/٣/١٩٥٤م.

عاطل *

أنا عاملٌ أنا عاطلٌ هاتوا عملْ

لي ساعدٌ شديدُ... بنيةٌ حديدُ

بي طاقةٌ معطَّلهْ

أنا حبَّةُ القمح التي تنبتُ ألفي سنبلهْ

لا تُهملوني... إنني أنا قنبلهْ

أنا إن حقدتُ منجلُ

وإن عملتُ فأنا سحابةٌ على الحقول تهطلُ

والخير... إن يدعُ فإنِّي أوَّلُ

بطالةٌ... وامرأتي تهمس أين مُؤنتي

وطفلتي... لا ضرع غذَّى طفلتي

لا تهملوني... فالعملْ:

لطفلتي وامرأتي وقوَّتي

والشيخِ في مزرعتي...

وجامع الضريبة... وحاكم الكلِّ الذي في البلدةِ

هم شركاء غلَّتي... ونقمتي... هاتوا العملْ...

لا تهملوني إنِّي... أنا قنبلةْ...

---

* نشرت مجلة الآداب اللبنانية صورة معبِّرة لعامل عاطلٍ وطلبت مني قصيدة تعبِّر عنها، فكانت هذه القصيدة في ١٠/٤/١٩٥٤م.

الطفل *

ما المرءُ إلا ذكرُهُ المردَّدُ | بين الورى فمذمَّمٌ ومحمَّدُ
والمال كان - ولا يزال - لجامعٍ | صحفاً تُبَيِّضُ تارةً وتسوِّدُ
ولطالما كان الثراءُ عواقباً | سوءَى... وحُسنى عند آخرَ تحمدُ
فمذلُّهُ لمنافعٍ ومعزُّهُ | بمآثرٍ في كلِّ جيلٍ تخلدُ
هاتان منزلتان إحداها الحصى | فوق الثرى ومحلُّ تلك الفرقدُ
هاتان للسفَر الطويل مزادةٌ | فاختر لنفسك أيُّها تتزوَّدُ
ألمالُ أفضلُ بذلُه بمعاهدٍ | شتَّى تثقِّفُ عقلنا وتجدِّدُ
ومؤسساتٍ: هذه تأوي وذي | ترعى وتِلْكُمْ للجراح تضمِّدُ
والطفل أولى في الحياة رعايةً | ألطفل مخصب أرضنا والمُرفدُ
ألطفل في حيواتنا مستقبلٌ | حفلت به فمرَفَّةٌ ومنكَّدُ
تشقى الحياة به وتسعد ما التقى | في الطفل مشقي عهده والمسعدُ
وأساس هذا الطفل صحَّةُ جسمه | فعليه يُبنى عقله ويُشيَّدُ

****

أملوّنَ العصر الجديد وجودُهُ | فمبيِّضٌ من يومه ومسوِّدُ
إن أدركَ الواعونَ أنَّك مصدرٌ | لنعيم دنياهم وأنَّك موردُ
ودروا بوشك رحيلهم وبأنَّهم | زُمَّتْ ركائبهمُ وحلّ الموعدُ

---

* أعددت هذه القصيدة لحفلة افتتاح مستشفى حماية الأطفال في الكاظمية، وكنت عضواً في جمعية «حماية الأطفال» القائمة هناك يومئذٍ. بغداد في ١٩٥٤/٧/٧م.

وبأنَّهم لولاك لم يتجددوا ذكراً وأنَّهمُ بذكرك خُلِّدوا
وبأنهم أنت امتدادُ حياتهم فمقلِّصٌ حيناً لها وممدِّدُ
إنْ أدرك الواعونَ منك مكانةً كيف ارتقَتْ في عالم تتجدَّدُ
رفعوك مِنْ هذا الحضيض إلى الذرى وعلا بمجدك كلُّ مَنْ يتمجَّدُ
وحنى لك الرأسَ المصعِّرُ خدَّهُ لا يومُه ذاك المشيحُ ولا الغدُ
وتتابعَتْ من تحتِكَ الأعناق لا الـ ـكفُّ التي تَهوي عليك ولا اليدُ
ولديك أقسمَ سيِّدٌ ومسوَّدٌ صدقاً: لأنت على الزمانِ السيِّدُ
وبنى لك الصرحَ الممرَّدَ معهداً ومنَ القلوب فسيحُها لك معهدُ
وأذلَّ فيك السمحُ ما قد عزَّ منْ أمواله مافضةٌ ما عسجدُ؟
ولَمَا رأيتَ المالَ بدَّدَ شملَه زيرٌ بأوكارِ الخنى ومعربدُ

انهض*

حمّلتَ دهرَك بعضَ ما حُمِّلتَه من همِّ دهرِكْ
فتزلزلتْ قدماه يعـ ـيا أن يقوم ببعض وقرِكْ
وكبوت تمنحُه المعا ذر وهو لا يقوى لعذرِكْ
كرَماً بطبعك للمسيـ ـء منحته رضوان برِّكْ

* نظمت هذه الأبيات، حين دخلت على السيد الصدر، في المرض الذي توفي فيه فوجدته مُلقىً لا حراك به، لما أصابه من شلل نصفه الأيمن. بغداد في ١٠/٣/١٩٥٥م – ١٥ رجب ١٣٧٤هـ.

إنـــهضْ - فديتُــك - مـــا الزمـــا ن بنــــاهضٍ إلاَّ بـــــأمركْ
مـــا اشـــــتدَّ منـــــه الأزرُ إلاَّ كــــانَ مشـــــدوداً بــــأزرِكْ
هــذي الأمــــاني لـــم تجـلْ فــي دارة، بســوى مقـــرِّكْ
لـمْ تحـلُ طعمــــاً فــي فــمٍ قــــد ذاقَــــها إلاَّ بمــــرِّكْ
صُــهرَتْ بعزمــك فــي الشـــدا ئـدِ مــا رأتْ صَـهراً كَصَــهرِكْ
رَهَجُ المعـــارك فــي صِبــاً لــك كــم جــلا وهَجــاً بصــدرِكْ
أمـــلٌ إذا مــــا فـــرَّ عـــا د إلــى الحقــائق مــن مكــرِّكْ

****

هــذي طيــور المجـــد مـــا زغبـــتْ عُــلاً إلاَّ بوكـــرِكْ
رفَـــتْ علـــى آفاقنـــا بالســعد ذلــك بعــضُ ســرِّكْ
مـــا شـــال منـــها طـــائرٌ فـــي نحســـه إلاَّ بزجـــرِكْ

****

يـــا واهبـــاً هـــذي المكـــا رمَ ألمدائـــحُ بعــض وفـــرِكْ
فاسـلمْ وخـــذْ مـــن عمرنـــا فيمـــا يزيـد بطـــول عمـــرِكْ

ريفنا لمن؟!*

يقظتنا كرى وعيشنا كرا..

وريفنا حلم

هواؤه وماؤه وأرضه لمن تُرى؟

فدجلة والزابْ:

كبيره صغيره من دجلةٍ ضميره

وصنوه الفراتْ

من نبعه حتى المصبّ

تجاريا في حدبْ

سطرين في تاريخنا من ذهبْ

أُنظرهما تجدهما:

على الضفاف نخلا

وفي الحقول بقلا

وفي المراعي إبلا

وللغريب أهلا... وناقةً ورحلا

وليس ذا عجبْ...

يقظتنا كرى وعيشنا كرا

وأرضنا مواسم الأفراحْ...

يثيرها الفلاحْ

---

* بغداد ١٩٥٥م.

بعزمه الملحاحْ

وقلبه الطمَّاحْ

وجهده النضّاحْ

بالحرث والحصاد والجناءْ

في الصيف والشتاءْ

آماله الفساحْ:

خليّةُ الضربْ

ومسقط الرطبْ

والتين والعنبْ... وبيدر الذهبْ

وعاد بالتعبْ... وليس ذا عجبْ.

فعيشه كِرا...

يا ثروةَ الإقطاعْ

يا شهوة الزرّاعْ

فلاّحك المكدود نهاره في جهده

وليله سهران...

كالعاشق الولهان... وهكذا مذ كان...

حماية لغرسهِ ... كعرسهِ

لا ينثني...

كيف انثنى؟!

ماذا جنى؟!

وطفله بلاكِسا... في العرا..

ونومه بلا غطا... في عِرا...

وزوجه في ثوبها الممزقِ

تتقي صرَّ الشتا

وهي إلى الصيف بشوق شيِّقِ

وكوخه بلا ضيا..كالعمى

ما رأى نوراً سوى نجم السما... والدجى

في عينه رهبْ

في قلبه لهبْ

في فكره ألوان شتى...

تضطربْ

قصّةُ تروى *

فَقَدْتُكَ حيّاً هل تعوّضني سلوى — وهيهات... إني قد وَرِدْتُ بك البلوى

فقدتك حيّاً في حياة جَوَيْتَها — فيا لك من حيٍّ: على قربه يُجْوى

ألا إن عيشي بعد فقدك ماحلٌ — تذاوى على أفنانه المنُّ والسلوى

برغمي ورغم الأقربين منيّةٌ — تمنَّيْتُ أن نُلقيك في مهمهٍ شِلوَا

يصوت بك الناعي يصمُّ مسامعاً — ويبكم أفواهاً به الجهرُ كالنجوى

---

* كان ذلك في منتصف ليلة الخميس، ١٢ ربيع الأول ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٥/١٠/٢٧م، في الطابق الثالث من بناية المدرسة الجعفرية القديمة في مدينة صور، حيث كان - له الله – يسكن مع زوجته الوفية الصالحة والـ (٩) أطفال من أبنائه وبناته.

هناك يرى الباكون أنَّك منهمو … محلُّ الذي بين الضلوع له مثوى
ويكثر فيك القول ما كنت أهلَه... … فذو أدب تُجلى محاسنُه جلوى
وذو قلمٍ فيضٍ بأمِّ لغاتها … كما شاء إثباتاً لما شاء أو محوَا
غنيٌّ بما أعطتْه من نفَحاتِها … أمينٌ على أعلاقها :الصرفَ والنحوَا
كريمٌ فكم ألفتْه في خطراته … تَهدّلَ عنقوداً بها ودنا قِنوَا
شجاعٌ فكم ألفته في نخواته … توثّب ليثاً أو كُمَيْتاً جرى غلوَا

****

تمنَّيتُ أن أرثيك ميتاً مكرَّماً … أهيلُ عليك الدمع: صنوٌ بكى صنوَا
فما أنا أجفى من «متمم» دمعةً … ولا هو مني - يا بن أمٍّ - أسىً أقوى
ولا «عينه العوراء» تَدمى مآقياً … بأرقأ من قلبٍ أُحرِّقُهُ شجوَا

****

تمنَّيتُ أن أرثيك ميتاً مكرَّماً … تناقلك الركبانُ في سفرها حدوَا
ولا أسمع الأنباءَ شتَّى عجيبةً … وإنَّك من مأساتها قصةٌ تُروى
ولا أبصرُ المبدين فينا شماتةً … تبيّنتُها لفظاً وحلَّلْتُها فحوى
ولا أحملَنْ نفسي على ما يشينها … تردُّ افتراءً أو تجيب سدىً لغوَا
ولا ينفذ النمَّامُ فيما يحوكه … لقلب وليٍّ عن ولايته يُلوى
ولا يسمع الواعون ممَّنْ نحبُّهم … نعيباً يرجِّع في مسامعهم شدوَا

****

تَمنّيتُ أن تُنعى نعيًّا مروّعًا … فأبكيك مبكيًّا عليه بلا سلوى

ولا تنقل الركبان أنّك معتدٍ … ولو كانَ ما قد نلتَه بالأذى عضوًا

لقد قال سلك البرق إنّك قاتلٌ … فمن ذا الذي أغراك بالقتل أو أغوى؟

****

تمنّيت أن أبكيك صنواً أضعْتُه … فقيداً ثوى ما بين رامةَ أو حزوى

ولا أسمع الباكين حولك أُمَّهم … فراخاً بها قد فارقوا العطف والحنوًا

كزغب القطا تسعٌ يحومون حولها … يرون بك الشكوى وأنت لهم شكوى

يرون بك الباغي وحسبُك باغياً … أعمدًا عليهم كان بغيُك أم سهوًا

لقد ثكلوا أمّاً بكفٍّ أبيهمو … فيا فلذاً في كفٍّ والدها تُلوى

ويا حادثاً بكراً تبنّاه خابطٌ … كما تتبنّى حاطباً ليلةٌ عشوًا...

أعذرك قل لي - لا عذرتك - هاجسٌ … يُهدِّم ما يبقى ويبني لك الرغوًا

وجاءك هذا اليوم يهدم عامداً … دعامة بيتٍ كنتَ فيه إلى مأوى

عذيرك قل لي مَنْ عذيرك بعدما … صرعت مثالاً للطهارة والتقوى؟

صرعت مثالاً للأمومة بَرَّةً … وقدوةَ زوجاتٍ علَتْ تِربها شأوًا

كريمةَ أبرارٍ ربيبةَ شامخٍ … من المجد يعلو في ذُراه ذُرى رضوى

أأنكرْتَ منها أنّها بشقائها … صبورٌ على البلوى كتومٌ على الأسوا...

أبعد حياة منك طال شقاؤها … تردّيتَ في أشقى حياة بلا جدوى؟

لقد كنتَ شنّاً من عنائك واهياً … فأصبحت بعد اليوم من ندمٍ نضوًا

فوا أسفي إن كان يغني تأسُّفٌ … على رجواتٍ كنتَ جنتها الفنوًا...

هنأت شهر الصوم *

شهر الصيام أوائلاً وتواليا ... بك قد أضاءوا أنهراً ولياليا
فنهاره في الصوم أشبع جائعاً ... ممّا تُغذّيه وأروى صاديا
ودُجاه في المحراب يَقظةُ قائم ... بك يقتدي أمصاياً أم داعيا؟
هنّأتُ شهر الصوم فيك مباركاً ... في كلّ عامٍ جَدّ يخلفُ ماضيا

أين محمّد؟ **

صدرُ النديّ خلا فأين محمدُ؟ ... هيهات يملأُ جانبَيه سيّدُ
ومحمّدٌ هذا الذي نتفقّدُ ... مضتِ السيادةُ مذ مضى والسؤددُ
لا صدر بعد محمّدٍ متطامنٌ ... للأصيدِ الغطريف أين الأصيدُ؟
ألسيّدُ المِطلاع في فجواتِها ... بدرٌ تشقّق عنه ليلٌ أسودُ
والراسخُ الممتدُّ في أعراقِها ... شرفاً يقيمُ ومحتداً يتوطّدُ
والأشوس المِقدام كلُّ مهلهلٍ ... رمحٌ يلازمُ كفّه ومهنّدُ
بعزيمةٍ من تغلب ابنةِ وائلٍ ... للثأرِ حفّزها المقيمُ المقعدُ
والفارس المغوار ملك يمينِه ... ألفٌ كداحس في المهارى أجردُ

---

* أرسلتها الى سيدي الوالد في رمضان ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

** نظمتها في رثاء السيد محمد الصدر المتوفّى فجر يوم الثلاثاء ٢٣ شعبان ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦/٤/٣م، وكان قد أصيب بشلل نصفي، عجزعنه الأطبّاء العرب والألمان والإنجليز في بغداد وميونيخ وسويسرا التي نُقل إليها. وشُيّع تشييعاً رسمياً منقطع النظير مشى فيه الأمير عبد الإله وصيّ العراق ووليّ عهده نيابة عن الملك بالإضافة إلى كبار رجال الدولة والجيش ورؤساء الوزراء والزعماء وجميع طبقات الشعب وحُمل على عربة مدفع ولُفّ بالعلم العراقي، يحفّ به لواء مشاة من الجيش، ولكنّ الشعب أبى إلاّ أن يساهم في حمل نعشه، بدءاً من منتصف طريق الكاظميّة – بغداد، على الأكفّ إلى صحن الكاظميّة حيث صُلّي عليه ودُفن، بعد أن أدّت له التحية العسكرية فرقة من الجيش بإطلاق الرصاص حسب الأصول المتّبعة رسمياً.

والراكب اللَّزُباتِ رغم عُرامِها فمهدّئٌ طغيانَها ومجمِّدُ
والسابق الأزمات في غلوائها فمخطِّطٌ ميدانَها ومحدِّدُ
والحاملُ العبءَ الثقيل بيومِهِ أو أمسِه فمجاهدٌ أو مجهَدُ
والدافعُ الخصمَ العنيدَ بفيصلٍ من حزمِه إذ لا يَفيدُ تردُّدُ
ومزوِّدُ الروّاد من إخوانِهِ فيما يشدِّدُ خطوَهم ويسدِّدُ
سائلْ رفاق جِهاده أسلاحُهم أم رأيُه أمضى لما هو أنجَدُ؟
وأناتُه في حُولٍ أو قُلَّبٍ من أمرهم أهدى لما هوَ أرشَدُ

****

يا أيُّها الباني، ومثلُك منْ بني مجداً على كرِّ القرون يُخلَّدُ
أهليَّةٌ والروعُ يركبُ بعضَه كالموج يُرغي في الخضمِّ ويُزبدُ
بالحلم ما وسعَ السفيهَ أبوَّةً بالعلم ما يُهدي الجهولَ ويُرشِدُ
بالخُلق ما أحيا الزمانَ بشاشةً بالجود ما يُغني العفاةَ ويرفدُ

****

يا جامعَ الدنيا الكبيرةَ قلبُه فيه التقى متوطِّنٌ ومشرَّدُ
إنا فقدنا فيك جامع حبِّنا سيَّان منّا مؤمنٌ أم مُلحدُ
بمحبَّةٍ تَجري على إرسالها فيها الخلائقُ شملُها يتوحَّدُ
والمسلمونَ مذاهبٌ بك تلتقي فمحمَّدٌ للمسلمين موحِّدُ
قد كان لا يُوسيك إلا كِلمةٌ شتَّى وشملٌ للبلاد مبدَّدُ
في الكرخ عند الشطِّ كوخ زعامةٍ[1] مَجدُ القصور إباؤه المتمرِّدُ
لم يجن من هذي الدُّنى وحطامها إلاَّ اللواتي لحنَهنَّ أردِّدُ

---

(١) استأجر داراً أقرب إلى الكوخ منه إلى القصور، في جانب الكرخ – منطقة الجُعيفر.

ويلايَ[1] في سَحَرٍ تهبُّ به صَبَــاً؟! | أيُّ الصَّبا هــذا الــهبوبُ المربــدُ
لــم نــدرِ أنَّ نذيــرَه بهبوبــه: | أنْ قد تطــامنَ للمنــون الأصيَــدُ
ويلايَ... ويلُ عشيرتي لَم ندر مــا | سفرَ الصباحُ به وما أبــدى الغـدُ
قد أسفر الصبحُ العَبــوسُ بفَــاجعٍ | لا منطــقٌ يقـوى عليــه ولا يــدُ
ويلاي خرَّ من الضــراحِ سـماكهُ | ويلايَ أنزل في الضريـــح محمَّــدُ
إن كــان يُشــفي حاسـدينا فقــدُه | فليشفَ هــذا اليــومَ فينــا الحُسَّــدُ
أو كان يُرضي الشـامتين مناحــةٌ | فمـــآتمٌ بديارنــــا تتجــدَّدُ
بمناحـــةٍ عَلويَّـــة ولطالمــــا | أرضى الأعاديَ رحبُها المتعَصِّـــدُ
ألفاطميــاتُ اللواتــي قمــنَ فـــي | يومِ الحســينِ هنــا تقــومُ وتقعــدُ
ألنَّائحــاتُ وهــنَّ أهــدا... لوعــةً | بنواحــــهنَّ إذا المـــآتمُ تُعقـــدُ
ألنادبــاتُ وهــنَّ أبعــدُ حســـرةً | فـــي ثُكلــهنَّ إذا المراثــي تُنشــدُ
ألموقداتُ الحـــزنَ أذكــى جمــرةً | بقلوبنــا أنَّــى المجـامرُ توقَــدُ
ألصــائلاتُ الجــائلاتُ شــعورُها | منشـــورةٌ: فمشــعَّثٌ ومبــدَّدُ
أللادمــاتُ صدورهــنَّ فرخصُــها | ممَّــا يُعــاني لدمُـــهنَّ مخــدَّدُ

****

أمَّــا الرجــالُ فــأكبدٌ مقروحـــةٌ | وحشــىً بدمــع عيونــهم يتـــبرَّدُ
إن سرَّ حاسدُنا الـــذي قــد ســاءنَا | بشْرُه: أنَّـــا فـــي لظــىً لا تَخْمَــدُ

---

(1) كانت وفاته وقت السحر وقد أسفر الصباح يومئذٍ عن ريحٍ سموم حارةٍ وظلَّلت الآفــاق سحـــائب غبار أحمر، بدت أشعَّة الشمس من خلالها تخطط الأفق بجداول من نورها حاجبة صفراء، ونادراً مــا تحدث هذا الريح مع مثل هذا الغبار في الربيع في العراق.

شيمتي *

أحبابَنـــا ليـس التقــاطعُ شـــيمتي فشيمتيَ الغـــرّاءُ كســبُ المنــاقب
وأبعدُ أمـــرٍ فـــي حيــاتي حدوثُـه قطيعةُ رحْـــمٍ أو تجنُّـبُ صــاحب
وثالثـــةٌ أعيــا الطَّبيــبَ دواؤهـــا تعمُّدُ قبضِ الكفّ أو كــفُّ جــانب
فما قبضَتْ كفّي على المال تبتغـــي مسارِبهُ حاجــاتِ مُعســرِ لاغــب
ولا قطَّبتْ منّي الأســاريرَ نزعــةٌ إلى اللؤم تومي للـــهضيم بحــاجب
وما قطعَتْ رحماً غضاضـــةُ بيننِـا وكم من سنانٍ قد جببـــن وغــارب
وما جبنَتْ منّـــي ارتعاشـــةُ أرقمٍ تنضنض يستشري لأوّل حـــاصب

هكذا كان * *

كالشفقْ
ما ائتلَقْ
منصل الفجر على نحر الغسقْ
وانبثقْ
غار في أضوائه حتى غرقْ
لم يَحِرْ
إذ أُمِرْ
قلبه الظامي بأن لا يحترقْ

---

* بغداد ١٩٥٧م، أرسلتها إلى أحد الأخوان.
* * بغداد ١٩٥٦م.

واستَتَرّ

كاتِماً أنفاسه حتّى الفجرْ

كالحِمَمْ...

لا تَلُمْ

باح بالسرأسيرٌ مانعتقْ

لا جرَمْ...

أحياةٌ خيرُ ما فيها عدَمْ

ما جنى؟

ألجنى...

ضاع ما بين اضطرابِ وقلقْ

والغنى

رفّ في آفاقِه مثل المنى

والعمرُ

ينحدِرْ

في مهاوي أمنه حتّى انسحَقْ

واستقرّ

في فراغٍ وارتخاء وخدَرْ

ما احتملْ

والأملْ...

فِي ضميرِ الغيبِ لمَحٌ في غَسَقْ

ما العملْ؟

فَقَدَ الصبر، فما تُجدي الحيلْ

إلفَنا...

من أنا؟...

ها أنا لحنٌ على البلوى خفَقْ

وانحنى...

يُخرج اللحنَ على وقعِ العنا...

والطربْ...

ما شربْ...

منه فؤادي نهلةً غيرَ الشَّرَقْ

وانسكبْ

في أذُنِ الخالين قرطاً من ذهَبْ

لم يزلْ

للأجلْ

روحاً لها جسمي إلى الأخرى نفَقْ

والوجلْ...

من كان في برديَّ لا يدري الوجلْ

****

النصر *

أمنتُ بالنصر مشّاءً علـــى المـاء
مثـل المســـيح وشـــفّاءً لأدواء

آمنـت بـــالنصر آيــاتٍ مخلّـــدةً
يا مالك النصر من نـــونٍ إلـــى راء

من بعض إسمك قد خُطّتْ مراقمُـــه
حرفـــاً تـــألّقَ كـــم أزرى بأســـماء

ألنصرمنك: -جمال النصر- قد كملَتْ
أوصافهُ فيك فـــي ظـــلٍ وأضـــواء

ألقيتَ أضواءه في الظلِّ فانكشـــفتْ
شوهاءَ كانت تُرى في زيٍّ حســـناء

كشفتَ فيه عن «الطـــاغوت» ســوأته
فارتـــاع يســـتر عـــوراءً بعـــوراء

يستصرخ النصرَ والخذلانُ طالعـــه
لا يرفل النصر في أثـــواب لخنـــاء

آمنتُ بالكبرياء النصر قد سُـــحِبَتْ
أذيالُـــه فـــوق هامـــاتٍ وأشـــلاء

الثورة:

آمنتُ بـــالثورة البيضـــاء عارمـــةً
مـــا صبَّغـــتْ يدَهـــا إلابحنّـــاء

من حاجة الشعب يا بن الشعب عاصفـــةٌ
هبَّتْ على الظلـــم تـــذروه بنكبـــاء

شـــبَّتْ ولا نـــارَ إلا أنَّـــها ضـــرَمٌ
شبَّتْ كما شبَّ نورٌ وســـط ظلمـــاء

دارتْ وما طحنَتْ حربٌ بلا رهـــجٍ
بوركتِ حرباً بـــــلا فتـــكٍ وإفنـــاء

أرنَتْ فريستها مــــــا أنشـــبَتْ ظُفـــراً
فيها ولا فعلَـــــتْ كـــالذئب بالشـــاء

حدَّثتُ نفسي لوَ انَّ الأمر منعكـــسٌ
هل رفَّ في مصرَ غير السيف والداء؟

ألحقـــد يدفعـــها خبطـــاً بعشـــواء
تجري الدماء بها في النيل كالمـــاء

ألأبريـــاء بـــها للمجرميـــن وَقـــىً
ويـــلَ العفـــاة، وويلـــي للأعفَّـــاء

لكنَّها ثورةٌ من مصـــر قـــد نبتـــتْ
خضراءَ تُزهر في أكناف صحـــراء

لم تصطبغ بـــدمٍ يجـــري بملحمـــةٍ
بين الأشـــقّاء مـــن ظلـــم الأشـــقّاءِ

---

* نظمتها عندما أمم الرئيس عبد الناصر القناة عام ١٩٥٦، وكان ثار قبل ذلك فأزال عـــهد الطغيـان، ونشرتها بذكرى انتصار الشعب المصري في بور سعيد، في جريدة اليقظة عام ١٩٥٧م.

بل جاوزتهم بعفـوٍ مـن خلائقـها ... تستقبل اليوم فيـهم خير أصنـاءِ
جادتْ قرائحُ مصرَ فـي روائعـها ... مـا خـفَّ وزنُ قوافيـها بـإقواءِ
أوحتْ بها مصرُ للأبرار فـانطلقتْ ... تبني لصالحها مـن غـير إيحـاءِ
تبنـي بقادتـها أمجـاد عزَّتـها ... للعُرب في النيل أو في سفح تيماءِ
عوَّذت بالله (مصراً) قـد تداركـها ... من غمِّها الله فـي كشَّـاف غمّاءِ
آمنت بـالله مـا أسـنى مواهبـه! ... قـد أبـدل الله ضـرَّاءً بسـرَّاءِ

الجلاء:

آمنـت بـالنصر جـلاءً لأعـداءِ ... يذكـي الحيـاة بـأعراسٍ وأرزاءِ
أعراس مصـرَ - أدام الله بهجتـها- ... للغـاصبين رزايـا جـدُّ سـوداءِ
كانوا بمصرَ... وكـانتْ ليلـةٌ أمـداً ... عمياءُ توشك تعمـي مقلـة الرائـي
طالَتْ، وقد عصروا من مصرَ قوَّتـها ... زيتاً منَ الدمع فـي آمـاق عشـواءِ
كيلا ترى غير ما توحـي أدلَّتـها... ... هـذي الأدلَّـةُ كـانتْ علَّـة الـداءِ
ألوافـدون علـى الأوطـان مكَّنـهم ... قحـطُ الأبـاة وإخصـابُ الأذَّلاءِ
أملاكُهم مصرُ... من صحراء لوبيَـةٍ ... حتى القنـاة إلـى صحـراء سـيناءِ
والمـالكون عبيـدٌ فـي ديـارهمو ... أنضـاءُ جـهلٍ وإمـلاقٍ وأوبـاءِ
والمصر كان بوجهيـه... ووا أسـفي ... تحت الهوانَينِ مـن جـورٍ وأهـواءِ
فالوجه إن كـان «بحريّـاً» فمقعـده ... في السرح ما بين إغـراءٍ وإغـواءِ
و«الوجـه» إن كـان «قبليّـاً» ... فموضعه وسط الحظيرة بين العير والشاء
والغـاصبون أقـاموا فـي مدائنـها ... ملكاً، وفـي ريفـها سلطان إثـراءِ
لا الزارعون حقول القمـح يفرحـهم ... موجُ السـنابل يطفـو بعـد إرسـاءِ
والحاصدون فما من زرعهم جمعـوا ... شـتى السـنابل إعيـاءً بإعيـاءِ
والدائسون فما فـي كدِّهـم فرشـوا ... هـذي البيـادر أعبـاءً لأعبـاءِ

ملء المخازن من قمحٍ ومـن عـدسٍ حتى الشـعير جباهـا شـرُ جبَّـاءِ
والشعب في مصرَ للبأساء ما طلعَـتْ شمسٌ بصبحٍ ومـا غـابَتْ بإمسـاءِ
لـولا بشـائر إيمـانٍ تطالعـها من أرضها قد رعاهـا خـير أبنـاءِ
لولا رجـالٌ تنـادَوا صـادقين بمـا قـد عـاهدوا الله أن يـأتوا بعنقـاءِ
مرت على مصرَ والعرباءِ أجمعـها ويلاتُ دهرٍ خسـيس الطبـع هجَّـاءِ
لكنْ أتوها ضحـىً عنقـاءَ مغربـةً قد شـاهدَتْها عيـونٌ غـيرُ عميـاءِ
جاءوا بها طفرةً ما كـان أكرمـها! تُدني مراحلنا فـي شـوطها النـائي
هذا الجلاء أعـن مصـرٍ بمفردهـا؟ إنَّ الجلاء بـها عـن كـل عربـاءِ
تجني العروبة منـها أينمـا وُجـدَتْ أشـهى ثمـارٍ جناهـا خـير جنَّـاءِ
تبني الحياة كمـا شـاءَتْ كرامتـها حريَّـةً تـهتدي منـها بـهدَّاءِ

الأسلحة الشرقية:

إحزمْ أمورك أسطولاً علـى المـاءِ واحشـد نسـورك أسـراباً بـأجواءِ
نصر من الله أمرٌ قـد وُعـدتَ بـه أقحِمْ بنا ناهضاً فـي كـلِّ عسـراءِ
فيما استطعتَ أعِـدَّ الجيـش متَّكئـاً علـى جبـالٍ مـن الفـولاذ شـمَّاءِ
إصنعْ محالاً فما فـي يومنـا شـِيَةٌ قـد عرَّفوهـا محـالاً بيـن أشـياءِ
ألغرب يمنع عنـك العـون معتقـداً أنَّـا ضعـافُ إراداتٍ وآراءِ
أنَّاً بضاعته المزجـاة قـد طُرحَـتْ بيـن المريدَيْـنِ :بيَّـاعٍ وشـرَّاءِ
عَرَّفْتـهُ أنَّـهُ ذو نظـرةٍ خُدعَـتْ ما كـان أجدرهـا وصفـاً ببلـهاءِ
كذَّبتَ منـه ظنونـاً كـان يحسـبها بعد الدراسة لـم تخطـئْ بإحصـاءِ
عرَّفته أننـا ـ والشـرق موطننـا ـ أدنى إلى «الشرق» وهو النازح النائي

التأميم:

آمنتُ بالنصر يغزو أرض أعــداءِ غزواً يريهم هوانـــاً بعـد عليـاء
هذا العدوُ رأى فــي عينــه عجبــاً من أمَّةٍ من عتاد الغـــاب عــزلاء
صبَّتْ عليه هوانـــاً فــي مرابعــه دهياء صـــادف منـها أيَّ دهيـاء
أمَّمتَ منـــه قنــاةً كــان معجــزةً تأميمُها والمعـــالي كــلُّ عصمـاء
فارتاع وهو على أنقـــاض عزَّتِــه يُرغي ويُزبد في ضحضاح دأمــاء
لا يستنيم لهَوْنٍ... كان مــن زمــنٍ ما باله دهشاً فـــي شـبه إغمـاء؟
عيّـاً إذا قــال أعيتــــه أدلَّتُـــه فاهتاج ثم غفا فـــي بحــر حُمَّـاء
يصحو على حيرةٍ من أمر واقعــه هل يستكين لقـــوم غـير أكفـاء؟
أم هل يسدِّدُ ســهماً مــن نواجـذه؟ ما رميه عن يدٍ في الرمـي جـذَّاء
وانصاع يلتمــس الأعــذار لوَّنَــها حسب المرامي لدى الجُلَّى كحربـاء
يُخفي بها غدرةً لم يَخفَ عاذرهـــا فالسمُّ من حيَّةٍ في اللمــس رقطـاء

العدوان:

مــا للبحــار وللأجــواء غاضبــةٌ ما للصحارى تُصافي شرَّ أعــداء؟
ألإنجلــيز وفيــه الغــدر معرفـــةٌ نكراءُ قد عُرفـــتْ منــهم بسيماء
وفرنسةُ العهرِ بنتُ السين ما وُلِـدَتْ في حجر طاهرة الأذيـــال عــذراء
جــاءا بنغلــهما يمشـــي أمامـــهما كالضبِّ منجحراً في بطن صحــراء
كان الوسيلة للعدوان مـــا حمـدوا منه الشجاعة فـــي سِـلْمٍ وهيجاء
زحفٌ من البرِّ يتلـــوه بــلا مــهَلٍ إنزالُ جـــوٍّ وإنــزالٌ مِــنَ المـاءِ
مثل الجرا مـــن الآفــاق سـاقطَها غـــدرٌ جبـــانٌ بـــأعداءِ ألـــدَّاءِ

الله أكبر هـــذا مـــا يبيِّتـــه حقـدُ اللئـام لأقــوامٍ أعـــزّاء
هذي هي الثورة الحمــراء باركَــها ربُّ السـماء بأبطـــالٍ أشــدّاء
شدُّوا بها شــدَّةً تُرْضـي كرامتَــها في غابرٍ فاتَ أو في قــادمٍ جائي
إن لم يُبيدوا عديــداً مــن جحافلـه فالموت أفضل من أمــوات أحيـاء
قـد يحمـد الله إلا فـي سـلامته أهونْ بها صحّةً في الجسم كـالداء
لم يعرفِ الذلَّ إلاَّ كيــف يَصنعــه بيــن الشـعوب بتـهديدٍ وإغــراء
ألحمد لله عيني قـد بصــرتْ بــها ذُلَّ المذلّين في ريفـي وصحرائـي
من مهطعين تواروا في هزائمـــهم خلف المذلّين مــن جرمٍ وأعبـاء
هذي المذلّـــة أطْعِمْــهُمْ مرارتَــها أطعمْهموها مــراراً أ كـلّ نكـراء
نصرٌ أتاك على نصرٍ فــهاتِ لنـا نصراً جديداً وَطِــرْ فينـا بـأجواء

يداً بيد*

يَـداً بيـــدٍ وســيراً للإمـــامِ فمــا بعـد التيقُّظ مـن منـــامِ
لقـد أذن الصبـاح فمـا مقـــامٌ أعـائق سـيرنا فَقْـــدُ الزمـــامِ
وتـرك الحبـل مضطربـاً سـليباً بلا حــامٍ يُجَرْجَـرُ فـي الزحـامِ
ولا مـن غـاربٍ فيقـال ملقـىً عليـه حبلنـــا أومــن ســنامِ
لقد كـانتْ بنــا السـروات تقـوى علـى نيـل الأمـاني مـن إمـامِ
فـإقدامٌ بـــها وجـــهاً لوجـــهِ وإحجـامٌ بـها عــن كـلّ ذامِ
وصـفٌّ جنـبَ صـفٌّ للمعـــالي تَوحَّـــدَ بانكفـــاءٍ واقتحـــامِ

* نظمتها عندما زار الملك سعود بن عبد العزيز العراق زيارة أخوية، وكانت المشادة حينئذٍ على أشدّها بين الإذاعات في العواصم العربية: بغداد، القاهرة، ودمشـــق. ونشـرتها فـي جريـدة اليقظـة فـي ١٩٥٧/٥/١١م.

أعقبـى أمرنـا يـا للتـآخي!! تصادمُنـا بكـل حمـىً حـرام

فأرحـامٌ تقطَّـعُ بـالكلامِ لـه وقـع المـهنّد فـي الصـدام

وخُلْـفٌ قـد توسّـع بـاحتدامِ على الأهـداف تُرسـم والمرامـي

لقـد قـالوا وقلنـا فامتُحِنَّـا ورجع القـول أوصـل للخصـام

وقـد قلنـا وقـالوا: فانتخينـا وأفصحُنـا تَلجلـج بـالكلامِ

هبـوا أن التراشـقَ نسـج قـولِ فبعض القول ينفـخ فـي ضـرامِ

ومـا المتراشـقانِ هنـا وهُنّـا سوى الأخوين مِـنْ حيَّـيْ جـذامِ

عوائـر مـن كـلامٍ كالسـهامِ وقد تُصمـي العوائـرُ بـالترامي

إذا مـا اسـتلّها يومـاً علينـا خبـيرٌ فـي مواقعـها الدوامـي

وحـول ديارنـا شـتى دواه تنبُّـهنا لأحـداثٍ جسـامِ

وفـي أوسـاطنا أعـدى عـدوٍّ لـه ألْـف اعتـداء كـلَّ عـامِ

لـه ألْـفٌ مـن (الآذان) تـأتي بـألفٍ مـن تجسُّـها توامـي

له (عيـنٌ) ترصَّـدُ فـي الزوايـا ترصُّـد ذات وَتْـرِ لانتقـامِ

لـه ظَفَـرُ الجبـان فلـن يبقّـي علـى الشـيخ القعيـد ولا الغـلامِ

خَدوعٌ فـي السـلام فمـا تنـاهى لدى النهزات عـن قتـل السـلامِ

أنلقـاه ونحـن نثـار عِقـدِ ويُقبـلُ وهـو عِقـدٌ فـي نظـامِ؟

ويرمينـا فيُصمينـا فـنرمي بنصـلٍ فـي مقاتلـه كَـهامِ

لَـهانَ الخطـب لـو أنّـا جميعـاً تلاقينـا علـى المـوت الـزؤامِ

ولكنّـا فـرادى قـد شـربنا مـن الكـأس المعفَّـرِ بالرغـامِ

* * * * * * *

لقـد كـان السـراةُ بنـو أبينـا   نجـومَ هـدىً بغاشـية الظـلام
أهبْتُ بهم - لـوَ انَّ بـهم سميعاً   يُلبِّـي صرخـة الشـعب المُضـام
بني الأعمـام مِـنْ عليـا نـزارٍ   إليكـم قـد تتـالعَ كـلُّ هـام
يـداً بيـدٍ وأزراً شـدَّ أزراً   كما شُـدَّ الحسـام إلـى الحسـامِ
وسـيراً فـي وئـامٍ للمعـالي   فصعب المجد يُـدرك فـي الوئـامِ
فما بيـن العـراق وبيـن مصـرٍ   سوى القربى تلاقَـتْ فـي الشـآمِ
صِلـوا الأرحـام بالعُتبىفـأمرٌ   صغيرٌ قـد يُكبَّر فـي المـلامِ
وليس من المحـال بلـوغُ قصـدٍ   إذا مـا نيـط بـالعزم الـهُمامِ

موَدّات الشقيق*

مَـوَدَّاتُ الشـقيق إلـى الشـقيق   يبلِّغـها المشـوقُ إلـى المشـوقِ
فمـن ربـعٍ لآلـك فيـه مُلـكٌ   تُشـدُّ بـه إلـى النسـب العريـق
ومـن حـيٍّ لآلـك فيـه ودٌّ   تأصَّل في الدمـاء وفـي العـروقِ
إلـى ربـعٍ لكـم فيـه جديـدٌ   مـن الأمجـاد شُـدَّ إلـى عتيـق
إلـى حـيٍّ «الأمـازغ» أيُّ حـيٍّ   نَحِنّ لـه علـى البُعـدِ السـحيق
نَحِـنُّ إلـى غـروبٍ قـام فيـه   وحَنَّ لحيـث كنَّـا فـي شـروقِ
إذا اقـتربَتْ قلـوبٌ مـن قلـوبٍ   فمـا بُعْـدٌ مسـافاتُ الطريـق

****

* خاطبت الملك محمد الخامس، ملك المغرب، بهذه الأبيات شبه المرتجلة. الرباط في ١٠/٥/١٩٥٧م.

أنا أبكم! *

من ذا أنــا؟ أنــا نــاطقٌ أم أبكــمُ ... ألحرف عندي عــن بيـانٍ يُلجـمُ

في جـانبيَّ مـن الفجيعـة مـأتمٌ ... عَمَرتـه كـفُّ رزيَّـةٍ لا ترحـمُ

فمـروَّعٌ بوجومـه يسـتعصمُ ... ومـوزَّعٌ هـو والحَشاشـة مغنـمُ

ومقـوَّسٌ فـوق الأسـى يتحطَّـمُ ... ألحـسُّ مـات بـه فـلا يتـألَّمُ

لا الدمعُ نـدًّى فالمحـاجر ضُـرَّمٌ ... لا الصبر لبَّـى فالأضـالع مـأتمُ

أما المواهـب فـهي فيـه تـهوِّمُ ... فمفـوَّهٌ مـن حصـره يتلعثـمُ

ومدبِّـجٌ قـد جـفَّ منـه المِرقـمُ ... أو ملـهَمٌ بجمـوده لا يُلـهمُ

بفمي ضعوا بعض البيـان فعـاذرٌ ... أن ليس يُفصح فـي مقالتـه الفـمُ

لكــنْ أُحدِّثكـم حديـثَ مُلابـس ... فـأبين فيـه تـارةً وأجمجـمُ

هـو للحقيقـة لا ليعـذرَ عـاذرٌ ... فيمـا أحـدِّثُ أو يلـوم ملـوِّمُ

لا أكتم الأفضـال وهْـي سـوابغٌ ... هـي نعمـةُ الله التـي لا تُكتـمُ

أمَّـا الـذي فـي غيبـه يـترجَّمُ ... فكفـاهُ عنِّـي الشـاهد المتفـهمُ

أنا في حديثي الرَّسلِ راويـةٌ ومـا ... عبد الحسين سوى أبـي وأبيكمـو

نـهضَتْ بـه أعمالـه لمكانـةٍ ... هي في الأبـوَّةِ مرتقاهـا الأعظـمُ

---

* نظمتها في ١٩٥٨/٢/٢٨م، في رثاء سيدي الوالد رحمه الله، الذي توفّاه الله ليلة الثلاثاء، ١١ جمادى الثانية ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧/١٢/٣١م. في مستشفى اوتيل ديو في بيروت، وحُمل بالطائرة إلى بغداد ظهر الثلاثاء، التي بلغها مساءً، وغُسّل في الكاظمية ليلة الأربعاء ١٩٥٨/١/١م وشُيِّع ليلاً من الكاظمية إلىكربلاء بناءً على إصرار حكومي على أنْ لا يسمحوا لبغداد أن تشترك بالتشييع وقد استُوقفت الجنازة في كل بلد مرَّت فيه وحملت فوق الرؤوس قدر ما يسمح به الوقت حتى وصلت الجنازة بحدود الثانية بعد منتصف الليل إلى كربلاء التي شيِّع فيها، صباح الخميس في ١٩٥٨/١/٢م. وطيف به في الحرمين الشريفين: والحسين والعباس وفي سائر أنحاء المدينة حتى ما بعد الظهر، حيث نقل بعدها إلى النجف مشيّعاً إلى مثواه الأخير في الصحن الشريف، بعد أن شيَّعته النجف بما يستحقه من تكريم في مساء الخميس ١٩٥٨/١/٢م.

توحي معانيَ في الأبــــوّة قُدّسـتْ لا والــدٌ قِدْمــاً وعاهــا لا ابنـــمُ
أنا قد بلَـــوت حنـــوَّه وأنــا ابنــه ويــلاه مثلــي مرمـــلٌ أو أيّـــمُ
ويــلاهُ مثلــهما ومثلــي نــــازحٌ ويلاه جـــارٌ فــي المحلّــة معــدم
أرأيتمــوأمّ الفـــــراخ بوكرهـــا تكسو الفراخ بدفئـــها أو تطعـــمُ ؟!
ســمعاً أُحَدِّثكــم حديثــاً موجـــزاً عنه كريمـــاً مـــا السـحابة تـــرزم
قد كـــان مضيافـــاً يحـــنُّ لضيفـــه إن غـــاب فــــهْو فيـــه متيَّـــمُ
والضيف مــــا أن قـــد أقـــام ببيتـــه ألضيــف سـيِّد بيتـــه المتحكِّـــــمُ
أنا قد شهدت أبيِ الرفيـــــعَ عمـــادُه فــي خدمـــة الأضيــاف لا يتــبرَّمْ
لـــهمو عليـــه مِنّـــةٌ إن أُطعمــــوا مـــن زاده أو مالـــه إن أُكرمـــــوا

****

ســمعاً أُحَدِّثكــم وربَّ محــــــدِّثٍ ألقى الحديــث لســامعٍ هـــو أعلـمُ
قد كان إنساناً تطامن في مدى الـــــ ـخيرات فـــهو بـــهاً لِـــبِرٍّ درهَـمُ
قد كان بنّاءً تسامى في دنــــى الـــ إصـلاحِ فـــهي بفضلـــه تـــترنَّمُ
ملك الألـــــوفَ كثـــيرةً لـــم يدَّخـرْ منـــها ليـــــومٍ قـــــادمٍ يتجـــهَّمُ
ما صرَّها فلســـاً إلـــى فِلـسٍ ولـــم يُفـــرجْ بـــها حاجـــاً لـــه تتـــأزّم
ما شـــــاد منـــها لبنـــةً فـــي قـــائمٍ مـــن ملكـــه أو مــــائلٍ يتـــهدَّم
بل شـــادها فـــي الباقيـــات فهـــنا نــــاد وثمَّـــةَ مســــجدان وميتـــمُ
وهنـــاك صـــرحٌ للثقافـــة دونـــــه صرحٌ بأشــــلاء الشـعوب يُرمَّـــمُ
فيـــه المذاهـــب جمِّعـــتْ أشــــتاتها للعلم سار بــــها الطريـــقُ الأقـــوم
فيه التقـــى الجنســـان مـــن أبنائنـــا كـــلٌّ بمعـــهده المــــربٍّ يُعَلَّـــمُ
يســتنُّ فيـــه الطـــالبون مشـــاعلاً تـــهدي فمـــا ليـــلٌ هنـــالك مظلـــمُ

****

لم يؤثر الدنيـا التـي يُجنـى بـها ... فـيءٌ علـى مـا لا يحـلُّ يُقسَّـمُ

بل آثر البقيـا مـع الأجيـال مـا ... عمـر المـدارس طـالبٌ ومعلِّـمُ

ما صات عند المسـجدين مـؤذِّنٌ ... فـوق المنـائر مـا تعبَّـد مسـلمُ

لم يهوِ منها فـي الغوايـة درهـمٌ ... بل قام منـها فـي الهدايـة سُلَّمُ

سـمعاً أحدِّثكـم حديثـاً مفعمـاً ... في كـل معنـى بالتفـادي مفعمُ

كـان الحمـيَّ فنفسـه لبـلاده ... يـوم النـزال ربيعـةٌ ومكـدَّمُ

كان الكميَّ ففـي الرعيـل مقـدَّمٌ ... ما أنْ دعـا وطـن ولبَّـى مُعْلِمُ

إنِّي شهدت الخيـل وهـي مقـانبٌ ... قد كـرَّ منـها مُرسَـلٌ أو مُلجمُ

وشهدتُ في «الشهباء» سيِّد تغلـبٍ ... جيشـاً بظـلِّ «النـيِّرينِ» يُخيِّـمُ

وشهدتُ ثَمَّ «أبا الفراسِ»بـ«منبـجٍ» ... وعلـى الحـدود تجمُّـعٌ وتَقَـدُّمُ

عامٌ أبي قـد ثـار فيـه لموطـنٍ ... يحتلُّـه «مسـتعمرٌ» مسـتأثمُ

لا الخُلـق مـن أوصافـه فتكفُّـه ... عن فعل مـا لا يجتريـه المجرمُ

دعوى التمدُّن في الضبـاع يردُّهـا ... نابٌ علـى مسـنونه سـال الـدَّمُ

ألأعـزل المئنـاف ويـلَ زمانـه ... مـن حـاقدٍ مسـتلئمٍ يتحكَّـمُ

****

مـاذا أحـدِّث عنـه، أيَّ جوانـب ... منـه أوضِّحـها وأيّـاً أبـهمُ

كـان الفقيـهَ وللفقيـه رسـالةٌ ... فيـها الشـريعةُ للتفـهُّم تـوأمُ

والإجتـهادُ مـن الفقيـه دليلُـه ... لحكومـةٍ فيـها الحيـاةُ تفـهُّمُ

أبداً فـإنَّ العلـم بـاعثُ نهضـةٍ ... متجـدِّدٌ متحـرِّكٌ متقـدِّمُ

****

مــاذا أحدِّثكــم؟ أعنـــه مفسّـــــراً		آيَ الكتــاب فمــا هنــالك مبـــهَمْ
أم عنـــه راويـــةً؟ وعنـــه محدِّثـــاً		ســننُ الحديــث لســانُه والمِرقـــمْ
عنه خطيباً؟ كـــلُّ منــبر خــاطب		عـــودٌ ومنــبره الـــورى والأنجـــمُ
عنـــه بليغـــاً؟ألبلاغــــــةُ دونـــه		أُذُنٌ تعـــي ويَراعــــةٌ تترسّــــمُ
عنه فصيحاً؟ قيــدُ أحــرفِ لفظـــه		عُرْفُ الكلام أمعـــرَبٌ أم معجَـمُ؟

****

مــاذا أحدِّثكــم؟ أعنـــــه مؤلِّفـــاً		ذا منهج يجري على مــــا يَرسَــمُ؟
فمخطَّـــطٌ يجلـــي بـــه موضوعَـــه		ومخطِّطٌ للحـــرف كيــف يُـــترجمُ
ومخطَّـــطٌ يَـــدَعُ المعـــاني رحبـــةً		بمجالـــها فـــي لفظـــها تتحكَّـــمُ

****

تتوضّح الأهـــداف، فـــهْيَ رميَّـــةٌ		صيَّابُـــها الفكـــر الســـديد المحكـــمُ
تلك «الفصول» وأخـــوةٌ لفصولـــه		جيّاشـــةٌ فـــي الحـــقِّ لا تتلـــوّمُ
فيــها أقــام «محمَّـــدٌ» «أعــواده»		لـــ «النص» لا لغزٌ بـــه أو طلسـمُ
فيها «علـــيٌّ» نـــاطقٌ فـــي حجَّـــةٍ		تُخـــذي ولا تُـــؤذي ولكـــنْ تُفحـــمُ
فيــها مــهارةُ فـــارسٍ لرهانـــــه		في السَّـــبْق لا يُلــوى ولا يتقحَّـــمُ
فيها المروءاتُ التـــي عفَّـــتْ فمـــا		تُبــدي لخصــمٍ عــورةً أو ترجــمُ
بل كان منها في مواطـــنِ ضعفـــه		مـــا قـــد يقـــوّي ضعفَـــه ويقـــوّمُ
ناف «الثمانين» التي فـــي عُرفنـــا		عمرٌ يطـــولُ مـــع الحيـــاة ويُنعِـــمُ
أفكلُّ عمـــرٍ طـــال طـــال بنفعـــه؟		كم من حيـــاةِ نـــصٍّ فيـــها أرقـــمُ؟
أوّاه مـــن نَغْــــيٍ يُصـــمُّ ويبكـــم!!		أوّاه مـــن فَقْـــدٍ يُضـــلُّ ويوتِـــمُ

لعنتُ يومي*

أكـــلُّ يـــومٍ تقضّــــى ... لَعَنْـــــتُ يومـــي بَعْـــدَهْ؟
أمْســــي المســــيء وإنّـــي ... أرددُ اليــــوم حمــــدَهْ
مـــا فـــي حيـــاتي جميـــلٌ ... مضـــى فـــأطلب ردَّهْ
ولـــن أرجّـــيَ دهـــراً ... يغـــيّرُ اليـــوم عـــهدَهْ
نَحْـــسُ الزمـــان رواني ... أأشـــرب اليـــوم ســـعدَهْ؟
كـــم شـــدَّ فـــي الســـير أمـــري ... إلـــى الـــوراء ومـــدَّهْ
صحبـــتُ أمســـي رضيعـــاً ... وحطّنـــي اليـــومَ جـــهدَهْ
فجيعـــةُ الحـــرِّ عبـــدٌ ... توهَّـــم الحـــرَّ عبـــدَهْ

****

فقـــدْتُ زنـــدي فـــأورى ... بعزّتـــي الدهـــرُ زنـــدَهْ
وفُـــلَّ حـــدّي فـــأنحى ... محكِّمـــاً بـــيَ حَـــدَّهْ
لـــم يخـــذلِ الدهـــر عزمـــي ... لكـــنْ تخـــاذل وَحْـــدَهْ
عَتِبْـــتُ لكـــنَّ عَتْبـــي ... مـــذْ كـــان أخطـــأ قصـــدَهْ
عُتْبـــى الإخـــاء حميـــدٌ... ... لكـــنْ إذا حَـــلَّ «عقـــدَهْ»
مســـتضعف الـــرأي يخطـــي ... مـــن ضعفـــه فيـــك «عمـــدَهْ»
طلّقـــتُ عَتْبـــي ثلاثـــاً... ... فلـــن أُعتِّـــب بعـــدَهْ
ألعتـــب يشـــحذ ســـيفاً ... فـــي الغِمـــد... يـــأكل غمـــدَهْ
والعـــود إن كـــان نـــدّاً ... بـــالحرق ينشـــر نَـــدَّهْ

---

* نظمتها في ظلامة نزلت بي من رؤساء الدوائر التي أشغل فيها مركزاً، حيث ترامت إلى مسامع أحد الأخوان من النافذين، فلم يحرّك ساكناً بانتظار أن يسمع مني تكليفاً مباشراً... لكنّه لم يسمعه...

إلتقاء لا مثالي*

أعـــروجٌ فــــي المـــــــهاوي ونـــــزولٌ مِـــنْ أعــــالي
واعتنـــاقٌ مـــــن حــــرارا تِ الــــهوى والشــــوق خـــالي
واجــــــترارٌ لمقــــــالا تِ قِصـــــارٍ أو طِـــــوالِ
وافتئـــاتٌ مـــن مهازيـــــ ـــلِ عقـــولٍ فـــي عِقـــالِ
وافـــتراقٌ فـــــي المعــــالي والتقـــــاءٌ لا مثـــــالي
فاتِّحـــادٌ بـــــالذي... قـــدْ لقّبـــــوه «فدرالــــــي»

****

عماليق الرِّجال

أبغايـــــــاتٍ رخيصـــــــا تٍ وســــــوءاتٍ غوالــــــي
وبِصـــــولاتٍ هزيــــــلا تٍ شـــــديداتِ الــــــهُزالِ
وبمخـــــدوعِ النضـــــالِ وبمبـــــذولِ الجـــــدالِ
وبخبـــــطٍ مثـــــل عشـــــوا ءَ يمينـــــاً... لشـــــمالِ
نبتنـــي مجـــــدَ الأوالـــــي ونُرجِّـــــي للمعـــــالي
لَيْـــسَ أقـــزامُ الدغـــــالِ كعمـــــاليق الرجـــــالِ

---

* نظمتها بمناسبة الاتحاد الفدرالي بين العراق والأردن في ١٩٥٨/٣/١٩م.

المجلس الجديد *

قالوا بنينا مجلساً.

قلنا: لمنْ؟

قالوا : لمن قد «مثّلوا»...

قلنا : ومنْ؟!

قالوا: العراقُ شمالُه وجنوبه

كُردٌ وعُربٌ من نزارٍ ويمنْ

قلنا: وخيرٌ أن نشّيد مسرحاً

يعلو به «تمثيلكم» في ألف فنّ

قالوا: وفنٌّ واحدٌ يكفي لنا

فنٌّ يعلّم كيف إصغاء الأذنْ

قلنا: وفَنٌّ آخر...

قالوا: بلى فَنٌّ العمى لا قُبحَ فيه ولا حَسنْ

قلنا هنا - وُقّيتَ من شرّ الفطنْ

وقفَتْ عقولٌ لم يسايرْها الزمنْ

---

* نظمتها عندما أُخذت الإجراءات المالية لإنشاء مجلس إلى جانب البلاط الملكي في جانب الكرخ ببغداد، في ١٧/٤/١٩٥٨م.

شاء الغرام *

نظـــراتُ لحـــظٍ كالســـــهامْ ... وزّعـــنَ قلبـــي المُســــتهامْ
بعـــضٌ علــــى أسَــلاتِها ... حِـلٌ وبعـــضٌ فـــي حــرامْ
وعلـى الشــفاه دمـي سفحْـــــ ... ـــنَ... وهكــذا شــاءَ الغــرامْ
أمَّـــا عـــداه فــــهيكلٌ ... لـم يبـقَ منــه ســوى حُطــامْ

شرب العطاش * *

مـــن عينــها عـــبرَتْ رؤا ... يَ إلـــى جِنـانٍ مـــن غَـــزَلْ
مـــن ثغرهــا رفَّــتْ منا ... يَ علــى منــاعمَ مـــن قُبَـــلْ
لــو صــحَّ وشـــكُ وصالِــها ... لا العَـــلُ كـــان ولا النَّـــهَلْ
شُـــربُ العِطـــاشِ فمـــا ارتشا ... فٌ فـــي ظمـــاً يَـــروي غُلَـــلْ

حرفي!! * * *

حبســتُ الحــرفَ لـــم أحفــلْ ... بـــإطلاقي مــعَ الحــــرفِ
وألحقـــتُ بـــه إســـمي ... ممنوعـــاً مـــنَ الصـــرفِ
وقـــد واتـــانيَ الظـــر ... فُ فمـــا بـــالَيْتُ بـــالظرفِ
وخـــالَفْتُ بـــه العُـــرفَ ... فمـــا بـــالَيْتُ بـــالعُرفِ
ظمِئْـتُ ومنـهلٌ عـــذبٌ تـــرا ... ءى لـــي مـــدى الطَّـــرفِ

---

* الكويت ٢٧/١٢/١٩٥٨م.

* * الكويت ٢٩/١٢/١٩٥٨م.

* * * نشرت في الجزء الثالث من المجلد الثاني والعشرين من مجلة «المعلم الجديد» البغدادية.

فعفـــتُ الشـــرعةَ الســـمحا وحوّمـــتُ علـــى الجُـــرفِ
فمـــا أُمتعـــتُ بالرشـــفِ ومـــا أُنعمـــتُ بـــالغرفِ
عرفـــتُ... وكـــانَ عرفـــاني بـــرأي النـــاسِ كالـــهَرْفِ

****

كتمــتُ الحــرف لــم أُسمعْـــــه همسـاً أُذْنَ أترابـــي
ولا جـــاري ولا أهلـــي ولا إخـــوانَ آرابـــي
لقـــد أعجمتُـــه نطقـــاً فلـــم يُفصـــحْ بـــإعراب
عكفْـتُ بـه علـى نفسـي... كذلـك شـــاءَ أغرابـــي
وبُحـــتُ... فكـــان قدّيســـاً ومـــا صلّـــى بمحـــرابِ
فـراحَ إلـى الصحـارى السُمـــرِ فـي أثـــوابِ أعرابـــي
تعقّـبَ فـي المراعـي الخُضْـــرِ سَـربـاً بيـــنَ أســـرابِ
يُغنّيـــها وتطـــربُ... والـــهوى لحنـــي وإطرابـــي

****

ضَنَنْـتُ بـــه علـــى النـــاسِ فكنـــتُ الســـامعَ القـــاري
وجُـدتُ بــهِ... فـلا المطــري يشـــجّعني ولا الـــزاري
فـإنَّ النســـجَ مـــن غزْلـــي ومـــن قـــزّي وأوبـــاري
علـــى نـــيرَيْنِ شَـــدَّ النـــوْلُ حيَّـــاكي ونيَّـــاري
فكنـــتُ البـــائعَ الشـــاري ووزنـــي حَسْـــبَ معيـــاري
وإنّـــي الأعـــرفُ الأدرى بـــآواقي وقنطـــاري
وأعـــرفُ:كيـــفَ مقياســـي بأشـــباري وأمتـــاري
وأعـــرفُ: أيـــن أشـــواكي وأعـــرفُ أيـــنَ أزهـــاري

المغربيات

بعد حوادث الموصل وكركوك وما أعقبها من فوضى عمت العراق. خرجت بأهلي مُجازاً لمدة ثلاثة أشهر. فتركتهم في لبنان وتابعت سفري منفرداً إلى المغرب فهبطت مطار الدار البيضاء الساعة الثالثة والدقيقة الـ ١٥ من مساء يوم الثلاثاء ١٩٥٩/٩/١٥ فما أثبته بعد هذا التاريخ حتى ١٩٦٢/٦/٣٠ (وهو تاريخ مغادرتي طنجة إلى جبل طارة) هو ما نظم في المغرب.

كان لكتابي "١٤ يوماً في المغرب "الذي صدر سنة ١٩٥٧ عقب زيارتي المغرب تلك السنة صدى استحسان في المغرب الرسمي والمغرب الشعبي لذلك عندما عرف الملك بقدومي أمر رئيس تشريفاته بدعوتي إلى العشاء وبعد ثلاثة أيام حضرت الديوان الملكي وسجلت اسمي بسجل التشريفات وجلست عند رئيس التشريفات فجلس بين يديٍ قائلاً: سل حاجتك فارتج عليّ ولم يكن لي حاجة معينة سوى الاستقرار بعيداً عن مواطن الخطر بأهلي وسوى ما يكون ضمانة للعيش بكرامة وعدت إلى الفندق فأرسلت لرئيس التشريفات الأبيات التالية:

سألتني

ماذا أجيب؟ سألتَني عن حاجتي بلسانِ قلبِكْ
ما اعتدتُ أطلبُ حاجةً ما اعتدت ذلك إي وربِّكْ
لكنَّ سربي قد تروَّع فارتميتُ لأمن سَربِكْ
وتركتُ قلبي عند زُغبي مثلَ قلبك عند زُغبِكْ
أسألتني؟ ماذا أجيب ؟ فموقفي إسأله يُنبِكْ
قد جئتُ أطلب مأمناً من شرقنا الباغي بقُربِكْ

******

سيد المغرب *

بأمسي القريبِ الذي مرَّ بي وفي يوميَ الحاضرِ الأقربِ
وفي كلِّ ظرفٍ زمانٌ يجيءُ... مكانك كالشمس لم تُحجبِ

****

شهدتُك يا سيِّد المغربِ هنا... مثل جدِّك في «يثرب»
وحدَّثتُ شعبك من «بربرٍ» وحدَّثتُ شعبك من «يَعربِ»
وجدتُهما «وحدةً» في هواك كـ«أوسٍ» و«خزرج» حول «النبي»
يسيران صفّاً على ما رسمْتَ إلى الهدف الأسلم الأصوبِ

حَجَجْتُ إلى «مكَّةٍ» حِجَّتين فإحداهما لك في «المغرب»
وطفتُ بـ«بيتك» أيَّ مطافٍ مع الناس في ساحه الأرحبِ
فمن كلِّ فجٍّ له ينسلون على مركبٍ... وبلا مركبِ
منَ الجبل الأفيح الأشيبِ إلى الشاطئِ المُمرعِ المعشبِ
منَ المَهمه المرمِل المُحصبِ إلى الريف ذي الجانبِ المخصبِ
وقوفاً على الباب: لم يُحجبِ مليكاً عن الشعب في مطلبِ

---

* نظمت معظمها في بغداد، وأردت نشرها ترحيباً بالملك الوطني المناضل محمد الخامس، يوم وصوله إلى بغداد بدعوة من الملك فيصل الثاني، حيث كان مقرراً أن تتم هذه الزيارة في حزيران ١٩٥٨م، ولكنها لم تتم لظروف طارئة، وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م في العراق، رحلت إلى المغرب للتدريس في جامعة محمد الخامس. فعدت إلى القصيدة منقِّحاً ومحوِّراً وحاذفاً لبعض أبياتها، بما تدعو إليه الظروف والمكان ونشرتها في جريدة الشعب المغربية بالرياض. لذلك يصحُّ أن تدوَّن هذه القصيدة بين أشعاري المغربيات.

وقفتُ وما مطلبٌ لي هناك ... سوى وحدةِ العِرقِ والمنسَبِ
وودٍّ ورثتُ فمحَّصتُهُ ... بعلمٍ فكان به مذهبي
وغيرَ الحقيق ممَّا سمعتُ ... عنِ الشعبِ والملكِ الطيِّبِ

وكانَتْ تَرامَتْ كنفحِ الرياض ... أحاديثُ عن مجدك المُسهَبِ
رواها الرواةُ... فمن مُعجِمٍ ... يُجمجمُ أو مُفصحٍ مُعرِبِ
فكانَتْ: كأنَّك شمسٌ طلعتَ ... من الغرب في شرقك المُعجَبِ
وكانت: كأنَّك أهلاً حللتَ ... وسهلاً نزلت على مرحَبِ

****

وشاهدتُ بعدُ فماذا شهِدْتُ؟ ... شهدتُ أقاصيصَ لم تُكتبِ
شهدْتُك شعباً بمَلْكٍ توحَّد ... ومَلْكاً وشعباً على مذهبِ
شهدتك ملكاً بشعبٍ أبِيٍّ ... شهدتك شعباً بِمُلْكٍ حُبي
شهدتُ أبا الشعب فيك الأبرَّ... ... وبِرُّ البنين ببِرِّ الأبِ

****

لقد كنتَ شعباً كريماً يُضامُ ... فغامرتَ تعصفُ بالأجنبي
فلا «التاجُ» حالَ ولا «الصولجانُ» ... ولا روعةُ المُلك في موكبِ
ولا إرثُ آلك ذاك العريضُ ... ولا ما تُورِّثُ للمُعقِبِ
وشعبُك يرسفُ في قيده ... ودنياه تحيا بلا مأربِ
فإنْ قام قام على مُرعبِ ... وإن نامَ نامَ على مُرهبِ

فساهمتَ شعبَك أوصابَهُ وآثرتَ نفسَك بالأوصب
فواسيتَهُ... بل وآثرتَه وأحبِبْ بها إثْرةً... أحبب

****

وقد كانَ شعبُك يومَ النضال مليكاً حريصاً على المنصب
فثار يُثبِّت أركانَه بعقلِ حكيمٍ... وطيشِ صبي
وخاض المخاطرَ لم يَرهَبِ وحلَّ المشاكلَ لم يُنكَب
لقد ذاب فيك وذبْتَ به وذَوبُكما في هوى المغرب
فبورك مُلكُك من موطنٍ خصيبٍ وشعبُك من مُنجب
وبوركتَ حصناً تقيه العوادي من الزمنَ المسبعِ المُذئب

****

ذكرتُ صفاتِك لم أكذبِ ولم أبتسرْها ولم أُطنبِ
ومنذُ عرفتُك لم أُعجَبِ وأنتَ منَ الطيب في الأطيبِ
أيا دفقةً من سنا النَّيِّرين : «نبيِّ الهدى» و«وصيِّ النبي»
وفحوى الرسالةِ من هاشمٍ تُبلِّغ للحُضَّرِ الغُيَّبِ
وسُلسلتَ من دوحةِ الطيِّبينَ لها في الجنى الابنُ مثلُ الأبِ
هداةٌ كُفاةٌ وصيدٌ حُماةٌ وأغلبُ يقفو خطى أغلبِ
فللحقِّ كم قدَّموا أنفساً وفي الحقِّ كم منهمو محتبي
وكم أغنَوا الفكرَ من وفرهم وما الكسبُ إلاَّ منَ المكسِبِ
وكم حرَّروه وكم حرَّكوه فحلَّق يقدحُ بالأشهبِ
فلا راكدٌ آسنٌ وِردُه فمورده النبعُ... لم ينضبِ

أولئك الغُرُّ هـذي الأوائـلُ | يـا دفقـةً مـن سـنا الكوكـب
طلعتَ منَ الغربِ من موكـب الشُّـ | ـموسِ علـى شـرقِك المُعجَـب
فـهبَّ العـراقُ جميعـاً إليـكَ | مـنَ القصـرِ والكـوخِ والمضـرب
وسار مـنَ الشَّـوقِ فـي مَـقْنبٍ | إليـكَ يُزاحـمُ بـالمنكب

****

أيـا هامـةَ العُـرب فـي المغـربِ | ويـا قِمَّـةَ الشَـرف الأنجـب
ويـا نـورَ أيَّامنـا المظلمـاتِ | تشـقُّ الغيـاهبَ بالأشـهب
ففي الشـرق مـن قومـك الأقربيـنَ | سُـراةُ العشـيرةِ فـي المَنسـب
سـماءٌ تغَيـم وجمـعٌ يَـهيمُ... | علـى وجهـهِ بـالفلا السبسـب
فمُـدَّ لصدعـهمو أنمـلاً | مباركـةً... صدعُـهُمُ يُـرأب
وذكرهمـو بالأمـاني العِـذابِ... | ... أجـاجيُّ موردهـم يَعـذُب

****

أيـا موطـنَ الصيـدِ مـن أهلنـا | لـدى منـزل الشـمس للغيـهب
جـوارُ «الشـراةِ» مـن الطـامعينَ | علـى الـدرب عنـد فـم المرقَـب
بمرمـى الكُـراتِ مـن اللاعبيـنَ | وقيـد المضـاربِ فـي الملعـب
حمـاك الإلـهُ وصـانك مـنْ | بـوارقِ وعدهمـو الخُلَّـب
جراحـك مـا زال منـها الصديـدُ | يسـيلُ بـأُخدوده المُرْعـب
دمـاءُ «الجزائـر» لـم تَنضـبِ | ومِـنْ غـيرِ عرقـك لـم تُسـكبِ
وثكلـى الجزائـر لـم تنـدبِ | لثـأرِ لـها بعـدُ لـم يُطلـبِ
أفـي يومنـا مـن بقايـاالقرونِ | رجـالٌ تـهارشُ كـالأذؤبِ؟

ففـي «السـين» مَوبـأةُ المُـترفينَ ... ضـراوةُ ذي النـابِ والمخلـبِ
وطبـعُ الفراشـة عنـد المطامـــ ... ـع تُـردى علـى لمحـها المُلـهبِ
فمـا قادهـا العقـلُ فـي مطلـبِ ... وقـد قادهـا الجـهلُ فـي مـهربِ
تَـودُّ إعـادةَ أيَّامنـا ... إلـى مِحجـر الضـبِّ والعقـربِ
إلـى الغـاب تُنشـبُ فيـه الضبـاع ... مخـالبَ بـالريم والربـربِ
أسـاليب مـن آبـداتِ الدهـورِ ... تعاصَتْ علـى السـيل فـي مـأربِ
وجـاءَتْ علـى غفـلاتِ الزمـانِ ... يجـوسُ خـلال بنـي يَعـربِ
ففي الشرق والغـربِ مـن أرضنـا ... مَراغـمُ أنـف الحمـيِّ الأبـي
وكـانَتْ بـها وثبـاتُ الشـعوبِ ... ... كمـا النِّيـب قيـل لـها ثوِّبـي
فكـانَتْ بـها يقظـةٌ للعزائـــ ... ـمِ شُدَّتْ علـى السـيف بـالمِقضبِ
وكـان نضـالٌ وكـان التقـاءٌ ... علـى حومـة المـوت فـي مِقْنبِ
فيـا طيـبَ هـذا اللقـاءِ الـرويِّ ... علـى المـورد الأطيـبِ الأعـذبِ
لقـاءُ المُحـول بجـود الغَمـامِ ... يُسـاقطُها بـالندى الصَّـيِّبِ
وجدنـا بـه الـريَّ للظـامئينَ ... فـهام الصـديُّ إلـى مَشـربِ
وجدنـا بـه ريـحَ أوطاننـا ... فحـنَّ الغريـبُ إلـى الملعـبِ
وراح الأليـفُ إلـى إلفـه ... رَواحَ الظبـاءِ إلـى المسـربِ
ذكرنـا الإخـاءَ بيـوم الرخـاء ... وفـي الشَّـدِّ مـن يومنـا المُحـربِ
ذكرنـا بـه أمسَـنا المسـتطابَ ... وموقـعَ حاضرنـا المُعقـبِ
ذكرنـا الحـدودَ، وأيُّ حـدود ... وأرضـي مـنَ الشـرق للمغـربِ
وشمسـي تُنـير بأفلاكـها ... وعـن أفْـقِ أرضـيَ لـم تَغـربِ
وأنَّـى اتَّجـهتُ فـأهلي وبيتـي ... ولا مـن مُليـمٍ ولا مُعتِـبِ

رويـداً غــداً نلتقـــي فـــالحدود إلــى الــهدم فــي يومنـــا الأقـــربِ
أبيـــن العمومــــة مـــن وائـــلٍ وعــزّ العشـــيرة مـــن تغلـــبِ
حـــدودٌ تُقـــام!! فـــأيُّ غبـــاءٍ تجسَّـم فـــي بُـــرد أيِّ غبـــي؟
مشـى اليـوم يكتســح الحــاجزات بــ «باب المضيق» إلــى «المنـدبِ»
مشى اليــومَ... يعصـفُ بــالمجرمينَ ويُعلِــي الــبريء علــى المذنـــبِ
مضــى أمــسِ... لا يومــه راجـــعٌ ولا اليـــومَ كـــالأمس بـــالأخيبِ

صور من المغرب

جمال فاس * :

يـــا مـــن رأى فاســـاً أُري بـــالعينِ مـــا رسَـــمَ الخيـــالْ
جـــزءُ الجمــــالِ بغيرهـــا وبـــها أرى كـــلَّ الجمـــالْ
يـــا زرعَ فـــاسٍ... يـــا جمـــالْ بنســـائها أو فـــي الرجـــالْ
بســـهولها أو فـــي الجبـــالْ ووهادِهـــا أو فـــي التِّـــلالْ
برياضِـــها تحـــتَ الظـــلالْ ومنـــابعِ المـــاءِ الـــزُّلالْ
كـم ذا سُـقيتُ الخمـــرَ مـــن سلســـالكِ العـــذبِ الحـــلالْ
ألـــوردُ تُنبتُـــه الرِّيـــا ضُ وتُنبـــتُ الصحـــراءُ آلْ
يـــا فـــاسُ فيـــكِ مـــن الجمـــا لِ «الكـــل» للبـــاري مثـــالْ

* فاس ١٩٥٩/٩/٢٧م.

شغف * :

وتقول لي:

يا طفليَ الدَّنفا

وتربِّتُ الكتفا

*****

وأريتُها دنفي

في شكل معترفِ

ما كنتُ إلاَّ طفلَها الرجلا

أهوى بها قُبَلا

والحب ما قتلا

*****

وتهالكت شغفا

فتحمَّلي عجلا

من ذلك الشغَفِ

*****

قامت تربِّتُ لي على كتفي

وتقول لي: يا طفليَ الدنفِ

****

---

* الرباط ١٧/٥/١٩٦٠م.

قصة من فاس * :

لا... ألفُ لا...
لا أذكرُهُ...
ألاسم لا أذكرهُ
أنا غير صبِّكِ لم أكنْ
أنا لم أخنْ
برهانُ قولي «لم أخنْ»
الاسم لا أذكرهُ

*****

لكنْ أقولُ لتسمعي
بحياة حبكِ... إسمعي
هل تذكرينْ؟!
عامان في فردوسنا
ما كنتُ أعشو بالسنا
ألليلُ... أنتِ به قمرْ
ولا بشرْ
أحسو وأنتِ تحتسينْ
من كاسنا

*****

يا ساليةْ
يا... ناسيةْ

---

* الرباط ٢٠/٥/١٩٦٠م.

تنسينَ حبَّكِ لن تكوني خائنهْ
أنا لم أخنْ
لكن أقول لتذكري
هل تسمعين...؟
هل تذكرينْ؟!
عامٌ مضى... وتلاحقينْ
وتلاحقينْ...
من قبل ما تستأسرينْ
قد كنتِ عندي أيَّ شيءٍ لا يكونْ
حتى إذا أصبحتِ عندي كلَّ شيءٍ قد يكونْ
ألقيتِ قلبي في أتونْ
وتركتِني...
وكأنَّ شيئاً لم يكنْ...
وكأنَّ أمسَكِ لم يكن أمسي الحنونْ
*****
عامان في فردوسنا
في فاسنا...
أحسو وأنتِ تحتسينْ
من كأسنا
قد كان قلبي معبداً أنتِ بهِ...
كنتِ الصليبْ...
كنتِ به نارَ المجوسْ...

كنتِ اليقينْ...
والعابدُ الزمِّيتُ في مِحرابِهِ...
لا تذكرينْ لا تسمعينْ... ترنيمةَ القلبِ الحزينْ
وكأنَّ أمسَكِ لم يكن أمسي الحنونْ
*****

عامان في فردوسنا
في فاسنا ...من كاسنا
أحسو وأنت تحتسينْ
ذكراكِ في قلبي يقينْ
أذكرتِ أم لا تذكرينْ
*****

فتياتُ فاسِ فاتناتْ
ومدينةُ العشاقِ فاسْ
لكنَّ ثَغْرَكِ كالسحَرْ
نورُ السحَرْ...
وَسنانْ
فجرٌ أطلَّ من الأُفُقْ
في شفقْ
شقَّ الظلامَ وانبثقْ
سكرانْ...
فتياتُ فاسِ فاتناتْ

لكنَّ ثغركِ ما لَهُنّ
بسماتِ ثغركِ ما لَهُنّ
*****
ذكراكِ ... والنهدُ الطَّموحْ
كلُّ السماءِ... والنجومْ
في سهومْ
ألبدرُ والنجمُ اللَّموحْ
كانت عيونْ
ترنو إلى النهدِ الطَّموحْ
ماذا تقولْ...؟:
هذا فضولْ...
*****
ما كنتُ أعشو بالسنا
عامانِ في فردوسنا
في فاسنا
أحسو وأنت تحتسينْ
من كاسنا
وتركتِني...
وكأنَّ شيئاً لم يكنْ...
وكأنَّ أمسكِ لم يكنْ أمسي الحنونْ

شارع الغزل *

فـي شـارعِ الغـزَلِ ... يـا ثـورةَ المُقَلِ
ترنو بلا خجَلِ ... في سمتِ مبتهِلِ
هل تبتغي غزلاً؟ ... دنيا من الغزلِ
في كلٍّ زاويةٍ ... في كلٍّ منفتَلِ
نجوى مراهقةٍ ... لمراهقٍ رَجُلِ
أو همسِ محتشِمٍ ... في أُذنِ مبتذَلِ
أو جَهرِ مُعتهِرٍ ... في محضرِ خَجِلِ
هل تشتهي قُبَلاً ... ...يا جذوةَ القُبَلِ
ناراً مقدَّسةً ... فوقَ الفمِ اشتعل
ما أُطفئَتْ زمناً ... منذ المدى الأزلي
غزلٌ بلا قُبَلِ ... حُبٌّ بلا أمَلِ
إسمعْ صدى الغزَلِ ... إسمعْ صدى القُبَلِ
في كلِّ زاويةٍ ... في كلٍّ منفتَلِ
شدَتْ معربدةٌ ... لمعربدٍ ثَمِلِ
ألقَتْ بناضِجِها ... من فوقِ مُنتَهَلِ
في وسْطِ شارعِنا... ... يا مصرَعَ الخجَلِ
هذي عجائبُنا ... كانتْ ولم تزلِ
قامتْ مدينتُنا ... في شارع الغزَلِ

******

* الرباط ٩/٦/١٩٦٠م.

أمازيـغ*

أمازيغ تعني الأحرار وتطلق على سكان المغرب الأولين سكان جبال الأطلس في المغرب والأوراس في الجزائر والبربر. وكنت شرعت بوضع ديوان شعر باسم «أمازيغ» يجمع مقاطيع تقص تاريخ المغاربة الأولين وأساطيرهم منـذ نزوحهم من المشرق قبل الفتح الإسلامي بموجات وما رافق ذلك من أسـاطير وملاحم وإلى يوم التقائهم ببني عمومتهم المسلمين عند الفتح، وما كان لهم من أثر في الفتوحات الإسلامية ما وراء المغرب في أفريقيا وأوروبا.

****

عبر الدروب:

أمـــازيغُ هـــلاَّ ذكــرتِ الشـــروقْ   بتــــاريخكِ الأبعـــدِ الأبعــــدِ
وقصفَ الرعـــودِ ولمـحَ الـبروقْ   علـــى أمســكِ المــبرقِ المرعــدِ
ويومـــاً تخــيَّرتِ بُعــداً ســـــحيقْ   تَخِــبُّ المســيرةُ فــــــي فدفــــدِ
وعنـــد مفـــارقِ بعــضِ الطريـــقْ   تيـــــامنتِ بالمشـــــئمِ المنجــــدِ
ركبتِ المفــــازةَ تحــدو الغـــروبْ   معَ الشمس حتَّـــى صبـــاح الغـدِ
وخلَّفــتِ أهلَــكِ حيــثُ النـــدوبْ   تُنـــادي النـــدوبَ بــلا مُســــعدِ
وظلَّـــتْ ديـــاركِ عــبرَ الـــدروبْ   تُفتِّــشُ عنــكِ بــــــلا مرشــــدِ
وكيــفَ؟ وأنَّـــى تلاقَــتْ قلـــوبْ   وقـــالتْ لـــذاك البعـــــادِ ابْعــدِ

---

* الرباط ٨/٦/١٩٦٠م.

صاحب البرنس *

أمــازيغُ فــي الجبـلِ الأطلــسِ ... أمــازيغُ يــا صــاحبَ الــبرنسِ
تــراءى خيــالُكَ فــي خــاطري ... صبايــا تــهادَيْنَ فـــي عُـــرُسِ
رأيتُــك فــي هدبــاتِ الســحابِ ... بــألوان مــن قُـــزَحٍ تكتَســـي
رأيتُ به مـــن طيــوف الرِّغــابِ ... شــخوصاً تَحلَّقْــنَ فــي مجلـــسِ
رأيتُ طيــورَ الأمــاني الزِّغــابِ ... شــواهينَ فــي الجبــلِ الأطلــسِ
رأيــتُ طيــوبَ حديــثِ الشــبابِ ... وفــي غــير حســنكَ لــم يَنبــسِ
رأيتُ رذاذَ الســـنا فــي الســحابِ ... تَتــاركَ فــي الــوردِ والـــنرجسِ
رأيتُ الســحابَ الثِّقــالَ الرِّطــابَ ... تُمــيرُ نَمــيرَك للمغـــــرسِ
وتخْتارُ منـــها البقــاعَ الخِصــابَ ... ومــن وردهــا شــربةً تَحتســـي
وما كــانَ ظنِّــيَ طيــفَ الكَــرى ... يُحقِّقــه لونُــك السندســـــي

على الصهوات وفي المربط **

أمــازيغُ فــي الأطلــسِ الأوســطِ ... صفــاؤكَ لا المــاءُ فــي المنبـطِ
تَجاريَتَ والضــوء فــي مسرَبِ ... وما حِدتَ عن أشــرف المَسقطِ
قبضــتَ مســيلكَ عــن بُـــؤرةٍ ... بها للطحــالبِ مــأوىً وَطــي ...
وجاورتَ منتطحـــاً فــي الســماءِ ... معَ النســرِ فــي رِفعــةِ المفــرطِ
بسطْتَ جنــاحَيْكَ قيــدَ الإبـــاءِ ... وما ســفَّ عــن ذاك لــم تَبسـطِ
أقاصيصُ عنـــك روتْــها الــرواةُ ... على الصَّــهواتِ وفــي المَربــطِ
برانسُ... يا مجدَنـــا فــي الزمــانِ ... فيــا حــاضري برنســاً خيِّــطِ

---

* الرباط في ١٩٦٠/٦/٩م.
** الرباط في ١٩٦٠/٦/١٠م.

من طارق إلى محمد الخامس*

أمازيغُ مـــن طـارقِ بـنِ زيـادِ   وحتّـــى محمَّـــدِ الخـــامسِ
أمـــازيغُ للرَّهَـــجِ المســـتثارِ   أمـــازيغُ يـــا نخـــوةَ الفـــارسِ
أمـــازيغُ للوَهَـــجِ المُصطلـــى   أمـــازيغُ يـــا قبســـةَ القـــابسِ
عنـــودُ الكرامـــة لا تلتقـــي   معَ الخصمِ... إلاَّ على «داحـــسِ»
جبـالُ الــبرانسِ حيـثُ رســـتْ   تُشـــيرُ إلـــى مجـدِكَ الشـــامسِ
وقفـتَ علـى أمسِـنا الســـائسِ   وأمجـــادِهِ وقفـــةَ الحـــارسِ
وكنـتَ إلـى أمسِـــنا البـــائسِ   أخـــا دربِنَـــا الواضـــحِ الدامـــسِ

أمازيغ أوراس**

أمـــازيغُ أوراسُـــك الشـــامخُ   وأوراسُ... يا طودُ... يـــا راسـخُ
على الغَـــربِ حيـث رســا أسُّـه   تعالى... وهـــامُ العـدى راضـخُ
أغابٌ...؟ بلـــى وجمـــوعُ الأســودِ   علـــى كـــلِّ عـــادٍ بـــها صـــارخُ
ونـــارٌ تُبيـــدُ بـــلا رحمـــةٍ   ولِـــمْ لا؟ وأنـــتَ بـــها نـــافخُ
تجـافَلَ منـــك شـــياهُ العـــدوِّ   ولِـمْ لا...؟ وأنـتَ لـه سـانخُ

****

---

* الرباط ١١/٦/١٩٦٠م.

* * الرباط ١١/٦/١٩٦٠م.

يا جرحنا *

أمــــازيغُ أوراسُـــنا يَـــزأرُ ... وأوراسُ يـــا جرحَنـــا يثـــأرُ
قراصنـــةُ الجـــوِّ أهُـــيَ النســـورُ؟ ... ويـــا ليـــتَ مِنقرَهــا منســـرُ
تعـــسُ فتـــأخذ عقبانَنـــا ... كعـــسِّ ابـــنِ آوى إذا يُجحـــرُ
فيـــالبطولاتِ هـــذا الزمـــانُ ... إذا غـــابَ عـــن جوِّهـــا عنـــترُ

جلابــه **

حـــــيَّرني جلابـــــه ... وقــــد حكـــى جلابـــها
فمُقبـــلاً أعرفُـــه ... ومدبــــراً تَشـــابها
يـــا مَـــنْ زرعـــتَ لحيـــةً ... فـــي وجهـــةٍ زارتْ بـــها
منبِّـــهاً كـــانتْ بـــه ... أنـــتَ بـــها منبِّـــها
لا فخـــرَ فـــي أعقابِـــه ... تخالُـــها أعقابَـــها
فلحيـــةٌ وشـــاربٌ ... عوَّضتـــا نقابَـــها

جلابهــا ***

جلاَّبــها... يــا موســم المواقــدِ ... نِقابــها... يــا مطلــعَ الفراقــدِ(١)
في لمحِها يا طـــولَ مـــا تـــهافتَتْ ... فراشـــةٌ تعشـــو بقلـــبِ واجـــدِ
مغـــرورةُ الجمـــالِ فـــي رقدتِـــه ... تُريكَـــهُ مســـتيقظاً فـــي راقـــدِ
في لفتةٍ... يا سحرَها قـــد جمعَـــتْ ... شـــواردَ الأحـــلامِ فـــي مَـــزاودِ

---

* الرباط ١٢/٦/١٩٦٠م.
** الرباط ١٢/٦/١٩٦٠م.
*** الرباط ١٤/٦/١٩٦٠م.
(١) الجلاَّب يغطي كل الجسم، تلبسه المرأة في الصيف والشتاء، والنقاب يغطي كل الوجه خلا العينين.

أرسَتْ بـها لحاظَـها كـزورقٍ ... منَ الخليجِ وَسْـقَ طيـبٍ وافـدِ

أرختْ عليها متعباً مـن جفنِـها ... كما تراخى مجـذِّفٌ مـن جَـاهدِ

غلائـلُ الأحـلامِ فـي جَلبابِـها ... تفلّتـتْ كطـائرٍ مـن صـائدِ

مِراحُها... لـها بـه مـا تشـتهي ... فرائـد الحيـاةِ غـير الزاهـدِ

ماذا على الأوراس؟!*

يـا أختَ كـلِّ مكلَّـلٍ بالغـارِ ... ماذا عـنِ الأوراسِ مـن أخبـارِ

هل كفكفَ التصريحُ مـن عزَماتِـهِ ... تلوي عِنـانَ الفـارسِ المغـوارِ؟

تلكُمْ تصاريحُ الخـداع فمـا بـها ... إلا السَّـرابُ بلمعـهِ الغَـرَّارِ

لم يُعطِ الاسـتعمارُ إلاَّ عـن يـدٍ ... حقّـاً يُقـرُّ مصـائرَ الأحـرارِ

حـقُّ المصـيرِ لمدفَـعٍ هـدَّارِ ... كُـرُّوا فـإنَّ النصـرَ للكـرَّارِ

اللهُ أكـبرُ زأرةٌ مـن أجمـةٍ ... اللهُ أكـبرُ قَبسـةٌ مـن نـارِ

للخيـلِ حمحمـةٌ إلـى كـرَّارِ ... للسـيفِ صلصلـةٌ لـدركِ الثَّـارِ

يا بنتَ خـوَّاضِ الغِمـارِ تقحَّمـي ... ... ألنصرُ حذوُ الصبرِ فـي المِضمـارِ

فلقـد صمـدْتِ لكـثرةٍ غـدَّارةٍ ... بكثـيرِ صـبرٍ... ليـس بـالغدَّارِ

مـا للمـروءةِ غـيرُ أمٍّ أرضعَـتْ ... «عمْرَ بنَ هندٍ» ذا الحمى والجـارِ

تلك الوجوهُ السمرُ لا مـا رقَّقَـتْ ... بـاريسُ خلـفَ مخـابئِ الدُّعَّـارِ

جبَّارُ هذا اليـومِ صـاغرُ أمسِـهِ ... أعجبْ لـه مـن صـاغرٍ جبَّـارِ

أللـينُ يُغـري بـالكرامِ لئامَـها ... مـا للجعـالِ ونفحـةِ الأزهـارِ

لا يسـتطيبُ اللـذمُّ إلا عيشـةً ... فـي ظـلِّ بطشـةِ قـادرٍ قـهَّارِ

* نظمتها بعد تصريح ديغول الأول، الرباط ١٥/١١/١٩٥٨م.

سنقيم أعياداً *

شُـدَّ الزنـــادَ بـــأُصبعِكْ واثبُــتْ فُديــتَ بموضعِـــكْ
هـــيَ جولـــةٌ أو جولتـــا نِ ...وترتقــي فـــي مطلعِـــكْ
مـــا كـــانَ تصريـــحٌ مضـــى مـــعَ أمســـه مـــن مُقنعِـــكْ
لـــم تنخـــدعْ يومـــاً بتصـــ ـــريـــحٍ ... فَـــردٍ مـــن مَشـــرعِكْ

****

صـــبراً غـــداةَ غـــدٍ لقـــا نـــا والمنـــى فـــي مربعِـــكْ
ســـتَعبُّ كـــأسَ النصـــرِ نشـــ ـــوانَ الـــرؤى مـــن منبعِـــكْ
ســـتُقيم أعيـــاداً كبـــا راً فـــي مســـاقط أدمعِـــكْ
فـــي مصـــرعِ الأطمـــاع فـــو قَ ترابِنـــا... لا مصرعِـــكْ

يومان في تاريخ المغرب **

كـــانَتْ علـــى الأمثـــالِ تُضـــ ـــربُ في الوفـــاءِ المـــرَ «خنســـا»
وبـــهيكلِ العربـــيِّ كـــا نَ«مهلـــهلٌ» للثَّـــارِ قُدســـا
و«ربيعـــةُ بـــنُ مكـــدَّمٍ» لحميَّـــةٍ ســـيفاً وترســـا
أمَّـــا وشـــعبُك كيـــف أنـــ ســـانا لـــدى الغـــاراتِ «عَنْبســـا»

---

* نظمتها بعد تصريح ديغول الثاني في ١٩٦٠/٦/١٥، الرباط ١٩٦٠/٦/١٨م.

** نظمتها بمناسبة مرور سبعة أعوام على نفي الملك محمد الخامس، الرباط ١٩٦٠/٧/١م.

فـي أيٍّ «يومَيْـك» اللَّذَيْـ ـنِ تجسَّـدا بؤسـاً وأنسـا
فـي يومـك المرعـوبِ مـن «غشتٍ» صببتَ عليـه ورسـا(١)
فتطـايرَتْ عزماتُـه لكـنْ إلـى الثـاراتِ همسـا

****

أو يومـكَ المشـهود مـنْ تشـرينَ قمـتَ عليـه شمسـا(٢)
فتـهلَّلتْ قسـماتُه يَـهوي عليـك بـهنَّ قَبْسـا
سبعٌ مضَـتْ لـو أنَّـها السَّـ ـبعون عامـاً ليـس تُنسـى
لا والـذي لعـلاك أرسـى وصفـاك فـي الأطـهارِ نَفْسـا
مثلمـا تذكـرُ ثكلـى فقـدَ واحدِهـا فتأسـى
مثلمـا الحسـناءُ لا تَنـ ـسى لـها فـي السـعدِ عُرْسـا
مثلمـا الطـالبُ فـي الصـفِّ تلقَّـى فيـكَ درسـا
ليـس يَنسـى شـعبُك الْـمو تـورِ«غشـتاً» ليـس ينسـى
ليـس يَنسـى أنَّ يومـاً قادمـاً بيديـه أقسـى
يـومٌ سـيوغل شـعبك الـ ـمغـوارُ بـالأعداءِ كَنْسـا
ويـحَ المغفَّـلِ يومُـه قـد عـاد منـذ اليـومِ نُكْسـا
إذ خـال يبنـي مجـدَه فبنـى لـذاك المجـدِ رمْسـا

(١) كان نفي الملك محمد الخامس إلى جزيرة مدغشقر في شهر آب ١٩٥٣م.
(٢) كانت عودة الملك محمد الخامس من المنفى في تشرين.

في ذكرى تأسيس القرويين

أقامت جامعة محمد الخامس في الرباط مهرجاناً ضخماً بمناسبة مرور ١١ قرناً على تأسيس جامع القرويين بفاس دعت إليه أعلام الفقه والثقافة في العالم وكنت رئيس القسم العربي في الجامعة فاختارني رئيس الجامعة عضواً مرافقاً للوفد العراقي وكان مؤلفاً من الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ بهجة الأثري وافتتحت المهرجانات في ٥/١٠/ ١٩٦٠ م، بجولة في أمهات المدن المغربية ذات الأهمية الأثرية والعلمية والفنية حيث شاهدت الوفود أنواع الضيافة المغربية وأنواع العادات والأريحيات والفروسيات العربية. وفي ١٠/١٠/ ١٩٦٠ م، افتتح الملك محمد الخامس الاحتفال في جامع القرويين ثم انتقلت الوفود إلى جامعة القرويين الحديثة فتابعت اجتماعاتها. كانت هذه القصيدة، من المواضيع التي حُضِّرت لهذه المناسبة ولقد نشرت في كتاب جمع ما ألقي وما قيل وما أرسل في هذا الاحتفال:

تلاقَتْ هـهنا للعلـم وَفـدا	هداةٌ مـن نجـوم الليـل أهـدى
سراةُ العلـم مـن أقصـى وأدنـى	أتَتْ تُحيـي بكـم للعلـم مجـدا
تفـاهمتِ اللغـاتُ بـه وكـانتْ	عجيبـاً أمرُهـا سِنداً وهِنـدا
ومجدُ العلـم أولـى مَـنْ تحـدَّى	سُعارَ الجـهلِ عفَّـر منـه خَـدّا
فـألغى عنصـراً قـد كـانَ سـدّاً	وهـدَّم نعـرةً قـد شـاد حـدّا
حماةَ العلم هـذا الصـرحُ أعطـى	فـأعطوه مـع الغَـدوات حَمـدا
لقـد رسـمته أنملـةٌ لطـافٌ	على الفن اللطيف عُـهِدَتْ تنـدَّى
ومـا عـهدي بصانعـةٍ طـرازاً	ومتقنـة الطـهي طبخـاً وثـردا
بصانعـةِ العلـى جمعـاً وفـرداً	وصاقلة الحِجـى سـيفاً وغِمـدا
ومبدعـةِ الفنـونِ الكُـثْرِ هـذي	منائرُهـا تفـوقُ الحصـرَ عـدّا
ومـا أمُّ البنيـن سـوى رؤومٍ	نَمتْكُـم فـي البنيـن أبـاً وجـدّا
أقـامَتْ أسَّ هـذا الصـرحِ يعلـو	من الغرب القصيِّ صدىً ووقـدا
تراءى لمحةً فـي الشـرقِ برقـاً	وجلجلَ صوتُه في الغربِ رعـدا

وكان لــــه بثَبْــتِ الضــادِ سـطرٌ | تبــوّأ مقعــدَ التـــاريخ خُلــــدا
وكــان لــه بحفــظ الديــنِ جــهدٌ | تبارك في الحفـــاظ المــرءِ جــهدا
وأنتــم مــن بنيــه الغــرِّ حشــدٌ | تطوّعَ فــي ســبيل الحــقِ جُنــدا
وقفتُــمْ وقفــةً شــــدَّتْ فــأوفتْ | تعــالىالله مَــنْ لــلأزْرِ شَــــدّا
صددتُــمْ عــن عروبتِكــم عَـــواد | وصنتــم حــوزةَ الديــنِ المفــدَّى
زمـــانٌ والزمـــانُ لنـــا قريـــبٌ | فَلَمْ يوغِــلْ مــعَ الأجيــالِ بُعْــدا
ذكــرتُ بــه المغــيرَ وكــان لــدّاً | يفــورُ عــداوةً ويَفيــضُ حِقــدا
يُخطِّــط للإبـــادةِ مـــــا دعَتْــه | ضــراوةُ طبعــه قصــداً وعَمــدا
فخــابَ علـــى تعاليــه وأكـــــدى | وفزتــم بـــالذي أغنـــى وأجـــدى

حماةَ الضادِ مـــن أعــراقِ قومــي | رأيــتُ بــأرضِكم تبّــاً وســـعدا
فــهذي الطــرَّةُ الغــرَّاءُ رفَّـــتْ | علــى القســماتِ بنــداً أو فِرَنْــدا
وَضَــوْءاً ســافراً لا ريــبَ فيــه | وظــلاً وافــراً للعُـــربِ مُــدّا
ســماتٌ لســتُ أنكرُهــا لســـاناً | ووجــهاً أســمراً ويــداً وزنــــدا
رأيــتُ النخــوةَ العربــاءَ تَعلــي | علــى صهواتِــها عَمْــراً وزيــدا
رأيــتُ سُــرادقَ النعمــانِ هـــذي | كتلــكَ تفــوح داريّـــــاً ونَـــدّا
رأيتُ قبابَ طـــيءٍ فـــي البــوادي | وحاتمُها لـــدى الأضيـــافِ عَبْـدا
رأيــتُ جِفـــانَ هاشــمَ راســـيات | تَفيــضُ ســفوحُها ســمناً وشــهدَ
مكارمٌ قـــد عرفــتُ لــها نظــيراً | علــى هُدبــاتِ أُفقِكُــمُ المنـــدَّى
تَهدّلُ مـــن أعـــالي الشُــمِّ تُــبهدي | إلـــى الربـــواتِ رَيحانـــاً وَوردا
وتَسقي المعرشـــاتِ الفيــحَ عذبــاً | فتدنـــو مـــن جنـــيَّ أخـــذاً وردّاً
كســوتُمْ سِــفْرَنا روحــاً وراحـــاً | فهاكمْ مـــن نســيجِ الحَمــدِ بُــردا

فرحة العرب *

عندما عاد ابن بلة ورفاقه من الأسر بعد نجاح المفاوضات الجزائرية الفرنسية واستقبله الملك الحسن وحكومته وشعبه في يوم تاريخي حافل:

هي فرحةٌ ماذا أعبِّرُ؟ فرحةٌ!! ليس الكلام مصوِّراً إحساسي
أنا راسمٌ لك خطَّةً موصولةً من سفح «حمرين» إلى «الأوراسِ»
حشدٌ منَ الأفراح ردَّدَ رجعَها حشدُ الملائكِ والملا والناسِ
هذا مجازُ الفاتحينَ وقد سمَتْ من فوقه الآمالُ بعد اليأسِ
عاد ابن بلَّةَ باللواء يهزُّهُ زندٌ تعوَّد رفعَهُ بمراسِ
من فوقه للنصر رفَّ مجنَّحٌ كم ثروةٍ خشعَتْ له بالراسِ
كانَتْ فرنسا والجزائرُ لقمةً بفم «المعمِّر» من بني الإلزاسِ
غلاَّتُها فوق الرصيف مُعدَّةٌ للوَسْقِ أكياساً على أكياسِ
لا يجتني منها بنوها حبَّةً وإلى فرنسا الكيلُ بالأكداسِ
كانَتْ حمىً.. لكنْ «كُلَيْبٌ» في الحمى هي طعنةٌ أردتْهُ من «جسَّاسِ»
أمُّ «الأشاوسِ» كنيَةٌ لكِ فاسلمي كم ذا ولدتِ لنا «أبا فراسِ»
أهلُ «الحمى» صانوا حمى الأوراسِ قد علمّونا الصبرَ عند الباسِ

****

* الرباط ١٥/٣/١٩٦٢.

كم أشكو *

أملازمـــي قبــــل الحيـــا ... ةِ ألا تُفـــارقُ مضجعـــــي؟
إنِّــي ســـئمتُك فاســـــ ... ـمعِ إن كنـتَ لمَّـا تسـمعِ
حـــالفتني للأربعيـــــــ ... ـنَ بدأتُــها مـــن أربـــعِ
وتوافـــدَتْ خمســـونَ أغـــ ... ـوامـــي تُجرِّبُـــها معـــي
مـــا كنـــتَ إلاَّ نـــافعي ... فيـــها وكنـــتَ كتُبَّـــعِ
للغـــربِ جئــتُ وجئــتَ خلـــ ... ـفي غاربــاً فـــي المَطلـــعِ
بئـــسَ المتـــابعُ والتبيـــ ... ـعُ وصحبـــةٌ لـــم تَنفـــعِ
قســـماً بـــذات الله وهْـــ ... ـي أليـــةٌ مـــن مدمعـــي
هـــذي الحوانـــي كـــم تضـــمُّ ... أمانيـــاً لـــم تَطلـــعِ
والخـــافقُ الحـــيرانُ كـــم ... يشـــكو لمَـــن لـــمْ يَســـمعِ
للزُّغـــبِ ويـــحَ أبيـــهُمُ ... مـــا فـــي حنايـــا أضلعـــي

في كعبـةٍ وُلـدَ * *

فـــي كعبـــةٍ تَتولَّـــدُ ... وبمســـجدٍ تُستشـــهَدُ
هـــي صدفـةٌ؟ لِـــمَ لا تكـــ ... ـررُ صدفـــةٌ وتُجـــدَّدُ؟
لِـــمَ لَـــمْ يُصادفْـــها ســـوا ... ؤك مفـــردٌ... يـــا مفـــردُ

أمُّ القـــرى والبيـــتُ فيـــ ... ـــها والصَّفـــا والمســـجدُ
والكعبـــةُ الغـــرَّاءُ والْـــ ... ـحجـــرُ المجيـــدُ الأســـودُ

---

* الرباط ١٢/١٠/١٩٥٩م.

* * نظمتها بمناسبة ذكرى استشهاد أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام.

والوافــــداتُ رمــــى بهــــــــــ ـــــــنَّ إلـــــى الأظلّـــــةِ فدفــــدُ
والوافـــدونَ إلـــى الرجــــــا ءِ كمـــا تــــألّق فرقـــــدُ
ســـاعون حيـــثُ المروتـــا نِ فمرقٍّ ـــــلٌ أو موخِـــــدُ
يَـــهدونَ لكــــنْ مـــا النجـــو مُ لـــها بهَدْيـــهمُ يَـــدُ
شـــهدوا ومـــا شـــهدوا بغيْـــــ ـــــرِ حقيقـــــةِ تتجسَّـــدُ
فيـــك اثنتـــانِ... همـــا بغيْـــــ ـــــرك حـــيرةٌ وتـــردُّدُ
فـــهما طواعيـــــةٌ إليـــــــــ ـــــك ومـــا عـــداك تَمـــرُّدُ
فـــي كعبـــةٍ تتولَّـــــدُ وبمســـــجدٍ تُستشـــــهَدُ

منجـــم *

أمنجَـــمٌ فـــي حـــالبي للزَّمـــــلِ والحَصـــــاةِ
أم كِليتـــــي لحـــــاصبي رميَّـــــةُ الرمــــــاةِ؟
أصـــــاحبي بجـــــانبي مرافــــقٌ حيـــــاتي؟
فمغلِـــــقٌ محـــــالبي حتَّـــى فـــمِ القنـــاةِ
ومـــــالئٌ مســـــاربي فمفـــــرغٌ أنـــــاتي
وســـــالبٌ رغـــــائبي فموجِـــــبٌ ممـــــاتي
فمكـــــثرٌ وصـــــائبي مُقلِّـــــلٌ أســـــاتي
لقـــد مللـــتُ صـــاحبي لقـــد مللـــتُ ذاتـــي

* نظمتها أثناء نوبة رملية ألزمتني فراشي خمسة عشر يوماً، الرباط في ١٩٥٩/١١/١م.

يــــا موجِـــــد المواهـــــبِ يـــا مفـــرِدَ الصفـــــاتِ
يــــا واهـــبَ المـــآربِ يـــا بـــاذلَ الـــهباتِ
لصِبيتـــــي الزواغـــــبِ والأربـــــعِ البنـــــاتِ
هـــبْ صحّتـــي يـــا واهبـــي نســـــائمَ الحيـــــاةِ

بشـــارة*

بمســــــمعي تَــــــردَّدُ بشـــــارةٌ تُزغـــــردُ
قـــد أقبـــلَ الســـاعي بـــها رســـــالةً لـــــي تُـــــبردُ
فضضتُـــها... يـــا أمـــسِ يـــا يومـــي الـــهنيَّ يـــا غـــدُ
ويـــا شـــبابُ... يـــا منـــى... ويـــا هَنَـــا... يـــا رَغَـــدُ
يـــا فـــوزُ... يـــا علـــيُّ... يـــا جميعَكـــم يـــا ولـــدُ
هـــذا الشـــذى فاستنشـــقوا... هـــذا الغِنـــا... فـــردِّدوا
أخوكُـــمُ الجديـــدُ والْـــ ـــعـــامُ الجديـــدُ يولَـــدُ
محمَّـــدٌ... يـــا يُمـــنَ هـــ ـــذا الاســـمِ يـــا محمَّـــدُ
ولادةٌ فـــــي رَجَـــــبِ يـــا نعـــمَ يومـــي والغـــدُ
قـــد قـــال تـــاريخي بـــها: فيـــا بَنـــيَّ زغـــردوا

****

---

* الرباط ٢٣/١/١٩٦٠م.

هـوى طفولـة *

تُذكِّرنـــي بـــالذي أذكـــرُ ... هـــوىً فـــاحَ منـــه شـــذىً عنـــبرُ
نســيتُ... إذن أنـــا لســت المحــبَّ ... ســلوتُ... إذن أنـــا لا أشـــعرُ
تَخـذتُ التناسـي شـفيعي إليـــكِ ... لآخـــذَ منـــكِ الـــذي أشـــكرُ
لتســـمعَ أُذنـــي حديثـــاً رواه ... - وقد مرَّ بـــي - عـــهدُنا الأزهـــرُ
لتقـــرأَ عينـــي رســـومَ الشـــبابِ ... يُنمنمُـــها حبُّنـــا المبكـــرُ
لتلمـسَ كفِّـي ظـــلالَ الغـــرامِ ... كألويـــةٍ فَوقَنـــا تُنشَـــرُ
لأوردَ وهمـــيَ نـــهلاً فمـــا ... بغَـلٌ رَويـتُ هـــوىً يُصـدرُ
لتطبـــعَ ذاكرتـــي أســـطراً ... إذا مـــا عييـــتُ بمـــا يُســـطَرُ
ســلوتُ.! إذاً أنـــا مـــاذا وُفيـــتُ؟ ... نسـيتُ؟ إذن مـــا الـــذي أذكـــرُ؟
أقـصُّ عليـكِ الـــذي تذكريـــن ... لكـي تعلمـــي أنـــا لا أُنكِـــرُ
أقـصُّ عليـــكِ حديثـــاً يُـــذاع ... وآخـــرَ فـــي ســـرِّنا يُضمَـــرُ
حديـثُ هــوىً قــد حكــاه الصِّبــا ... وأخيلـــةٌ للصِّبـــا تُبـــهرُ
ولـولا الطفولـــةُ كـــان الـــذي ... يُسِـــرُّ إشـــاعتهُ أجـــدرُ
وكـــلُّ صبيانـــا حديـــثٌ لـــه ... مـــنَ الطـــهر راويـــةٌ عبقـــرُ

****

---

* الرباط ٢/٢/١٩٦٠م.

سلمت لنا وللأدب *

أبيات أرسلتها للصديق العلامة ابن جنون وقد بلغني أنه يشكو من ألم في عينيه:

سـلمَتْ عيونُـكَ يـا سلمـ ـتَ لنـا ولـلأدب الرفيـغ
سـلمَتْ عيونُـكَ تنقـلُ الـ ـمعنـى البصـيرَ إلـى سـميغ
سـلمَتْ عيونُـكَ تنتقـي اللَّـ ـفظَ الصنـاعَ إلـى صنيـغ
سـلمَتْ عيونُـكَ تمسـحُ الـ ـحلقـاتِ بـاللمحِ السـريغ
سـلمَتْ... وأنـتَ سـلمتَ للـ ـعليـاءِ والمجـدِ الفريـغ

****

أجابني حفظه الله بالأبيات التالية **:

أدبٌ رفيـعٌ للرفيـ ـعِ القـدر مـن نسلِ الشـفيغ
كـالزهرِ فـي أكمامـه فتقتَّـهُ أنفـاسُ الربيـغ
أو كـالنجومِ الزاهـرا ت تزيـنُ آفـاقَ الرَّقيـغ
مسـحتْ علـى عينـي يـدٌ رقمَـتْ موشَّـاهَ البديـغ
فغـدتْ وليـس بـها أذىً يـا مَـنْ رأى مثـلَ السـميغ
نفحـاتُكم يـا آل أحـ ـمدَ جـبرةُ القلـبِ الصديـغ

****

---

* الرباط في ١٢ رمضان ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠/٣/١٠م.

* * طنجة، شوال ١٣٧٩هـ.

عهد ببغداد*

أرسل إليَّ السيد محمد محمود الجبوري الأستاذ في دار المعلمين العراقيـة في فاس قصيدة هذه بعض أبياتها:

أخا ثقتي والشوقُ كالسـيفِ يُنتضَى
وأنا سميُّ المصطفى والفتى «الرضا»

أَعِنِّي على الوجدِ المبـرِّحِ والـهوى
لعهدٍ ببغـدادَ الحبيبـةِ قـد مضـى

فبينَ ضلوعي قلـبُ طـيرٍ مـروَّعٍ
إذا لاحَ بـرقٌ مشـرقيٌّ وأومضـا

وكيف يُعينُ القلبُ مَـنْ كـانَ حظُّـهُ
كحظِّيَ في حُكمِ المقادير والقَضـا ؟!

يقولونَ لي: في المغربِ الطلْق مـأنسٌ
وقد ضاق بي رحبُ البريَّةِ والفضـا

وهذي رياضُ المغربِ الطلق قد زهَتْ
فما لفؤادي صدَّ عنـها وأعرضـا؟

وفيمَ يَمَلُّ الصبرَ هـل خـار عزمُـهُ
أمَ انَّ زمانَ الصبرِ قـد راح وانقضـى؟

وقفتُ على سِـيفِ الربـاطِ عشـيَّةً
وقـد عصفَـتْ أمواجُـه فتقوَّضـا

فقلتُ لعلَّ الجوَّ قـد ثـارَ مـذْ رأى
مشاهدَ ظُلمٍ لن تبيـدَ فمـا ارتضـى

هيَ الأرضُ مهدُ الظلمِ والحقـدِ والأسـى
ودون ثَراها في الأذى جَمرةُ الغضـا

فأجبتــه في اليوم نفسِه :

ندبتَ أخاً يعطي الإخاءَ كمـا اقتضـى
وتلك لَعمري نظرةٌ منك فـي «الرضـا»

تُلبِّيك منِّـي فـي الأخـوَّةِ شـيمةٌ
ستشهدُ منها فـي الحميَّـةِ مركضـا

على نحو حدِّ السيف في الـروعِ يُنتضـى
على نحوِ هزِّ الرمح كالصلِّ نضنضـا

على نحو فوحِ الطيبِ في النـدِّ عابقـاً
إذا لزَّني جمـرٌ يُقـال لـه الغضـا

* الرباط ١٣/٤/١٩٦٠م.

تُذكِّرني عــهداً ببغــدادَ قــدْ مضـــى حرقتْ به وجداً وإنْ هــو أعرضـا

إذا أنتَ فـــي حـــبٍّ تربَّيْـــتَ فـــابتعدْ ستعلمُ ما قلبٌ به الحـــبُّ أرمضـا

على البعدِ تحلو الذكريـــاتُ مَريـــرةً من البعدِ يا بغدادُ صـــبري تقوَّضـا

مِنَ المغربِ الأقصــى لبغــدادَ حنَّـــةٌ بنيتُ لها هـــذي الأضـــالعَ مَنبضـا

سمعتُ بها مثلَ الرَّسيسِ منَ الجـــوى ترامَتْ زئيراً رجعُــه مــلأ الفضـا

صُليتُ بها عـــسَّ الشِّـــرارِ بمهجـــةٍ تأكَّلَــها مــهلاً وهيــهاتِ عَوَّضـا

****

تقولُ: رياضُ المغربِ الطلق قد زهَتْ فما لفؤادي صدَّ عنـــها وأعرضـا؟

فهل تركَتْ بغدادُ في القلب موضعـــاً لتُلفي به عن حبِّ بغــدادَ مَعوضـا

فواللهِ ما في الشمسِ بدعـــة مَشـــرقٍ فتحَ السَّنا أو مَغربِ فيـــه غمَّضـا

كمشـــرقها فـــوقَ النخيـــلِ بدجلـــةٍ ومغربِها وفقَ الجمالِ وما ارتضـى

طلاع الدُنى حسنٌ ببغـــدادَ مُشـــرقٌ على هدباتِ النهرِ زخرفَ معرضـا

فواللهِ ما شـــمس الأصـــائلِ ذُهِّبَـــتْ ووالله ما فجـــرُ البواكـــرِ فُضِّضـا

لتلـــك تـــهاويلٌ ببغــدادَ صــــوِّرتْ تماثيلَ عن أمثالـــها الفـــنُّ أجـهضا

لُييـــلاتُ دهـــرٍ ليـــس إلفـــاً وليلُـــه لييلاتُ كـــانتْ بالمجـــادةِ أعرضـا

****

صلاة السموأل *

صلّى السموأل أقداس الأعاريبِ   في الأبلق الفردِ صلَّى لا المحاريبِ
فاز السموألُ بالسبقَيْنِ مكرمةً:   عِزُّ الوفاءِ وإعطارُ الرعابيبِ
أعطى السموأل يوماً من تقشُّفه   وارتاحَ يرفلُ في لينِ السناجيبِ
كان السموأل في حُصنٍ ممنَّعةٍ   من تحته الريحُ غارتْ في سراديبِ
من حوله الشمُّ قامتْ في حراستِه   لا تُمسك النَّسرُ إلاَّ بالتلابيبِ
إن امرأ القيسِ ما عُدَّتْ مصائبُه   إلاَّ لتبدو محاسنَ في تجاريبِ

لك المجد يا جيش العراق **

على الصفحاتِ المذْهبَاتِ لك الذكرى   تماثيلُ مجدٍ أُبدِعَتْ آيةً كُبرى
تُبرِّدُ فيها لوعةَ الكبدِ الحرَّى   وتُكفى دموعاً عندها المقلةُ العَبرى
وتأسو جراحاً ما تزال رِغابُها   لها أثرٌ في الجهر قد كتَمتْ سِرّاً
يشير إلى الماضي الأليمِ التئامُها   سطوراً بشتَّى الجسم قد برزَتْ حمرا(١)
لك المجدُ يا جيشَ العراقِ وقد مضَتْ   ثلاثون عاماً بعدَها أكملَتْ عشرا
وتلك لَعمري حقبةٌ لو حَسبتُها   تُعدُّ بفجر الدهر بُرهتُه الصغرى

---

* الرباط ١٢/٦/١٩٦٠م.

* * نظمتها في ذكرى مرور أربعين عاماً على تأسيس الجيش العراقي ونشرت في جريدة الشعب وجريدة الفجر الجديد، الرباط ١/١/١٩٦١م.

(١) في هذا المقطع، وهو مطلع القصيدة، أوجز بما يشبه الرمز ما عاناه الشعب العراقي خلال فترة المد الفوضوي بعد ١٤ تموز. وأعقد أملاً على الجيش بتضميد الجراح التي كادت تودي بالثورة. وفيما يلي تبسيط أكثر.

كتبـتُ بــها تــاريخَ جيـشٍ تــأثَّلتْ | على هضباتِ النصر دوحتُه الشـجْرا..
غمســتُ بــها رأسَ الفتــاةِ يراعـــةً | صنعتُ دمـــاءَ الظـالمين لــها جِـبرا
وقدَّمـــه تمــوزُ ســــطراً معطَّـــراً | مِنَ النور يمحو مــنْ ظلامتِنــا سِـفرا
لقد كنـــتَ مــذْ كنَّــا وكنــتَ مؤمِّــلاً | نــراكَ بديجــورِ الحيــاةِ لنــا فجـرا
على حين كان البغيُ يعصفُ بــالذُّرى | وبالسفحِ لا يُبقي لنـــا عشـبةً خضـرا
يغالبُنـــا بـــالعيشِ يفضـــحُ درَّه | فلا زرعُـــه وفَّـــى ولا ضرعُـه درَّا
يَســنُّ لغـــلِّ الفِكْـــرِ ألأمَ ســـنَّةٍ | نرى نعمةً في ظلِّها الجـــهلَ والفقـرا
على حين جزَّ البغيُ ناصيـــةَ الإبـا... | وأرغمَ أنفـــاً أرغـمَ الطـائرَ النسـرا
ونكَّــل فيمــن لا يُصــانعُ عُـــهْرَه | ليعلـمَ أنَّــا لــم نُصــانعْ لــه عُـهرا
وفرَّقَ شملاً كان جمعــاً علــى التقــى | ونَكَّــرَ عُرفــاً حيــن علَّمنــا النكـرا
ففي كـــلِّ أرضٍ كــان منَّــا مشــرَّدٌ | يرى الخوفَ أمناً ثَمَّ والوطــنَ القفـرا

****

هيـــا أيُّــها الجيـشُ المظفَّــرُ هـــذه | خطوبٌ بَلوناهـــا وكنــتَ بــها أدرى
وكنتَ لنا في بـــاطنِ الغيــبِ مــأملاً | يشدُّ بنا حمـــداً ويُزجـــي لنـــا صـبرا
وجسَّــدْتَه ليــلاً بزحـــــف مظفَّـــرٍ | معَ الفجر مسراه وسبحانَ مَنْ أسـرى
فكــانَ بــها الصبــحُ المنــوَّرُ خافيــاً | عنِ الشفقِ المخضوبِ خطبتَــه البـترا
وأبلغُها فــي عِـبرة البغــيِ مصــرعٌ | ختمْنا بـــه تــاريخَ قصتنـــا النُّكـرا..

****

بك اليومَ يا جيشَ العراقِ تساندَتْ قوانا وكانَتْ في تخاذُلِها سَكرى
تَهبُ عليها من جميعِ جهاتِها سمائمُ لم ترقُبْ لموطننا أمرا
تشتَّت فيها شملُنا وتعانقَتْ يدانا على ما في مصالحنا خُسرا
فكفٌّ لكفٍّ تبتغي القطعَ والبترا وعينٌ لعينٍ تنظرُ النظرةَ الشَّزرا...
فكنتَ لنا يا جيشُ في الفترة العسرا ظلالَ أمانٍ تُرتجى مرَّةً أخرى[1]
تُقيمُ بها آساس عهدٍ رفعتَهُ على الحبِّ يُطفي الحقدَ في المقلةِ الحرَّى
تخطَّى به (النهجَ) السويَّ مُقاومٌ يعيشُ على أرضِ العراقِ غداً حُرّاً
نمشي به... فمواطنٌ لمواطنٍ على الدرب هلْ يُمنى هنالك أو يسرى؟
على العهد يا جيشَ العراق وهذه أماليكَ ما أندى أماليك ما أثرى!
تُشيع بها نوراً سيغمرُ أرضنا بخصبٍ نرى في غمرِه السنبلَ البحرا
ونُخرج من جوف التراب ذخائراً ثوتْ زمناً في باطنِ الريف والصحرا
ونَبني على تَلعاتنا ووهادنِا مصانِعَ بالإنتاج قد هَدرَتْ هدرا
مشاغلُ لا تُبقي لعاطلةٍ يداً تعيثُ ولا تُبقي للائمةٍ عُذرا
تدرُّ بها أرضُ العراق بجانبٍ منَ الخيرِ لا تلقى بمحلوبه شرّا
وسيرتك الغرَّاءُ تكشفُ ما اختفى بقلبك من بِرٍّ ونفسك من بُشرى
قدرتَ على العادي وكنتَ شفيعه لتصفحَ عمَّنْ قد أساء ومن أغرى

---

(١) يشير إلى أن الجيش كما كان أملاً للأحرار في العهد الاستعماري قبل ثورة ١٤ تموز، ظلَّ أملاً له في عهد الفوضى وتيارات اليساريين المتطرفين.

الجيش أولى بالمفاخر*

ألجيـــشُ أولـــى بالمفـــــاخرْ يُليـوزُ يَـروي عـــن يَنــايرْ
ألجيـــشُ أولـــــى بالمقــــا لـــةِ لفظُــها نخـــبُ الجواهـــرْ

****

مـــا بـــالُ ألســـنةِ العبـــاقرْ مـن كـلِّ شــاعرةٍ وشــاعرْ
لا تَنظـــمُ الزهـــراتِ أبــــــ كــاراً تُــهلِّلُ بالبشـــائرْ
لا تنـــثرُ النجمـــاتِ أقـــــ ـــراطــاً بـــآذانِ الأداهـــرْ
لا تسـكبُ الأقمـارَ فـي الــــ أحقـــابِ للذكـــرى أســـاورْ
لا تَضفـــرُ الـــهالاتِ إكـــــ ـليــلاً علــى هـــامِ المغـــاورْ

****

ألجيـــشُ أولـــى بالمشـــــاعرْ بـــالنور خُطَّـــتْ لا المحـــابرْ
مـا بـــال مبدعـــةِ العبـــائرْ طاقــاتُ نـــدٍّ فـــي مجـــامرْ
لا ترســـلُ الألـــقَ المسطَّـــــ ـــر والمشـطَّر فـــي دفـــاترْ
أو تبعـــثُ الكلـــمَ الموقَّـــــ ـــعَ هــادراً فـــوقَ المنـــابرْ
ألكِلْمـــةُ العربــــاءُ بحــــــ ـــرٌ وَهْــوَ معنـــىً فيــه زاخــرْ

****

---

* نظمتها في عيد الجيش العراقي الحادي والأربعين، الرباط ٦/١/١٩٦٢م.

ألجيشُ أولى بالمحبّـ … ـةِ صفو ما تُخفي الضمائرْ
كُفْءُ الأيادي المفضِلا … تِ وجهدُ ما وفّاه شاكِرْ
ملءُ الوفاءِ الصدقُ أبـ … ـلجُ باطناً منه وظاهرْ
سعةُ الولاءِ...وما الولاءُ … هنا سوى ربطِ المصائرْ
لا خيرَ في وطنٍ بلا … جيشٍ يوقّيه المخاطرْ

****

ألجيشُ صانعُ مجدنا … يا مَنْ رأى هذي المنائرْ
ألدهر يرويها أسا … طيراً ويُمليها مصادرْ
والحرُّ أين يكون...تُلْـ … ـفي الحرَّ يُعليها شعائرْ
لا يصنعُ الأمجادَ خائرْ … بل يصنعُ الأمجادَ ثائرْ

****

ما كلُّ صابرِ محنةٍ … يوسي...ولكنْ كلُّ سابرْ
ما كلُّ ثائرِ أمّةٍ … يجني... ولكنْ كلُّ شائرْ
ما كلُّ منتصرٍ لحكـ … ـمتِه تطامنتِ المقادرْ
وإذا تنادتْ للجُنو … حِ لوى الجموحَ بكفٍّ قادرْ

****

العدل أطلب *

مشــقَ الحُســامَ فحدُّه نـــيرانُ وبَــرى الــيراعَ فسطرهُ ميدانُ
أقسمتُ: إسماعيلُ فــارسُ صــهوةٍ ومكينُــها أنَّــى يكــونُ مكـــانُ
عجـم العــراقَ قناتَــه فاختـــارَه للفكــر يُرهَــفُ حــدُّهُ ويُصـــانُ
للهِ مَــنْ يــزنُ الرجــالَ بوزنِــهم ولكَــمْ بــوزنٍ أخطــأَ المـــيزانُ
حاشا أُضامُ ولـــن أضامَ بعــهدِهِ وشــفيعيَ الإخــلاصُ والإيمـــانُ
تلــكَ التسـابيحُ التــي قدَّمتُـــها باسم العـــراقِ ســطورُها فُرقــانُ
ألحمــد فـــي أشــطارِها أوزانُ والمجـدُ فــي أوزانِــها ألحـــانُ
ألعدل أطلب لستُ أطلـــب رحمــةً فســؤالُها للمخلصيـــنَ هَـــوانُ
هـــاتيك يســألُ أمنَـــها خـــوَّانُ أو جــانحٌ فــي الأمثليــنَ مُــهانُ
أنا في أمانِ مـــا تحكَّــمَ مُنْصـِـفٌ أنا في أمــانِ مــا رعــى وجــدانُ

يا حسنها أمّاً * *

يـــا مَــنْ رأى تفتُّـــح الفاغيـــةْ تَســتقبلُ الطَّــلَّ علـــي الرابيـــةْ
آمالُـــها فـــي الوهـــدةِ الدانيـــةْ شــادٍ يغنِّــي الحقـــلَ والســاقيةْ
تجيبُـــه فـــي الضفـــةِ الثانيـــةْ أســطورةٌ قـــالوا لـــها شــاديةْ
رأيتُـــها وفـــي ضلوعـــي الحانيـــةْ تفجَّـــرَتْ كوامنـــي علانيـــةْ

* أرسلتها الى وزير التربية آنئذٍ، اناشد وجدانه بوشايةٍ رفعها إليه عنّي الملحق الثقــافي يومئــذٍ جميل رؤوف، الرباط ١٩٦٢/٢/٢١م.

* * أرسلتها إلى ابنتي فائزة في عيد ميلاد ابنها البكر رشيد، الرباط ١٩٦٢/٤/١٦م.

تهيبُ بي وكنتُ أُخفي مابيهْ طوالَ خمسين مضتْ لي جانيهْ
يا حسنَها تدنو إليَّ رانيهْ كومضِ نارٍ في الليالي الداجيهْ
لله من شأنٍ لها وشانية تُنيلُ وصلاً بعد أن عنانيهْ
يا مرحباً بها أطلّتْ غانيهْ رخيصةٌ لها القلوبُ الغاليهْ
أمنيةٌ بلغتُها في عافيهْ ألحمد لله لمَا أعطانيهْ
أنعامُ فضلٍ ليس تُحصى آتيهْ ومثلُها خلَّفتُها ورائيهْ
لي تسعةٌ مثلُ النجوم الزاهيهْ واحدةٌ من بعدها ثمانيهْ
أربعةٌ منها همو فتيانيهْ يا ربِّ نمِّيهم بكلٍّ باقيهْ
واجعلهُمُ في صالحٍ عنوانيهْ فصالحُ الأعمالِ رأسُ ماليهْ
خامسُهم رشيدُ يا للغاليهْ شميمُها معطِّرٌ أجوائيهْ
أراه بعضي وهو كلُّ ما بيهْ يملكُني كأنَّما اشترانية
يَجذبني إليه جذبَ طاغيهْ قَسْوَتُه – كالرفق بي – شائية
وهبتُ قلبي ظالماً طَواعيهْ والوالدونَ في الهوى سواسية
وأمُّهُ يا لطفَها من قاسية تحكَّمتْ من قبلهِ بي عاتيهْ
أقتصُّ منها برشيدٍ حانيهْ تَستعذبُ العذابَ فيه هانيهْ
يا حسنَها أُمّاً بسنٍّ جاريهْ ما فتئتْ بين دُماها لاهيهْ
أكرِمْ بها سيِّدةً كما هيهْ واعيةً للواجباتِ راعيهْ
وربَّةً للبيتِ خيرُ بانيهْ بكلِّ ما يقضي البناءُ داريهْ
فهْيَ به آمرةٌ وناهيهْ وهْيَ به عند اللزومِ طاهيهْ
واجبُها نادى بها علانيهْ يا بنتَ أجوادِ الحِمى كفانيهْ

تزجـــرُه بواجبـــاتٍ ثانيــــة ... فيمـــا تصـــــفُ زينــــةً وآنيـــة

ومــائلٌ تُقيمُـــــه فـــي ناحيــــة ... وحاجــةٌ ترفعُـــها مــــن زاويـــة

تسـتقبلُ الأضيــافَ غـيرَ وانيــة ... عنــد فنـاءِ دارهـــا فــي الضاحيـة

بالبسـماتِ الأسـراتِ السـاجية ... والنظـراتِ المشـــرقاتِ الرانيـــة

وكِلمـــةٌ موجـــزَةٌ ووافيـــــة ... شــرفتمو يـــا مرحبــــاً بالغاديــــة

بمُزنــةٍ هلّــتْ فــأحييتْ ناديــــة ... ونعمــةٍ حلَّــتْ حِمانـــــا ضافيــــة

وإذ همــو بالغرفَـــاتِ العاليــــة ... ألِفُــوا بــها رخيصـــــةً وغاليـــة

مترفــةُ التنظيــمِ جــــدُّ راقيـــة ... فليــسَ فيــها عــن مكــانٍ نابيـــة

يقــولُ فيــها ذوقُــها أنــا هيـــة ... مرآتُــــها رائحـــــةٌ وغاديـــــة

يــا ســلمَتْ تلــك خــلالٌ ســامية ... نبعُ الصياصي ليس نضـــحُ الراويـة

والشـعرُ إلــهامٌ وليـس قافيـــة ... وليـــسَ كـــلُّ نبتـــةٍ بزاكيـــة

عوّذتُــها مــن شــرِّ كــلِّ داهيـــة ... ومــن حَســـودٍ كلُّـــه كراهيــة

وشرٌ بــاغٍ فــي الــورى وباغيــة ... وشــرِّ واشٍ فــي الحمــى وواشـية

عوّذتُــها بعيــنِ ربِّــي الواقيــــة ... من شـــرِّ كــلِّ الطارقــاتِ العاديـة

فُديــتِ يـــا بنيَّتــي بفاديـــة ... مــن مــهجتي إلــى لُقــاكِ ظاميــة

ســألتُ ربّـــي أن أراكِ هانيـــة ... وصــهرَنا خــيرَ شــبابِ الجاليـــة

في عيشةٍ جنــبَ رشــيدٍ راضيــة ... وفــي نعيــمٍ مــن حيــاةٍ وافيــــة

قطوفُــها بكــلِّ خــيرٍ دانيـــة ... بجمع شــملٍ فــي الحِمــى وعافيـة

وثَــمَّ أعيــادُ رشـــيدٍ زاهيـــة ... تســعونَ عيــداً بعدَهـــا ثمانيـــة

حكاية الأرض *

من عـهدِ نـوحٍ قـد روى الـ ... ـرَّاوون عـن هـذي الحمـائمْ
أسـطورةً عـن نوحِـها ... ألوبـلُ زمـزمَ فـي الغمـائمْ
وعجيبـةً عـن بَوحِـها ... ألقـولُ جمجَـمَ فـي الغَلاصـمْ
قـالوا: بنـى نـوحٌ سفيـ ... ـنته ليبنـي الكـونَ هـادمْ
ظُلُـمٌ تحوَّطـه مـنَ الـ ... أدنيـنَ فـي دنيـا مَظـالمْ
لـم يَـهدِها الكَلِـمُ المسـا ... لـم فَلْيُرْدِها الطوفـانُ عـارمْ
ألأرضُ فيـها النـاسُ بئـسَ ... النـاسُ مـن كـاسٍ وطـاعمْ
ألأرضُ رجـسٌ فلْيطـهِّرْ ... رجسَـها مـاءُ الزمـازمْ
قـالوا: وأقلعـتِ السفيـ ... ـنةُ تمخـرُ البحـرَ الخُضـارمْ
ببقيَّـةِ الكـونِ المخـاصمْ ... أو بَـذرةِ الكـونِ الموائِـمْ
بحمولـةٍ حَشَـرَتْ مـعَ الـ ... إنسـانِ أشـتاتَ البـهائمْ
فيـها الزواحـفُ خـالطَتْ ... ذاتَ الجوانـحِ والقوائـمْ
ولـها مـنِ (اسـمِ الله مُجْـ ... ريـها) إلـى (الجـوديِّ) عـاصِمْ
قـالوا: وكـانَتْ فـي سفيـ ... ـنـةِ جدِّنـا أمُّ الحمـائمْ
جثمَـتْ علـى إحـدى السـوا ... ري السـارياتِ مـعَ الغمـائمْ
ترنـو عسـى المرسـى البعيـ ... ـد لـها مـع الآمـال قـادمْ
لتعـودَ للروضـاتِ تبـ ... ـعثُ فـي محانيـها مواسـمْ
لتعـودَ تمسـحُ فـي لحـو ... نِ هديلِـها آهـاتِ هـائمْ

---

* بيروت ١٩٦٢م.

لتعـودَ بـالأحلامِ منــ | ـعشةً تدغـدغُ جفـنَ حـالمْ

وبـدا لـها الجـوديّ يـو | مـىءُ: هـهنا المرسى الملائـمْ

وتحفَّـزَتْ منـها الجـوا | نـحُ بـالخوافي والقـوادمْ

وتـرودُ... والأرض الكئيـ | ـبة بيـن مرتكـسٍ وعـائمْ

فـرأتْ بقايـا أيكـةٍ | قـامتْ تُواسـيها النسـائمْ

وتضخُّـها شـمسُ الأصيـ | ـلِ بفـوحِ منتسم الـبراعمْ

فبنَـتْ هنـالك فـي الـذرى | عشًّـا بـروْعِ الأمـنِ حـالمْ

****

قـالوا: وأفـرخ بيضُـها | عـن أزغبـيٍّ فـي تمـائمْ

طُـهرٌ يُشـير بلونِـه | لطبيعـةِ الفـرخِ المسـالمْ

قـالوا: هديـلاً كـان يُدعـى | فـهو يُسـكتُ كـلَّ بـاغمْ

ففؤادُهـا بحنانِـه | مـن فوقِـه الغـدواتِ حـائمْ

زقّتْـه حـبَّ فؤادِهـا | ورجتْـه للحَيَـواتِ سـالمْ

قـالوا: وفـي غـدواتِ صبـ | ـحِ ذاتَ يـومٍ كـان نـاعمْ

وإذا بطـيرٍ مـن ضـوا | ري الطَّـيرِ محمَّـرِ القوائـمْ

يصطـادُه... وكـذا بغـا | ثُ الطَّـيرِ مـائدةُ القشـاعمْ

مـن ذلـك العـهدِ البعيـ | ـدِ تـهادلتْ هـذي الحمـائمْ

تومـي إلـى الأرضِ التـي | مـا طُـهِّرَتْ مـن عـهد آدَمْ

حيواتُـها فـي ناسِـها | حيـواتُ آثِـمَ تلـو آثِـمْ

لا أوَفِّيــك *

كتبت للصديق السيد عبد الله جنون في طنجة:

هبْ قريضـي مـن السموِّ كمالَكْ — وخيـالي أفضْ عليـه جمـالَكْ
ويراعـي فمُـرْهُ يُرسِـلْ بيانـاً — يُرسـل النـورَ شـأوُه إرسـالَكْ
فابن عبَّاد إنْ جرى فـوقَ طِـرسٍ — فـي يمينَيْـهِ لا يُجـاري شـمالَكْ
لـو وهبـتَ البيـان شِـقَّ يَراعـي — لأريـتُ الأنـامَ فيـه هلالَـكْ
ولسـاني فهبْـه سُـحبانَ راقٍ — منـبرَ الفضـلِ لا يعـي أفضـالَكْ
وجَنـاني فهبـه فـي الخيـلِ زيـداً — مُشرعَ الرمح هل يجـوسُ خلالَـكْ؟
فأعرْني المغـير عَمْـرَ بـنَ معـدٍ — فـي الصَّبوحَيْـن لا يَريـم حيـالَكْ
ألعوالـي عواهـنٌ أو حُطـامٌ — وقـدة النـار إن نَضيـتَ نصـالَكْ
والعـوادي العِـرابُ غـيرُ عِـرابٍ — مطلقـاتٍ إذا عقـدْتَ عقـالَكْ
مـا لقِسٍّ مقالـةٌ فـي عُكـاظ — سـجَّلَ الدهـر أن نـثرتَ مقـالَكْ
أيُّ هـذي الصفـاتُ أُطـري ثَنـاءً — لا أوفّيـكَ أو أعـدُّ رمـالَكْ
لا أهنّيـك فـي الزمـانِ بعيـدٍ — بـل أهنّيـه إن رأى أمثـالَكْ
رافـعَ الحـرف ذروةً فـي مجـالٍ — حيـثُ يظمـى أرشـفْتَه سلسـالَكْ
نـاقلَ الكـمِّ فـي الفنـونِ بكيـفٍ — أروعُ الفـنِّ مـا قـرأتُ مقـالَكْ
وقُصـاراي: أنـتَ عيـدٌ لعيـدٍ — لا يُسـاوي جديـدُه أسـمالَكْ

---

* بيروت في ١٣٨٢/١٢/٥هـ – نيسان ١٩٦٣م.

فأجابني * :

عاثرُ الخطو مَنْ يُجاري كمالَكْ   لو عدا كالسُّلَيْكِ دهراً حيالَكْ
وبليدٌ مَنْ رامَ يَحكي بياناً   لك فيه الخَصْلُ المجلّي خصالَكْ
ألمعالي ورثتَها من عليٍّ   مَنْ يقصِّرْ من وُلْدِهِ؟ لن أخالَكْ
والمفاداةُ والفتوَّةُ والإحـ   ـسانُ أجزلْنَ من حُسينٍ نَوالَكْ
شرفُ الدين لا يُنال بدنيا   ولقد حُزتَهُ وصار سماً لَكْ
فاغتبطْ بالسموِّ أصلاً ونفساً   إنَّه مفخرٌ يُميِّزُ آلَكْ
وقريضٌ بعثتَه لي بعيدٍ   قد تلمَّحتُ في سماه هلالَكْ
لو لبشّار جاء منه بشيرٌ   لنضا بُردَه ولم يتمالَكْ
ألمعاني والفنُّ والسحرُ فيه   يتداعى جمالُها وجمالَكْ
والمباني يَزينُها حرُّ لفظٍ   وانسجامٌ سكبتَ فيه زُلالَكْ
نهجُه معجِزٌ فباغي مثالٍ   لأفانينِهِ كباغي مثالَكْ
ولهذا قصَّرتُ كمّاً وكيفاً   عنه إذ لا أُطيقُ سجالَكْ
فتقبَّلْ شُكري وأنتَ عذيري   إنَّني لا أفي به أفضالَكْ

أشقيق نفسي ؟**

أشقيقَ نفسي ما الدموعُ؟؟   هلَّتْ كما صبغَ النجيعْ!!!
هبني (متمِّمَ) شعريَ الـ   ـباكي على قلبي الوجيعْ
ليتي بكَ (الخنساءُ) يا   (صخري)... ولي دمعٌ يُطيعْ
وإذاً لبرَّدَ من غليـ   ـلي ما يُسلسلُه الولوعْ

---

* طنجة في ٢١/٥/١٩٦٣م.

* * بيروت في ١/٢/١٩٧٠م .

صـــبري قريـــعُ الخطـــبِ عَهْــــــــ ـــدَكَ فـــهْوَ كـــالصَّبْرِ الصريـــغْ
أمَّـــا الـــذي بيــنَ الضلـــو ع فـــذاك قلبـــي والصُّــــدُوعْ
آمـــالُ نفـــسِ فـــي الحيـــا ةِ...وحَدُهـــا فشـــلٌ ذريـــعْ
ســتونَ مــن عمـــري ولـــي فيمـــا يلـــي منـــه شُـــروعْ
أمِلَـــتْ تقـــرِّبُ بيننـــا ببقيَّـــةٍ منـــه رُبـــوعْ
لتعيـــشَ فـــي الشـــملِ الجميـــ ـــعِ وحولَـــك انتظـــمَ الجميـــعْ
هيـــهاتِ يزدهـــرُ الزمـــا نُ وعنـــه قـــد جـــفَّ الربيـــعْ
يـــا يـــومَ فقـــدِك إنَّنـــي لأَســـيَّةٍ أبـــداً نَـــزوعْ
حَسْـبي بمـــا بيـــنَ الضلـــو عِ تضرَّمَـــتْ فيـــه الضلـــوعْ
مـــا كنـــتُ أحســـب يومَـــك الـــ ـــدَّاني يَصـــحُ لـــــه وقـــوعْ
أيصـحُّ – يا مـــوتُ – الرجـــوعْ؟؟ أوَّاه... لـــو حصـــلَ الرجـــوعْ

****

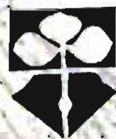
هذه المقطوعة كانت آخر ما خطت يداه... كان طريح الفراش من أزمة صدرية رئَوية حادة، كان يعاني منها حين تُوفّي أخوه وقرينه وصديقه ورفيق حياته السيد صدر الدين شرف الدين وتعذر إخفاء الحادث المفجع الحاد عنه فكان وقع الحادث بالنسبة إليه صاعقاً ولم يتحمَّل جسمه هول الفاجعة أكثر من أسبوعين ... وكانت هذه الأبيات التي رثى بها أخاه آخر ما نظم حيث وافته المنية في ١٤ شباط سنة ١٩٧٠م.



الشاعر:

السيد محمد رضا شرف الدين
نجل المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين
ولد في صور - لبنان - عام ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م
دراسته في الحوزة العلمية الكبرى في النجف الاشرف - العراق ومنها تخرج
عمل في الصحافة واصدر في بغداد مجلة ادبية باسم الديوان لم تساعده الظروف على الاستمرار على اصدارها.
انخرط في عالم الوظيفة في العراق وتنقل بين اكثر من عمل ومكان داخل العراق وخارجه.
له «الحسين» رواية شعرية طبعت عام ١٩٣٣ وله (١٤ يوماً في المغرب) طبع خلال الخمسينات.
«قيس لبنى» رواية شعرية معده للطبع.
مقالات وبحوث متفرقة نشرت في الصحف العراقية واللبنانية.
انتقل الى رحمة الله يوم ١٤ شباط ١٩٧٠

المجلس الثقافي للبنان الجنوبي



دار الاقلام